آخر لقاء

مع (٢٠) عالماً ومفكراً إسلامياً

جمع وإعداد
محمد خير رمضان يوسف

- عبد الحليم محمود
- صبحي الصالح
- نجيب الكيلاني
- محمد الغزالي
- محمد بن سليمان الجراح
- عبد الحميد كشك
- عبد الفتاح أبو غدة
- حماد بن محمد الأنصاري
- محمد متولي الشعراوي
- عبد العزيز بن باز
- مصطفى الزرقا
- أبو الحسن الندوي
- رشدي فكار
- محمد بن صالح العثيمين
- محمد صفوت نور الدين
- أنور الجندي
- مانع الجهني
- أحمد ياسين
- عبد العزيز الرنتيسي
- أحمد كفتارو

دار ابن حزم

آخر لقاء

مع (٢٠) عالماً ومفكراً إسلامياً

جمع وإعداد
محمد خير رمضان يوسف

دار ابن حزم

بسم الله الرحمن الرحيم

حُقُوقُ الطَّبْعِ مَحْفُوظَةٌ

الطَّبْعَةُ الأُولَى

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

ISBN 9953-81-071-0

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - ص.ب: ١٤/٦٣٦٦ - تلفون: ٧٠١٩٧٤

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدِّمة

لا أدري لماذا تأسرني اللقاءات الأخيرة. . .؟!

ولا أعني الصحفية وحدها. .

آخر لقاء المرء مع والده قبل أن يودِّع الحياة.

آخر لقاء مع أستاذه وشيخه وهو ينصحه ويقدِّم له عصارة علمه وخبرته في الحياة.

آخر ما وقعت عليه عيناه وهو يودِّع الدنيا كلها. .

وآخر كلمة قالها ولم يقدر على إكمالها. .

أهي رهبةُ الموت. .؟

أهو الندمُ على ما فات. .؟

لكلِّ حالةٍ موقف. . لكنها لا تُنسىٰ على أيَّةِ حال. . ويحتفظ بها الإنسان ولا ينساها مدى حياته. . يحدِّث بها، ويسجلها. . لأنها أسرتْ قلبه، وملكت عليه نفسه، فهي أثيرةٌ لديه. . من نوع خاص. . قد لا يعرف لها تعليلاً.

وكان اهتمامي بأكثر من جانب في هذا المجال، سجَّلتها، وقَدَّمتُ بعضها.

وكان من بين ما احتفظت به وبحثتُ عنه من بعد.. آخر اللقاءات الصحفية مع أعلام الفكر والدعوة والعلم من أهل الإسلام..

آخرها.. لأنها قمَّةُ النضوج العلمي والخبرة الطويلة..

وما لم تحط الشبهات بهم فهم أصحاب رأي ووجاهة وتأثير في الفكر والمجتمع.. فهم أساتذة العصر، وشيوخ الأمة!

وحقٌّ على من علَّمنا وقَوَّم أفكارنا ودلَّنا على الأعمال الصالحة، أن نجازيهم بنشر علومهم والدعاء لهم.. ولا أقلَّ من أن نذكرهم بالخير، ونقدِّم أعمالاً لهم بأساليب وأفانين..

والحوار فن، وأسلوب دعوي وإعلامي، يُقبل عليه الناس أكثر من إقبالهم على المقال والبحث..

وهذه لقاءاتٌ ضمَّتْ حواراتٍ لأعلامٍ من هذه الأمَّة، جمعتهم عقيدة الدين الواحد، وخدمته، والدفاع عنه..

من عالم مُلىءَ فقهاً وأصولاً، ومحدِّثٍ جلَّله حديثُ رسول ربِّ العالمين ﷺ، وربّاني لا يعرف إلا الدين، ولا يرى سوى الله! وداعيةٍ نسي نفسه وامتطى صهوة الإعلام ينادي ولا يسكت حتى يفجأهُ الموت، ومفكرٍ إسلامي يعيش مبدأ ويقدِّمُ حياةً، هو الذي أَسَره، فعاش له ومات عليه، واقتصادي إسلامي لا تستعصي عليه أكبر مشكلات الاقتصاد ومعضلاتها، فيجد لها الحلَّ مستساغاً في نظام الإسلام ونصوصه، وعالم مجدِّدٍ وفقيه متعبِّد يعلنها على رؤوس الخلق أنْ لا عزَّ لنا إلاَّ بالإسلام، ولا نصرَ لنا إلاَّ بالحق، ولا قيمة لنا إلاَّ بالدعوة والجهاد، ولا خلاص من مشكلاتنا إلاَّ بالعودة إلى مصدر عزِّنا وقوَّتنا، يدعو بهذا ويحاضر، ويكتب ويناصح، حتى يلقى الله.

وأمثالهم من الشهداء على الناس، يدافعون عن الإسلام ليبقى نقياً صافياً يعرفه الناسُ كما أُنزل، غيورون على دين الله، يكشفون خطط الأعداء وأحابيل النفاق وشِباك المرجفين، فيبصِّرون المسلمين بمن حولهم، ويكشفون للناس الحقائق ناصعة بيضاء مضيئة.

وآخرون رأوا نور العلم فأدهشتْ بصائرهم وظلوا ينظرون إليه ويتعلقون به حتى طغت لذّتَه على سائر لذّاتِ الدنيا عندهم، فأصبحوا أسير الكتب وحلقات العلم وتدريس الطلبة، يربُّون الناس على الحقّ والهدى ونور العلم، مهنتهم صناعة أبطال العلم، وتخريج قادة الرأي، وتنوير الأذهان بالوحي، وتقويم سلوك الكبار بالحكمة.. بنفسي ما هم.. ما أجمل صحبتهم وما أطيب كلامهم..!

ومن هؤلاء أدباء جنَّدوا فنَّهم وأدبهم وعاطفتهم لخدمة دينهم، فكانوا أعلاماً بحق، يعرفهم أهل الذوق والأدب، ويقدِّم الآباء نتاجهم لأولادهم دون خوف أو وجل..

ثم أعلامٌ للجهاد لم تلنْ لهم قناةٌ أمام جنودٍ مدجَّجين بالسلاح والعتاد، ولا يناصرهم سوى أفراد، لكنهم أرهبوا دولاً وأقواماً، فرفعوا رؤوسنا، وصرنا أعزّاء، وعلمنا أن العزَّ لا يكون إلاَّ بالقوَّة والرهبة، وأن ذروة سنام الإسلام هي الجهادُ حقاً كما قال رسول الله ﷺ.

نعم.. يجمعهم كلهم العقيدة الواحدة، التي هي أقوى من صلة النسب والقرابة، ولا بأس أن يكونوا من مشارب ومدارس مختلفة، فالهمُّ هو الدين الحق، والإخلاص لله.

وجميلٌ أن يتعرَّف المسلمُ على أعلام أمَّته ولو لم يكونوا من منطقته أو بني قومه أو بلده، أو على غير ما نشأ عليه من أسلوب تربوي وعلمي، فكلهم يأخذون من مشكاة واحدة، هي مشكاة الإسلام، ودين الإسلام دين عالمي، لم يخصَّ الله بفهمه قوماً دون آخرين..

وكم يؤلمني أن أحدِّث عن إخوانٍ لي لا يرون بديلاً لهم من علماء منطقة معينة، أو علماء معدودين في التاريخ الإسلامي، ويضلِّلون سائرهم، وهم الذين لا يجتمعون على ضلالة..

ولا أنسى أخاً فاضلاً استفدتُ من علمه وكتاباتٍ له، فصرَّح لي بلسان فصيح ولهجة مخلصة مع قلب يعتصره الألم، أنه نشأ على كرهِ وبغض علماء مسلمين معروفين في هذا العصر، فلم تسمح له نفسه بالعروج حتى على كتبهم، ولا شراء واحدٍ منها، لكنه كان يقرأ لآخرين من هنا وهناك، ويرى أن

كثيراً منهم يُحيل إلى العالم الفلاني وذاك، وأنه فكر مرة أن يشتري بعض كتبهم.. فرأى فيها العلم الجمّ، والإيمان القوي، والحماس للدين، والصفاء في الفكر، مع قوة في التعبير والأدب تجذب القارىء بسلام وحنوّ، ورفق ولين.. وأنه تابع هذا السبيل، حتى صفا قلبه، فلم يشعر بغلٍّ وحقد على إخوة له وأعلام وقدوة في الدين.. ورجاني أن لا أذكر اسمه لأحد، لأنهم سيشوّهون سمعته، وأنه لا يفيد معهم كلام ولا حوار، فيصبح موضع احتقار العلماء، وجفوة الزملاء، ولا أحد يقرأ له من الأصدقاء..!!

وندعو الله تعالى أن يلهمنا الرشد والصواب، وأن يمنحنا الوفاء لورثة الأنبياء، وأن يرينا الحقَّ لنتَّبعه، وأن يجنِّبنا الباطل وأهله.

وأذكِّرُ القارىء الكريم أن هذه اللقاءات ليست اختياراً مما وجدت، بل هي ما وقفت عليها وقدرتُ على تحصيلها، فإذا تكوَّن لدي غيرها كان الجزء الثاني إن شاء الله.

وقد رتبت هؤلاء الأعلام حسب وفياتهم، الأقدم منهم وفاة فالأحدث.

ونبَّهت إلى أن بعض هذه اللقاءات قد لا تكون آخرها، وإنما قلت ذلك ظناً، وأشرت إليها في مواضعها.

وقد وثَّقتها جميعاً من مصادرها بأمانة، وقدَّمتُ بين يديها تعريفاً بصاحب اللقاء، كله من كتابي «تتمَّة الأعلام»، المطبوع منه والمخطوط، ثم حديثٌ في مناسبة اللقاء، فنصُّ الحوار.

ولم أحذف شيئاً من نص الحوار إلا بعض العناوين الجانبية ولا عدَّلتُ في لغته إلا ما ندر، ولم أعلق عليه، وتَبَّعتُ الحديث كله على أهله.

وليست هذه الحوارات شاملة، فأصحابها ما كانوا يدرون أنها هي الأخيرة في حياتهم، وإلاَّ فإنهم ربما قالوا أشياء أخرى مؤثِّرة جداً، بل إن بعضها آنية تخصُّ فترة معيَّنة، أو موضوعاً معيناً كان مُثاراً في حينه.

وفي هذا وذاك فائدة لا تخفى.

والحمد لله ربِّ العالمين.

محمد خير رمضان يوسف

شعبان ١٤٢٥هـ

عبدالحليم محمود
(شيخ الأزهر.. هموم الأمة ودستور المسلمين)

الترجمة:

كان عالماً وصوفياً متعمقاً، يهمُّه سلوك المسلمين ورفعتهم، يهتم بالجانب التربوي كما يهتم بالجانب العقدي والفقهي. حجَّ بيت الله مراراً، واستعانت أكثر من دولة وجامعة بجهوده، اختلط بعلماء وباحثين معاصرين وسمع منهم ودرس معهم الكثير عن الإسلام، عيّن وزيراً للأوقاف فشيخاً للأزهر، طالب بتطبيق الشريعة الإسلامية، وكتب عشرات المقالات ليعلن أن مصر لم تعرف الأحكام المدنية إلاّ بعد الاحتلال الإنجليزي، وأن الشريعة بعد هذا التاريخ بقيت في مسائل الأسرة وما يعرف بالأحوال الشخصية، وعلينا أن نطالب

بتعميمها في كل المواد، جنائية ومدنية ودستورية ودولية.. وأبى أن يشترك في ندوات تدعو إلى تعاون المسيحية والإسلام، ومما يؤسف له أنه هنأ الرئيس أنور السادات بمناسبة اتفاقية كامب ديفد!

له مؤلفات عديدة، منها: الإمام الرباني الزاهد عبدالله بن المبارك، التفكير الفلسفي في الإسلام، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، التوحيد الخالص.. وغيرها.

مات سنة ١٣٩٩هـ، رحمه الله.

هذا اللقاء:

❁ كانت الحجاز آخر رحلاته إلى الخارج، حيث شارك علماء المسلمين في المؤتمر الذي عقدته عام ١٣٩٨هـ أمانة المؤتمر الإسلامي بجدة عن تطوير الدعوة الإسلامية، وقد قام عقب انتهاء المؤتمر بأداء العمرة وزيارة قبر المصطفى ﷺ.

❁ من وصايا الشيخ التي ظل يطالب بها حتى آخر لحظة في حياته الاستمرار في فتح المعاهد الأزهرية والاستمرار في المطالبة بتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية، كما ذكر أحد المقربين إليه أنه أوصى بأن يدفن بجوار ابن عطاء الله السكندري، غير أن الأسرة أصرت على أن يدفن في قريته.

❁ من آخر قراراته قبل دخوله المستشفى تعميم معاهد القراءات في جميع محافظات الجمهورية، باعتبارها تخدم القرآن وتسدّ حاجة مصر والعالم الإسلامي من القراء، كما اعتمد أكبر حركة ترقيات في الأزهر شملت نحو ألف من العاملين في الأزهر، وقد كانت آخر مذكرة اطّلع عليها عن تدعيم المناطق التعليمية والإدارة العامة لشؤون القرآن الكريم.

❁ كان مهتماً في آخر أيامه بمشروع الدستور الإسلامي الذي كان سيعرض على المؤتمر الدولي التاسع لعلماء المسلمين الذي نظمه مجمع البحوث الإسلامية في القاهرة فيما بعد.

❁ وصلّى ركعتين لله قبل الدخول إلى غرفة العمليات، وظلَّ يؤدي

الصلاة متيمماً من حجر جاف بعد إجراء الجراحة، وظلَّ هكذا حتى لحق بالرفيق الأعلى[1].

❁ لقد دافع عن الإسلام بكل ما يملك من قدرة وقوة ووسيلة، في وجه الشيوعيين والعلمانيين والمستشرفين والمنصِّرين.

ودافع عن القدس الشريف ونافح هناك في الكونجرس الأمريكي، وفي محادثاته مع الرئيس كارتر.

❁ وسافر إلى أقطار العالم الإسلامي يسعى إليهم ليتعرف على أحوالهم، وليحلّ ما يمكنه حلّه من مشكلاتهم، فلا يكلف الله نفساً إلاَّ ما آتاها.. وقد أثر كثيراً في هذه الزيارات في يقظة الحركة الإسلامية مع هدوئه الهادىء ووقاره الرزين الثابت، فلم يبق أمامه إلاَّ أن يضع دستوراً إسلامياً تحتذى حذوه كل بلد إسلامي يريد أن يقيم حياته التشريعية على أساس من دستور إسلامي.. فكان هذا الدستور.

وكان خاتمة أعماله المجيدة.. فقد انتهى الدستور طباعة يوم ١٥ أكتوبر سنة ١٩٧٨، وكانت وفاته يوم ١٧ أكتوبر سنة ١٩٧٨ فكانت خير خاتمة لرجل عالمي في ربانيته وسلفيته[2].

ولأهمية هذا العمل الجليل، آثرنا أن نضع «نص الدستور» في آخر هذا الكتاب (الملحق).

ومن حقّ علمائنا أن نبرز أعمالهم الجليلة ونشيد بها، وخاصَّةً أننا نرى ما يحلُّ بالأزهر اليوم، وفتنة القائمين عليه، وعلى رأسهم كبيرهم، نعوذ بالله من الضلال، ومن الركون إلى الذين ظلموا.

أما هذا الحوار، فقد أجراه معه الأستاذ جلال الجويلي في منزله قبيل وفاته، وأتركه بنصّه مع تقديمه وتعليقه، وقد نشر في مجلة: «الأزهر» (محرم ١٣٩٩هـ)، ص٢٣٧ ـ ٢٤٢.

---

(١) من ملف خاص عن الراحل كتب في مجلة: «الأزهر» (محرم ١٣٩٩هـ)، ص٢٤٧ ـ ٢٤٨.

(٢) من كتاب: شيخ الإسلام عبدالحليم محمود: سيرته وأعماله/ رؤوف شبلي، ص٥٧.

نصُّ الحوار

قال محاوره الأستاذ جلال الجويلي:

في مسكنه المتواضع في البيت رقم ٢٤ في شارع العزيز بالله في الزيتون كان لقائي مع الإمام الأكبر الدكتور عبدالحليم محمود شيخ الجامع الأزهر.. ولم أكن أتصور وقتها أنه اللقاء الأخير.

كان قد انتهى من صلاة المغرب.

هنا يعيش الرجل منذ أربعين عاماً، أي: منذ أن عاد من باريس بعد أن حصل على درجة الدكتوراه من السوربون.

كان يرتدي جلباباً أبيض.. نفس لون المسبحة التي كان يضغط عليها بين أصابع يديه، لم يتوقف عن الضغط عليها على مدى ساعة أمضيتها أستمع إليه حول هذا الذي أصاب حياتنا من حيث سلوك الناس.

العصبية تسيطر على الكل، الألفاظ الجارحة تبدر من الكل، لا فرق بين أستاذ الجامعة أو صبي فران، لم يعد أحد يحتمل أحداً، كما لو كان الصبر قد نفد في صدور الناس جميعاً، صحيح أن الحياة اليومية تزداد تعقيداً...

س: لكن هل يعني ذلك أن تضيع الأخلاق؟

ج: ردَّ الإمام الأكبر: الواقع أن هناك آفات كثيرة في المجتمع لم تكن موجودة في بعض العصور، حقيقةً أن كل عصر من العصور فيه آفاته أو فيه مفاسده، لكن هذه المفاسد في كثير من العصور لم تكن عامة على هذه الصورة التي نراها الآن.

سلوك الناس في المجتمع يصدر عن الوضع الحقيقي الذي ينبغي أن يكون.

الإنسانية تركت تشريع الله سبحانه وتعالى في الأخلاق، تركت تشريعه في السلوك، تركت تشريعه في القانون، لكي تفرض أهواءها هي.

في كثير من العصور كانت البلاد تحكم بناءً على أهواء الحاكم: ديكتاتورية كاملة من فئة قليلة تسود الأغلبية العظمى اعتماداً على القوة التي تجعل هذه الأغلبية ترتدع ثم تطيع، هكذا عندما انحرفت الإنسانية عن الأوضاع الإلٰهية كانت كل هذه النواحي من الفساد في الأخلاق والفساد في السلوك، هذا الانحراف عن الأوضاع الإلٰهية تجده على سبيل المثال في التعليم عندنا، لم يكن من المنتظر مطلقاً أن ينفصل التعليم عن الدين، كان الرئيس السادات موفقاً حين وضع المنهج الذي ربط فيه العلم مع الإيمان، إننا لو اتّبعنا هذا المنهج، أي: حققنا توازن العلم مع الإيمان في البيئة التي نعيش فيها، كانت الأمور قد سارت على أوضاع تختلف عن أوضاعنا التي نعيشها، كانت الأمور سارت إلى أوضاع أحسن، أوكل الله إلى الإنسانية أمر الجانب المادي لكنه لم يكل إليها جانب السلوك ولا جانب الأخلاق، بل أوكل أمره إلى تشريع منه هو.

في الجانب المادي تقدّمت الإنسانية حتى وصلت إلى القمر، إلى الكواكب السماوية أو إلى غير ذلك من وسائل الكشف مع وسائل التدمير أيضاً، لكنها في الجانب الآخر، جانب السلوك، جانب الأخلاق، لم تلتزم تشريع الله.

لو اتبعنا الذي أحبه الله لنا من السلوك والأخلاق والعقيدة ومصدرهم الدين وأن المادة طبيعة أو كيمياء أو فلك إلى غير ذلك مصدرهم التجارب مع الحواس.. كان الأمر يسير على نسق يرضي.

على الهامش:

من كان يتصور أن التعليم في مصر ـ الذي كان أساسه الدين حتى نهاية القرن الثامن عشر ـ يصبح في مدارس بلد الإسلام أقلّ شأناً من

الرياضة.. على أي حال؛ ما من شك في أن وزير التعليم رجل صالح، رجل مخلص يهمه كل الأهمية أن يأخذ الدين جوّه الصحيح في مدارسنا.

لكن ماذا أقول! إذا كانت التقاليد جرت على أن يكون الدين على الهامش حصصاً! على الهامش امتحان، على الهامش من ناحية انتقاء الصفوة الممتازة التي تتولّى تعليم الجانب الديني، أرجو الله أن تتعدل الأمور.

في هذه المناسبة أريد أن أقول: إننا مع الأسف نأخذ عادة الأمور تقليدياً، ثم نسير في هذا التقليد إلى أبعد الحدود، مثلاً هذا التعليم المدني الذي أدخله عندنا في مصر في صورته الحالية هو الاستعمار الذي أراد أن يكون التعليم بعيداً عن الجوّ الديني الصحيح السليم.

ويقفز الحديث إلى داخل الأتوبيس في بلادنا.

س: ترى.. ما رأي الإمام الأكبر في هذه الصورة المؤلمة، صورة المواطنة المصرية التي تكافح في شرف من أجل حياة أفضل، سواء كانت عاملة أو مدرسة أو طبيبة أو مهندسة تهدر كرامتها داخل الأتوبيسات التي تجري في شوراع مصر، قد شكت المواطنة عن كل ما يجرح كرامتها في الأتوبيس من أجل أن تكون في موقع عملها في الموعد المحدد، أو في البيت من أجل الزوج أو الطفل، كيف يرى الإمام الأكبر هذه الصورة؟

ج: ردَّ الدكتور عبدالحليم محمود: الواقع أن المجتمع شغل نفسه في أشياء غير الأشياء الأساسية، من الأشياء الأساسية سهولة المواصلات، لماذا نجد أن البلاد الكثيرة فيها مواصلات سهلة لا تعرف هذا الازدحام أو ليس فيها كما يقولون علب السردين هذه، بينما نحن هنا نجد هذه المشقة في المواصلات، لماذا لا تيسر المواصلات؟

ثم أضاف: كما أن النساء أنفسهن عليهن لوم كثير، المرأة تخرج غير متحشمة، إلى جانب أنها تخرج سواء كان هناك سبب أو دون سبب، بينما كان من الممكن أن تبقى في بيتها معززة مكرمة.

من ناحية أخرى هناك أشياء كثيرة غير ميسرة، من الواجب أن نعنى بها عناية كبيرة، هناك أمور كثيرة في مجتمعنا هذا الآن من الممكن تيسيرها

لكن مع ذلك لا تيسر، كما لا يهتم أحد أو يعمل على تيسيرها.

هناك مرفق المياه، هناك مرفق التليفونات، هناك مرفق الكهرباء، هناك التموين، كل هذه النواحي لا تسير على الوضع الذي ينبغي أن يكون.

الحرب انتهت من فترة، البلاد التي دمرت في الحرب أعيد بناؤها في سرعة ثم استقرت فيها الأمور أو سارت على خير ما ينبغي، اليابان مثلاً أو ألمانيا الغربية، كل هذه البلاد دمرت تدميراً في الحرب، ولكن مع ذلك استقرت أمورها بعد ذلك.

نرجو من الله أن يهب لمصر القوم الذين يخلصون لها، وتسير الأمور على خير ما ينبغي إن شاء الله.

اقطعوا أيدي النشالين:

ثم مرة أخرى نعود إلى الأوتوبس، فسألته:

س: عن رأيه في موقف المواطن الذي طعن نشالاً في الأوتوبيس بعد أن حاول هذا النشال أن يطعن المواطن الذي ضبطه أثناء محاولة نشله؟

ج: ردّ: هذا من غير شكّ دفاع عن النفس، لكن المشكلة في أساسها: لِمَ يوجد النشال في مجتمعنا نحن؟ وجود النشال في مجتمعنا يبيّن إلى أي مدى قد بعدنا عن الجوّ الإسلامي أو الأخلاق الإسلامية.

لو سرنا على النمط الإسلامي، على الأخلاق الإسلامية، لما وجد النشال في مصر.

هذا الرجل أخذ السكين من النشال كان يدافع عن نفسه، لكن هناك أشخاصاً من الضعف إلى حدّ أنهم لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم، ولذلك يفتك بهم النشال.

هناك حوادث كثيرة من هذا النوع لو ارتدع النشال، أي: لو طبق عليه العقاب الإسلامي لما عاد إلى هذا.

سبة في جبين مصر:

ثم من النشالين إلى المتسولين الذين أصبحوا ظاهرة اجتماعية خطيرة في مصرنا، سألته:

س: هل يجوز أن يكون عندنا متسولون؟

ج: يقول الإمام الأكبر: هناك أمر في غاية الأهمية هو انصراف المجتمع عن أداء الزكاة، لو أدّيت الزكاة على ما ينبغي أن تكون عليه لما كان هناك هذا الجمع الغفير من المتسولين. الواقع أن هؤلاء المتسولين سبة في جبين مصر، المسألة يجب أن تنتهي على الفور، يجب أن نأويهم ثم نعمل على تدريبهم على الحرف اليدوية حتى نوفر لهم الحياة الكريمة، يجب أن نقيم المؤسسات من أجلهم.

تربية الضمير:

ثم من النشالين إلى المتسولين إلى أجهزة الدولة التي تذيق المواطنين الأمرّين قبل أن تؤدي واجبها نحوهم، هناك أمران:

الأمر الأول: عدم تربية الضمير، عدم وجود أهمية لتربية الضمير في مجتمعنا المصري، سواء عن طريق المدارس أو عن طريق وسائل الإعلام.

الأمر الثاني: عدم مؤاخذة المهمل أو اللامبالي، إننا لو أخذنا هؤلاء، أي: لو كان هناك عقاب على تأخير أعمال المواطنين لما ساروا على هذا.

س: ثم عن أزمة الشباب في مصر تحدثنا عن الشباب الذي يقف عاجزاً أمام تحقيق أمنيته في الزواج أمام الأزمة الطاحنة في المساكن أو في المغالاة في المهور.

ج: قال الإمام الأكبر: في أقطار كثيرة يحصل الموظف في بدء حياته على أضعاف ما يبدأ به الموظف في مصر، مع أن الحياة في مصر في الواقع أصبحت صعبة، بينما المرتّب الذي يبدأ به الشاب حياته ٢٠ جنيهاً أو أكثر لا تكفي حقيقةً لا لمسكن ولا لمعيشة.

لو أن الموظف حصل في بدء حياته على مرتّب لا بأس به، يستطيع أن يحقق الحياة الكريمة، ما كنّا نسمع عن هذا التحلل الأخلاقي في كثير من نواحي الحياة، كما يجب تركيز الجهود على بناء المساكن الاقتصادية التي تساعد على حلّ هذه المشكلة.

الأحياء في المقابر:

هنا سألته:

س: رأي الدين في شأن المواطنين الذين زحفوا على المقابر يزاحمون الأموات في سكناهم، إن عدد الذين يعيشون الآن في الأحواش يزيد على نصف مليون مواطن، يعيشون حياتهم الدنيوية فوق أجداث إخوتهم الذين سبقوهم إلى العالم الآخر؟

ج: قال الإمام الأكبر: في حقيقة الأمر كلما كانت هناك ضرورة حتمية كان هناك جواز في الشرع، الذي يبيح أو يسمح حينما تكون هناك ضرورة حتمية.

إن هؤلاء الذين يسكنون المقابر ما كانوا يحبون ذلك أو يميلون إليه ويرغبون فيه، لكنهم سقطت بيوتهم دون أن يجدوا مساكن أخرى تأويهم، إلاّ أنه في حالة انتفاء الضرورة يجب على المواطن الذي يقيم في المقابر أن ينتقل إلى المسكن الذي يتاح له.

س: ثم جاء دور التلفزيون. أين هو من كل ما أصاب حياتنا؟ أين الإذاعة أيضاً من كل هذا؟

ج: أسرع الإمام الأكبر يردّ: هناك برامج كثيرة لا بأس بها في التلفزيون أو الإذاعة، لكن شهر العبادة لم يمنع المسؤولين في التلفزيون من أن يقدموا أشياء لا يرضى عنها الضمير الحي أو يرضى عنها الخلق السليم أو يرضى عنها الإسلام.

كان يجب أن ينتهزوا شهر رمضان الذي هو شهر التقوى لكي يهيّئوا

المجتمع الإسلامي ـ الذي هو مهيأ من أجل الصوم ـ لكي يتقبّل النصائح أو المواعظ، أي: نهيىء له جوّاً من الإيمان، جوّاً من التقوى سليماً خالصاً صافياً من شوائب الخرافات، من شوائب الأساطير، من شوائب اللهو في هذا الشهر المبارك.

الواقع أن التلفزيون أداة من أكبر الأدوات في مجال إصلاح الأخلاق أو إفسادها، عليه يعتمد الكثير من صلاح المجتمع أو فساده.

ليس من المعقول أن يقدّم التلفزيون امرأة راقصة في يوم إسلامي بينما هي تشبه أن تكون عارية.

إنه يفعل ذلك في كثير من الأوقات، كما أنه ليس من المعقول أن تأتي منه هذه الأغاني العابثة اللاهية التي تدعو إلى أشياء كثيرة من التحلّل أو من الإباحة في الجوّ الإسلامي.

كما ينبغي أن يكون هناك ضمير حي عند المشرفين على هذه الأدوات حتى تكون هذه الأدوات أداة إصلاح.

لكن ليس من المعقول أن ننفق هذه الآلاف بل الملايين في هذه الأمور التي تفسد المجتمع.

كان ينبغي أن يكون هناك ضمير حي عند المشرفين على هذه الهيئات.

س: ثم من التلفزيونات إلى الشباب على كل ما هو عليه، حيث سألت الإمام الأكبر أن يتكلم إليه في كل موقع.

ج: قال الإمام الأكبر: أدعو أبناءنا أن يجدُّوا في أعمالهم.. الوطن في حقيقة الأمر في أشدّ الحاجة إلى شبان مخلصين يعملون من أجله حتى يرتفعوا به إلى المستوى الذي وصلت إليه الأوطان الأوربية.

كنت قد استأذنت الإمام الأكبر في ساعة بعد المغرب، حرصت على أن أكون ملتزماً أمام الرجل الذي يستقبل من بعد المغرب حتى صلاة العشاء عشرات من أبنائه الذين يحرصون على أن يستزيدوا علماً.. ولكنه رحل وتركهم، وكان آخر لقاء!

صبحي الصالح
(العالم العلاّمة المجتهد)

الترجمة:

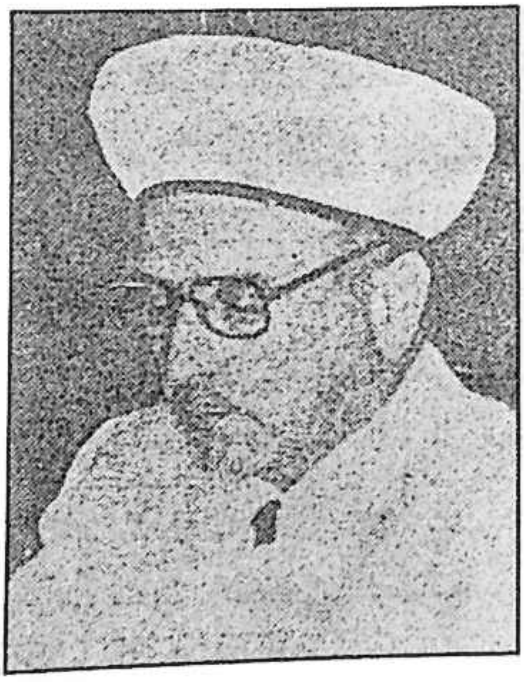

من طرابلس الشام، نال الشهادة العالية من الأزهر، ودكتوراه الدولة في الآداب من فرنسا، أستاذ الإسلاميات وفقه اللغة في الجامعة اللبنانية، عضو في مجامع وهيئات، الأمين العام لرابطة علماء لبنان، منحته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم جائزة «التفكير الاجتهادي في الإسلام»، له مؤلفات عديدة، منها: النظم الإسلامية، نهج البلاغة (تحقيق)، مباحث في علوم القرآن، علوم الحديث ومصطلحه، معالم الشريعة الإسلامية.. وغيرها.

اغتيل في بيروت في الثالث من صفر سنة ١٤٠٧هـ، عليه رحمة الله.

هذا اللقاء:

لم يكتمل اللقاء!

كانت الحرب اللبنانية الأهلية في أوجها!

قتل قبل أن يكمل موضوعه.

كان الموعد الآخر بعد خمسة أيام، لكنه لم يعش بعده أكثر من يومين!

دعنا مع المحاور ليحدّثنا عن موضوع هذا اللقاء وظروفه، وجانب من شخصية صاحبه، بأسلوب صحفي جميل[1].

اتصلت به رحمه الله مساء يوم الأحد، أي: قبل يومين من اغتياله وطلبت منه موعداً لإجراء مقابلة «للرسالة الإسلامية».

سألني عن موضوع المقابلة، ولما «طمأنته» أن لا علاقة له «بالوضع اللبناني» القائم، لم يتردّد بلقاء المندوب في اليوم التالي، وما بين الثانية والرابعة، أي: في الوقت المخصص لتناول غدائه.

الموضوع كله يدور حور الأنبياء والرسل.

س: هل آدم نبي من الأنبياء؟ وما الدليل على نبوّته من القرآن الكريم والسُنّة النبوية الشريفة؟

س: هل النبيّ والرسول شخص واحد، أم أن كل رسول نبيّ، وليس كل نبيّ رسولاً، كما يقول بعض العلماء، وما هو تعريف الرسول والنبيّ من الكتاب والسُنّة؟

س: هل كانت للرسول محمد ﷺ معجزة حسيّة تشهد له بصدق الرسالة حتى تكون هذه المعجزة سبيلاً لإيمان الناس بالله عزَّ وجلّ، أم أن معجزة الرسول ﷺ للعالمين جميعاً هي القرآن الكريم؟

تناول صبحي الصالح رحمه الله ورقة الأسئلة، وبعد أن قرأها جيّداً، التفت إلى من كان حوله من الطلبة وأساتذة الجامعة، وقال:

«كل سؤال يحتاج إلى كُتيّب للإجابة عنه، دعونا نبدأ بالسؤال الأول».

... وراح رحمه الله يتدفّق كنبع ماء غزير معطاء، بتأنٍّ ورويّة، وزملاؤه من أساتذة الجامعة، وطلبته من حوله، وقد ران عليهم هدوء

---

(١) أجرى هذا اللقاء طارق البكري، ونُشر في مجلة «الرسالة الإسلامية» ـ طرابلس ـ (صفر ١٤٠٧هـ) ص١٦ ـ ١٨.

عجيب، وأنظارهم معلّقة بهذا الوجه الأبيض الدقيق، ذي اللحية البيضاء الخفيفة والعينين الأشهلين الزرقاوين، والعمة البيضاء، تكلل هامة هذا العالم العلاَّمة كالتاج، فتضيف على الموقف جوّاً أكاديمياً قلَّ نظيره.

كيف لا، والمحاضر، هو صبحي الصالح، والموضوع هو عن الأنبياء والرسل، والمكان هو مكتب المحاضر الخاص في الجامعة اللبنانية في بيروت، بيروت الحالية بكل ما تعنيه..!!

... وفجأة، يتوقف المحاضر، ليهمس لأحد طلبته ببضع كلمات، ثم يعود إلى وصل ما انقطع من حديثه.

وبعد لحظات رنّ جرس الهاتف، وكانت المتكلمة على الخط الآخر زوجته، وهي أستاذة في الجامعة اللبنانية، واستوضحته عن سبب عدم مجيئه لتناول الغداء، فأجابها معتذراً بأنه مشغول في لقاء مع «الرسالة الإسلامية».. وعاد إلى الحديث من جديد.

وقرابة الرابعة بعد الظهر، أي: بعد ساعتين تماماً، انتهى الدكتور الصالح رحمه من الإجابة عن السؤال الأول فقط، واعداً بلقاءٍ ثانٍ مع «الرسالة الإسلامية»، بعد صلاة الجمعة الآتي، لإتمام اللقاء...

وفي التاسعة من صباح اليوم التالي، انطلقت ثلاث رصاصات غادرة من مسدس أخرس، لتقضي على هذا العالم العلاَّمة، ولتطمر هذا النبع الغزير المعطاء، الذي كثيراً ما روى من الأنفس العطشى إلى العلم والمعرفة.

... وكان هذا آخر لقاء صحفي مع صبحي الصالح، رحمه الله وغفر له...

نص الحوار

سألنا الدكتور صبحي الصالح، رحمه الله:

س: هل آدم نبيّ من الأنبياء؟ وما الدليل على نبوّته من القرآن الكريم والسُنّة النبوية الشريفة؟

ج: عندما نفهم المراد من النبوّة بمفهومها الديني، نميل إلى تصويب الرأي القائل أن آدم أبا البشر، كان نبيّاً في فجر الحياة البشرية، لأن حصر النبوّة في معاني الوحي المقترن بالتبليغ لم يرد في مجاله الديني الخالص، إلاّ عند تفرقة العلماء بين العاديين من البشر والأشخاص المميزين الذين اختصهم الله بضرب من الإلهام لم يمنع مثله سواهم، بَيْدَ أن هذا المفهوم الاصطلاحي لم يخطر ببال أئمتنا عندما وصفوا آدم أبا البشر بوصف النبوّة، وإنما كان كل الذي تصوروه مرتداً إلى استنتاجات بعضها وردت به ألفاظ من القرآن الكريم وبعضها الآخر أوحت به جملة من الأنباء المبثوثة في القصص الديني، سواء أصحّت رواياته وأسانيده أم كانت من قبيل الإسرائيليات أو من الأخبار والأساطير المرويّة عمّن أسلم، أو تظاهر بالإسلام من أهل الكتاب ولا سيما اليهود، لذلك أجمع العلماء من سلفنا الصالح على أمرين يتعلقان برمز الجنس الآدمي المكرّم: آدم عليه السلام.

أمّا أحدهما فكونه أباً لهذا الجنس، وأما الثاني فكونه نبيّاً بالمعنى الأصلي لهذا اللفظ في العربية، لأن من اختاره لتجسيد الكائنات المفضلة عنده يستبعد في بداية الخلق أن يكون اعتيادياً كسائر الآدميين المتشعبين المتفرعين عن أصله الأصيل، فرأوا أن هذا المعيار وحده لا يسلم إلاّ بمزاوجة بين معنيين: أحدهما: أصل الأبوّة الذي إليه ينتمي كل الفروع، ثم نفحات وهبها الله آدم على النحو الذي أرادت حكمته عزَّ وجلّ، ليُتاح لهذا

الأصل الآدمي الأول أن يكون محفوفاً بعناية خاصة، كان من المستحيل أن يشاركه فيها من لم يكن قد خلف أو ولد من فروعه وبنيه.

ومن العجيب أن بعض علمائنا القدامى أثاروا جدلاً حول أولية المخلوقات الأرضية العاقلة في شخص آدم، أكثر مما أثاروا من تساؤلات حول نبوّته.

هل كان آدم مسبوقاً بخلائق عاقلة؟

وإنما دعاهم إلى مثل هذا التصوّر الاحتمالي أو الافتراضي ظاهر بعض الآيات القرآنية التي استنتجوا منها أن آدم كان مسبوقاً بخلائق وكائنات عاقلة قبله، كانت تسمى: «الجِنْ والبِنْ» في مقابلة: «الإنس والجن» وإنه بناءً على افتراضهم، كان خليفة عن هؤلاء الخلق، خلفهم وحلّ محلّهم بعد أن انقرضوا ليقوم هو ونسله من بعده بعمارة الأرض وتجميل الكون وتنمية الحياة والأحياء، كما يشير ذلك قوله تعالى في سورة البقرة:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

ولكنّ المحققين من العلماء ـ لو أن بعضهم أقرّ بتلك الروايات التي ورد بشيء منها في كتاب: «البدء والتاريخ» لأبي زيد البلخي ـ أكّدوا أنها برمتها لا ينبغي أن تعارض أبوّة آدم لهذا الجنس البشري بالذّات، سواء أكان مسبوقاً بكائنات تشبهه من بعض الوجوه أم غير مسبوق، لأن الخلق الذين صرّح القرآن بتفضيلهم هم بنو آدم بالذات مصداقاً لقوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾.

العصمة عند الرسل والأنبياء:

وبرغم اتفاق العلماء على نبوّة آدم فوق كونه أبا البشر، أوردت طائفة من المتكلمين شبهاً حول هذه القضية عندما استغربوا أن تقع معصية ممن

وُصف بالنبوّة، ومن ذلك في حق آدم: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾.

وقالوا: كيف يمكن أن يكون نبيّاً من عصى وغوى، مع أن من أهم أوصاف النبوّة العصمة من الوقوع في المعاصي، ولا سيما إذا كانت من الكبائر، وقد حمل هذا التساؤل بعض فلاسفة الإسلام على التمييز بين مفهوم العصمة عند الرسل ومفهوم هذه العصمة عند الأنبياء، لأن الرسول يُوحى إليه ويُكَلَّف تبليغ دعوة تلقاها من ربّه عزَّ وجلّ ليبلغها وليلقنها الناس، بينما يلهم النبيّ وتوحى إليه أشياء لا يكلّف تبليغها للناس بصورة حتمية، ولكن المتكلّمين السلفيين ردّوا على هؤلاء دعواهم مؤكّدين لهم أن العصمة ليست شرطاً في الرسول فقط، بل هي شرط يشمل في الوقت نفسه كلاً من الرسول والنبيّ.

ونبّهوا في ضوء الأسلوب البيان العربي إلى نقطة لم يفطن لها المفسرون بالمأثور، وإنما يفطن بها البلغاء وأصحاب الأدب الرفيع، وذلك عندما يعبّر عن جنس ما بأصله الأول وعن القبيلة بجدها، وعن النموذج بكل ما يندرج فيه من صفات ومزايا وتصرفات، فكما كان آدم خليفة في الأرض يمكن أن يقال إن أبناءه وذرياته إلى يوم الدين هم خلفاء في الأرض أيضاً.

وعلى هذا إذا قيل في حق آدم: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ﴾ فالمراد: أن بني آدم مستعدون استعداداً فطرياً للوقوع في المعاصي، فيراد من الوصفية هنا، ما يصدق على الجنس الكُليّ، أو النموذج الإنساني الآدمي، قبل أن يراد به على وجه التشخيص والتعيين شخص آدم بذاته.

ويزيدنا تمسكاً بهذا الفهم البلاغي حوار الملائكة المذكور نصّاً في سورة البقرة:

﴿قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾.

فإن قصدوا أن آدم بالذات أفسد في الأرض بدلاً من أن يُعمّرها، أو سفك الدماء بدلاً من أن يصونها، فهذا ما لم يقل به أحد ولم يرد في أية رواية صحيحة، وإنما المراد: أن ذرية آدم التي ستتعاقب خلقاً من بعد

خلق، حتى تُبدّل الأرض غير الأرض والسماوات، قد أُعطيت استعدادين: أحدهما: القدرة على الخير، والآخر: في القدرة على الشر، فبنو آدم هم الذين قد يقتلون، كما أخبرنا الله عن ابني آدم اللذين قرّبا قرباناً، وهم الذين يخربون بدلاً من أن يبنوا، وهم الذين يفسدون في الأرض بدلاً من أن يصلحوا، أمّا آدم بالذات فلا يستطيع أحد أن يلصق به وصفاً من هذه الأوصاف التي يتنزّه عنها أفاضل الخلق قديماً وحديثاً، فضلاً عن أنبيائهم الذين عصمهم الله من الخطأ والانحراف.

الخلاصة:

والخلاصة أن آدم عليه السلام كان أباً لهذا الجنس البشري المكرّم، كان في تقدير الله وحكمته أوّل كائن عاقل ألهم نوعاً من العلم اللدنيّ الكشفي الذي لم يكتسبه اكتساباً لأنه كان في فجر ظهور البشرية، وإنما كان نوعاً من الضياء أنار الله به بصيرته، وسمّاه علماً وتعلماً، فقال:

﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾.

فإذا تعذّر على علماء الكلام وفلاسفة الإسلام أن سمّوا آدم نبيّاً بمقتضى مصطلحاتهم الجافة التي وضعوها من عند أنفسهم [هكذا؟]، فإن تصوّرهم يظل فاقداً كل قيمته من الزاوية اللغوية والبلاغية والأدبية، وخصوصاً من الزاوية الوجدانية الدينية، بمنطقها الوجداني البالغ التأثير الذي لا يمكن معه أن نتصور أبا البشر مجرّد والد، تناسلت منه الذريّات والأجيال.

بل، لا بدّ أن تكون لميلاده البشري الأوّل خصوصية تقرّبه من النبوّة بمعناها الأوسع، الذي لا تقيّدها اصطلاحات المناطقة والمتكلمين.

نجييب الكيلاني
(عميد الروائيين الإسلاميين)

الترجمة:

الطبيب والأديب الإسلامي نجيب الكيلاني، وُلِدَ لأسرة فقيرة في إحدى قرى محافظة الغربية، تخرَّج من كلية الطب، وسرعان ما انضمّ إلى جماعة الإخوان المسلمين، واعتقل لأجل ذلك، وحُكم عليه بالسجن عشر سنوات، وتنقّل بين عدة سجون، وأُفرج عنه إثر إصابته بأعصاب القدمين من جرّاء التعذيب الرهيب.. كتب الرواية التي تعالج القضايا الإسلامية وتعرض مآسي الشعوب الإسلامية وجهادها ضد قوى الشر والظلم والفساد، أبرزها: «عذراء جاكرتا»، و«عمالقة الشمال»، و«ليالي تركستان»، ونحو مائة كتاب أدبي آخر، وترجم كثير منها إلى اللغات الإنجليزية والتركية والأوردية والفارسية.

مات في الخامس من شوال سنة ١٤١٥هـ.

هذا اللقاء:

تحدَّث في هذا اللقاء عن نشأته، ومن تأثّر بهم، وخصائص الأدب

الإسلامي، وحول المعركة بين القديم والجديد، والحرية وأدعيائها، وذكريات من هنا وهناك.

أجرى اللقاء معه الأستاذ محمد عبدالشافي القوصي في قريته شرشابة التابعة لمدينة طنطا قبل وفاته بأيام، ونشر في مجلة: «الخيرية» بالكويت، ع٦١، (ذو الحجة ١٤١٥هـ)، ص٥٤ ـ ٥٥.

ومما جاء في مقدمة الحوار:

يعتبر الأديب الكبير «نجيب الكيلاني» من أبرز الروائيين الإسلاميين في العالم العربي والإسلامي.. فهو أوّل من دعا إلى إنشاء رابطة تضمّ الأدباء الإسلاميين وتذود عن حقوقهم.. وله رحلة طويلة مع الأدب الإسلامي.. تعرّض خلالها للسجون والمعتقلات أكثر من مرة في حياته، وكانت هذه المحن سبباً رئيسياً وراء الإبداع والإلهام الأدبي الرفيع الذي انتهجه في الشعر والرواية.

وقد تأثّر بعدد كبير من الروائيين والشعراء العرب والغربيين معاً.. فجاءت ثقافته مزيجاً من الفنون المتنوعة الراقية التي تجمع بين الأصالة والمعاصرة...

❋ ❋ ❋

نصّ الحوار

رحلة محفوفة بالمخاطر والآمال!

س: د.نجيب الكيلاني.. هل يمكن أن تلقي لنا الضوء حول النشأة وبداية الطريق؟

ج: الحقيقة.. أنني وُلِدت في قرية «شرشابة» بمحافظة الغربية بمصر عام ١٩٣١م، وتلقيت تعليمي الأوّلي في «كُتّاب» تحفيظ القرآن الكريم، فحفظت القرآن، ثم ذهبت للمدرسة الابتدائية، وتبعدعن قريتنا خمسة كيلومترات، وكنا نذهب إليها سيراً على الأقدام، ونادراً ما كنا نذهب إليها على «الحمير» وبعد ذلك أكملت تعليمي حتى بكالوريوس الطب، واعتقلت وصدر الحكم ضدي بعشر سنوات عام ١٩٥٥م، وقضيت في السجن ثلاث سنوات ونصف، بدأتُ خلالها بكتابة القصة.. ونلتُ أكثر من ثماني جوائز من جوائز الدولة في الرواية والقصة القصيرة والدراسات المختلفة، ثم أخذت جائزة نادي القصة والميدالية الذهبية المهداة من الدكتور طه حسين عام ١٩٥٩م، ثم جائزة المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب عام ١٩٦٠م في الرواية..

وعدت للمعتقل مرة ثانية عام ١٩٦٠م قضيت فيه حوالي سنة ونصف السنة، ثم ذهبت للعمل طبيباً في دولة الكويت والإمارات العربية عام ١٩٦٨م إلى أن أنهيت هذه المهمة في العام الماضي.. وأنا متزوج ولي ثلاثة أولاد وبنت.. والحمد لله.

«محمد إقبال» تملّك وجداني:

س: د. الكيلاني.. ترى مَن من الأدباء الذين تأثرت بهم خلال

رحلتك الطويلة مع الأدب الإسلامي؟

ج: في حياة كل منّا أناس استطاعوا أن يشكلوا عقولنا ووجداننا، وأستطيع أن أختار الفارس الذي سيطر على فكري وعقلي منذ بداية الطريق، وهو الشاعر الفيلسوف العلاَّمة «محمد إقبال» الذي وجدتُ لديه ضالتي المنشودة، فهو رجل عاش للإسلام وبالإسلام، وقدّم الكثير من الفكر النظري والتطبيقي من خلال عالمه الشعري والنثري، وأول ما قرأت له ديوانه الشعري الرائع: «ضرب الكلام» الذي استولت كلماته على عقلي ووجداني، فالكثير من أشعاره تبدو وكأني كنت أريد أن أقولها، لكنها كانت حائرة مشتتة في ذهني، فجاء إقبال العبقري وصاغها نظماً كأحسن ما تكون الصياغة وأعمق ما يكون الفكر.

وحاولت أثناء قراءتي لأشعار «إقبال» أن أتبيّن وجهة نظره في الفن، فرأيت أنه يرحّب بالفن الذي يقوي الروح ويسمو بها ويدفعها إلى الحركة الإيجابية والعمل البنّاء، وأخذتُ بعد ذلك أبحث عن كل ما كُتب عن إقبال باللغة العربية، وعجبتُ كيف لم أعرف «إقبال» من قبل؟! ولهذا بدأت على الفور في إعداد دراسة مبسطة للتعريف بإقبال بين أبناء العربية، ونلتُ عليها جائزة وزارة التربية والتعليم، كما حصلتُ بسببها فيما بعد على الميدالية الذهبية من الرئيس «ضياء الحق» في ذكرى إقبال المئوية عام ١٩٧٧م بالسفارة الباكستانية في أبو ظبي.

والحمد لله أنني استطعت من خلال ما كتبه إقبال أن ألتقط الكثير من الخيوط حول ما نسميه اليوم بـ«الأدب الإسلامي».

وكذلك أُعجبت بـ«شوقي» وإن لم يكن شاعراً فيلسوفاً كإقبال، وقد درست شعره باستفاضة وألّفت عنها كتاباً.

أمّا في القصة، فقد تأثرت كثيراً بالكاتب الروسي «ديستوفيسكي» لأني أعتقد أنه من «الناحية الفنية» أعظم كاتب رواية حتى الآن، وقد أجد سعادة كبرى في قراءة «توفيق الحكيم» وعلى «أحمد باكثير» وغيرهم.

الأدب الإسلامي ضرورة:

س: في نظركم، ما القواعد الأساسية والخطوط العامة لما يمكن أن يُسمى أدباً إسلامياً؟

ج: من حُسن الحظ أن الإسلام لم يحدّد «شكلاً» فنياً معيناً يلزمنا به، بحيث ندور في إطاره، فلا نتعدّى رسومه، وإنما حدّد الإسلام «المضمون» أو الفكر الذي يتناوله الفنان في الشكل الذي يختاره..

والإسلام يختلف عن غيره من الفلسفات الإنسانية، فمن الفلاسفة من يرى أن الإنسان طبيعته الشر، وأن الأصل في الحياة الكذب والنفاق والجبن، ومن الفلاسفة من يرى أن الفن غاية في حد ذاته، وليس وسيلة لبلوغ أي هدف، وهم دعاة «الفن للفن».

أما الفنان المسلم فهمه الشامل للحياة والإنسان، وله إيمانه بأن الفن وسيلة لبلوغ غاية عظمى، ألا وهي تكوين «الوجدان» المتشبِّع بروح الخير والحق والحب.

والفن الإسلامي لا يختار نماذجه من أمثلة الخير والحب والفضيلة وحدها، بل يقدّم شتى النماذج خيرها وشريرها، عاليها وسافلها، وإلا انعدمت الحركة الفنية، والصراع النفسي، إنها معاناة أصيلة نابضة، تبعث في نفسه لوناً من ألوان «القلق» العظيم، وتحرمه الرضوخ للكسل والسلبية والأنانية.. وهذا هو الفن العظيم..

وعالم الأدب والفن الإسلامي عالم فسيح رحب، يستوعب التجارب الأسطورية والتاريخية والواقعية المعاصرة، ويجول في أنحاء الشرق والغرب، ويبرز التجارب المحلية والعالمية، ويرتبط بقضايا الإنسان عامة وقضايا المسلمين في شتى أنحاء المعمورة خاصة.

المعركة بين القديم والجديد!

س: هناك فريقان متناحران، أحدهما يرى أن سبب تخلّفنا هو التمسك بالأشكال القديمة في الأدب والفن.. والفريق الآخر يرى أن أي جديد وافد هو رجس من عمل الشيطان.. فما رأيكم؟

ج: الفنان أو الأديب هو مرآة عصره بما فيه من آلام وآمال، وإذا

نظرنا إلى التراث العالمي المعاصر، لوجدنا ركاماً هائلاً من القصص والمسرحيات ودواوين الشعر والأفلام السينمائية واللوحات الفنية وغيرها، كلها تئن تحت وطأة الإثم والتحلل والسخط واللامبالاة، وتعبر عن الرغبة المجنونة في الهدم والتدمير، والرفض الصاخب لصور حياتها السائدة.. ولكن عالمنا العربي لا يرزح تحت نفس الظروف والأوهام والانحرافات التي عانى منها الغرب..

ويؤسفني كثيراً أن أرى مفكرينا وأدباءنا يروّجون للبدع الغربية، وينساقون وراءها دون تروٍّ.. فالمفروض أن يكون أدبنا مرتبطاً بتراثنا وواقعنا ومعبراً عن آمالنا وآلامنا، ونابضاً بقيمنا الروحية الخالدة، وقد استطاع توفيق الحكيم أن يفلت من شباك الأوهام الغربية التي تصيدت معظم أدبائنا ومفكرينا وكتّابنا.

إن ما قدّمه «باكثير» في هذا المجال هو أدب معقول جداً، وهذا يعطينا دليلاً آخر على أن الجري خلف البدع المستوردة لا يكون دائماً خطوة إلى الأمام..

وهذا لا يعني أن نغلق النوافذ والأبواب، ونتقوقع داخل قُمقم من العزلة والأفق الضيق والتعصب، بل لا بدّ أن نكون مستعدين دائماً لاستيعاب التجارب الجديدة، دون أن نفقد أصالتنا وتميّزنا والالتزام بقيمنا الخالدة.

الحرية.. والالتزام:

س: أستاذنا.. هناك من يقول: إن الأدب والفن هو تمرّد على الثوابت، وإن الحرية هي من أهم شروط الإبداع.

فهل ترون أن الالتزام نقيض الحرية.. وما موقف الأدب الإسلامي من هذه القضية؟!

ج: لا بد أن نعلم أن حرية الفكر لم تكن مجرد شعارات تُرفع، أو كلمات جوفاء يتشدق بها الناس، وإنما لا بد أن تكون واقعاً حيّاً ملموساً وسلوكاً عملياً يراه الناس ويمارسونه، وأن الحريات لم تكن مجرد نصوص

في دساتير ومواثيق، وإنما هي تطبيق مؤثر، ودافع قوي للإبداع والخلق..

والصورة الحقيقية لحضارتنا قام بناؤها الشامخ الخالد على دعائم ثابتة من حرية الفكر، فأنجبت نخبة فريدة من عمالقة الرجال في شتى فروع المعرفة الإنسانية.

أدعياء الحرية!

أما عن دُعاة التمرّد وأدعياء الحرية، فكل ذلك بمثابة «بدعة» ليتشبث بها الضائعون والتائهون، وأسموها فلسفة، إنها لا ترمز إلاّ إلى الانعتاق من كل مسؤوليات العقائد، والانفلات من كل القيم.. والغريب أن المروجين لهذه الشعارات يسمونها «موقفاً».. وأحياناً يدعونها وجودية وتعبيراً عن الذات، بل ويحاولون أن يضعوا لها القواعد والأصول!! وقد تكون لهذه «البدع» الفكرية في أوربا ما يبررها، لكن في الشرق المستعبد الممزق التائه، يلتقطونها ويروجون لها، ويتخذونها ديناً جديداً، فيسقطون في خطر داهم، وفناء محتّم.. وهو الخراب الفكري والعقائدي.

والأديب الإسلامي الملتزم، إنه رجل عقيدة وفكر، رجل حركة وعمل، يسترخص كل شيء في سبيل عقيدته، ولا يقيس المعارك بحساب الحياة والموت والخوف والخسائر المادية، وإنما يقيسها بالعمل الجاد والجهاد، وبمقاييس الحق والعدل التي تشربتها روحه من النبع الإلٰهي الصافي.

﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾.

محمد الغزالي
(الداعية الإسلامي العالمي)

الترجمة:

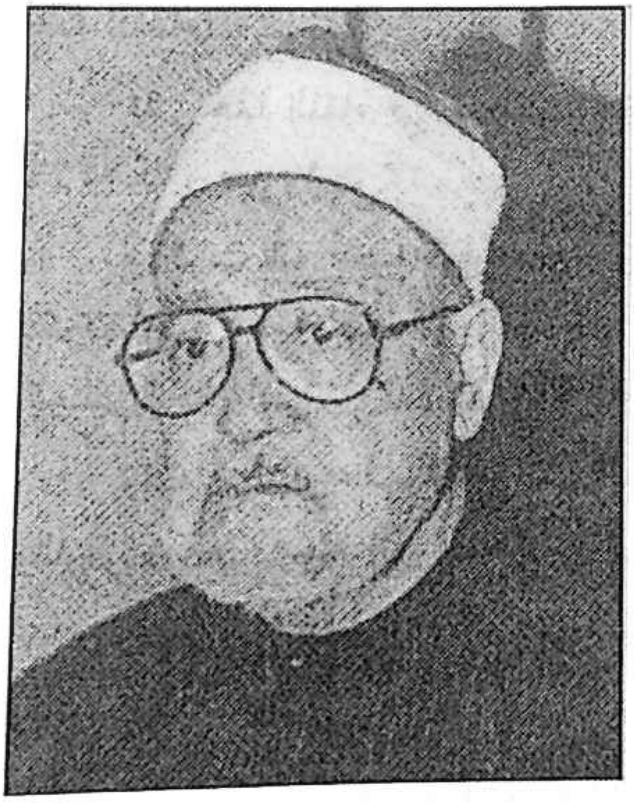

شهرته طبقت العالم كله، على الرغم من ولادته في قرية بعيدة من محافظة البحيرة بمصر، عمل مفتشاً للمساجد، ووكيلاً لوزارة الأوقاف، ودرَّس في جامعات بمصر والسعودية وقطر والجزائر، سمّاه الإمام حسن البنا «أديب الدعوة»، له تلامذة كبار، برز منهم أساتذة تقرُّ بهم العيون، أمثال العلماء الأعلام: يوسف القرضاوي، ومناع القطان، وأحمد العسّال، وعبدالصبور شاهين، بصَّر المسلمين بمكائد الأعداء في الداخل والخارج، وكشف مخططاتهم الماكرة لحرب الإسلام والمسلمين، وفضح دعاوى الاشتراكية والعلمانية والقومية والماسونية بين قوى الشرّ ضدّ الإسلام ودعاته، وكان متوقد الذهن، جياش العاطفة، عميق الإيمان، قويّ العزم، شديد المراس، بليغ العبارة، كريم

الطبع، يعيش الواقع بكل مشكلاته، ويتصدَّى للمعضلات، يكره التعالم والتحذلق.

قال الشيخ القرضاوي: وقد يأخذ الناس على الشيخ الغزالي بعض آرائه وفتاويه، لأنها ليست على مشربهم، ولكن الذي أعلمه أن الشيخ الغزالي لم يخرج في فتوى أو رأي على إجماع الأمة المستفيض.

له مؤلفات كثيرة مطبوعة منتشرة، منها: فقه السيرة، قذائف الحق، حقوق الإنسان بين الشريعة وميثاق الأمم المتحدة، خُلق المسلم، عقيدة المسلم، نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم.. وغيرها.

توفي بالرياض مساء السبت (١٩) شوال ١٤١٦هـ، ودُفن في مقابر البقيع بالمدينة المنورة.

هذا اللقاء:

نشر هذا اللقاء في مجلة: «التقوى» بطرابلس الشام، ع٥٥ (ذو الحجة ١٤١٦هـ)، ص١٠ ـ ١٣.

وذكرت أنه آخر حوار معه، ولعلها تعني مع مجلة: «التقوى»، وقد يكون أجرى معه لقاء آخر لم أجده، حيث توفي وهو يشارك في مهرجان الجنادرية بالرياض. وقد نشر هذا اللقاء بعد وفاته بشهر وعشرة أيام.

وفيه تركيز على الجوانب الفكرية والحركية والحضاية، والجهاد والدعوة، مع وصيته إلى المسلمين في آخر الحوار.

وقُدِّم قبل الحوار كلام مناسب للشيخ يوسف القرضاوي، كتبه بعد وفاته، وهذا هو:

عرفت الغزالي فما عرفت فيه إلاَّ الصدق في الإيمان، والسداد في القول، والإخلاص في العمل، والرشد في الفكر، والطهارة في الخلق، والشجاعة في الحق، والمعاداة للباطل، والثبات في الدعوة، والمحبة للخير، والغيرة على الدين، والحرص على العدل، والبغض للظلم، والوقوف مع المستضعفين، والمنازلة للجبابرة والمستكبرين، مهما أوتوا من قوة.

لقد ترك الشيخ الغزالي بصمات واضحة على العقل الإسلامي، لا يمحوها اختلاف الليل والنهار، بما ألّف من عشرات الكتب، وما أنشأ من مئات المقالات، وما أقام من آلاف الدروس والخطب والمحاضرات، وما أذيع له من أحاديث لا تحصر في الإذاعات والتلفازات.

ربما كان في عبارته ـ في أحيان قليلة ـ بعض الحدة، وما ذلك إلاّ من آثار الحرارة التي تتوقد في صدره، فهو لا يطيق العوج، لا من المسلمين ولا من غيرهم، فإذا رأى عوجاً تأجج قلبه ناراً، تظهر على ثمرات قلمه ولسانه.

لقد مات الشيخ الغزالي، ولكن أفكاره لم تمت، إن الأفكار لا تموت بموت أصحابها، إنها لم تزل حية ناطقة في كتبه الأصيلة المتميزة، التي انتشرت في المشارق والمغارب، وطبعت مرات ومرات، وترجم كثير منها إلى عدد من اللغات، وفي تلاميذه المنتشرين في أنحاء العالم، الذين يحملون دعوته، ويتبنون رسالته.

❊ ❊ ❊

نصّ الحوار

س: سماحة الشيخ هل لنا أن نعرف نبذة صغيرة عن نشأتكم الأولى؟

ج: لقد نشأت في ضمير والدي من لحظة ولادتي، حين اختار لي اسماً ولقباً متيمناً بحجة الإسلام «محمد الغزالي».. ثم ربّاني على حبّ العلم في ظلّ الإشراقات التعبديّة التي كان والدي رحمه الله يلتزم بها نصّاً وروحاً، فلّما درجتُ أرسلني إلى الكتّاب فالمدرسة الابتدائية، ثم إلى الأزهر، وكان يلازمني توجيهاً وتسديداً خلال هذه الفترة، وخلالها كنت واحداً من الأصحاب الكثيرين الذين اصطفيتهم لنفسي في طريقي العلمية والفكرية والدعوية [هكذا]، حتى تعرّفت بالدعاة النصوحين فلازمتهم وتأثرت بهم.

س: لو سمحتم بذكر بعض من هؤلاء الذين تأثرتم بهم؟

ج: الشيخ حسن البنا مثلاً.

س: لقد كنت سكرتيراً للشيخ حسن البنا المؤسس لحركة الإخوان المسلمين في العالم، هل لسماحتكم إعطاؤنا فكرة واضحة عن هذه المرحلة؟

ج: لقد عرفت الشيخ حسن البنا في أواخر الثلاثينات، في الغالب سنة سبع وثلاثين، وهذا من ستين سنة تقريباً، ومنذ أن عرفته وأنا أعتبره أستاذي وإمامي، عنه تلقيت العلم الصحيح والدعوة الإسلامية الراشدة والعمل الإسلامي بأناةٍ وحكمة، وعنه تلقيت الرغبة في دعوة وهداية الناس لقاء ما عند الله من أجر، وعرفت منه أن هذه الدنيا التي يتقاتل الناس على حطامها لا تساوي شيئاً بالنسبة إلى ما يحظى به امرؤ مؤمن أرضى الله في كفاح الجسد والعقل، وإذا كان مؤخراً عرف عن بعض الإخوان أنهم يميلون إلى الشدة والعنف فهذا منهج لا يعرفه حسن البنا، وأظن أنه ينكره أشد

الإنكار، فالذي تعلّمناه منه أن القضايا تعالج بالفكر الحر، وهذا منهج القرآن الكريم، عندما لقي النصارى وغيرهم [هكذا] ماذا قال لهم؟ ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ﴾ حرك العقل الإنساني ﴿إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ﴾ سبحان الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى الله عما يشركون، إن حسن البنا بريء من العنف، صحيح أنه أسس ما يسمى بالنظام الخاص، لكنه كان لا بد من هذا التأسيس لمواجهة عصابات اليهود التي بدأت تحتل فلسطين، لأنه كيف تلقى يهودياً جاء من فنلندا أو أمريكا وغيرهما وقرّر أن يحتلّ الأرض الفلسطينية ويقول للفلسطيني بوقاحة: ليس لك أرض هنا هذه الأرض أرضي، وليست لك أملاك هنا، هذا ملكي أنا.. وأنت كنت يداً عارضة على هذه الأرض وادفع لي إيجار الأيام والسنين والقرون التي مضت.

س: ما هو الدافع الاجتماعي الذي جاء بحركة الإخوان المسلمين في الثلاثينات؟

ج: في الحقيقة أن الأمة الإسلامية في القرون الماضية وجدت انحدارات في فكرها، وسياستها، وفي مجتمعها، وفي قضاياها العامة، لا أستطيع القول أن تأخر المسلمين هو وليد العصر الحاضر، فالمسلمون تدحرجوا عدة قرون حتى وصلوا إلى هذه الهاوية التي انتهوا إليها، وآمل أن يكونوا قد انتهوا عند هذا الحد، فإن كنا نريد أن نصلح الأمور فلا بد من أن ننظر تحت المجهر ونرى الجراثيم التي تسرّبت إلينا ونالت منا الأوبئة الكثيرة، بعضها في فهم الإسلام والالتزام والثقافة الإسلامية، وبعضها في همنا وجرينا وراء الدنيا.

ففي القرآن الكريم يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾﴾.

قال ابن خلدون: كان يملك الأسطول الروماني البحر المتوسط ويسميه بحر الروم، فلما فتحنا نحن العرب مصر والمغرب وبلاد الشام أصبح البحر لنا، إذ كان لا بد أن نملكه كما سخره الله لنا بالأساطيل البحرية، حتى قال

ابن خلدون: كان الأسطول الروماني يتعرض لهجمات الأسطول العربي لأنه وثب عليه كما وثب الأسد على فريسته.

فأريد أن أسأل: كم يوجد في البحر اليوم من حاملات طائرات وغواصات للعرب؟!

الجواب: لا شيء، هل أحد منا يصنع هذه الأشياء؟! حتى الزوارق البحرية في الماضي أهل الصحراء استمعوا واستناروا إلى هذه الآيات فصنعوا السفن، لأنه كانت لهم عقيدة راسخة ونظر ثاقب وهدف واضح.

أما نحن اليوم فكأننا ما سمعنا هذه الآيات فألهينا عن البرّ والبحر.. الإسلام قال لنا: أنتم اعملوا بشؤون دنياكم، أي: أن هناك مبادرة من المسلم لكثير من شؤون الدنيا، فالأنبياء لم يأتوا من أجل أن يعلّموا الناس كيف يأكلون ويشربون، فالصناعات هذه من اختصاص الإنسان، فالإسلام دين واسع ودين عملي، لأنه ينظر إلى الإنسان على أنه روح وجسد، ثم صقل الروح بالعبادات والمعاملات، وصقل الجسد بالنظافة المادية والأخلاقية.

من أجل ذلك قامت حركة الإخوان، وأنشأها حسن البنا، وأقام لها مؤسسات صناعية وتجارية وتعليمية، حتى صارت توازي الدولة المصرية في ذلك، وتبعد الناس عن البطالة وما يتبع البطالة من رذائل ومفاسد خلقية وتفكيكات أسرية، وأعتقد أن هذا الدافع الاجتماعي هو الذي لفت أنظار المسؤولين آنذاك كما لفت اهتمام المراقبين الاستعماريين الذين يريدون للشعوب المسلمة أن تبقى نائمة ضعيفة وتسلم مقدراتها وأمورها إلى أولئك المستعمرين والملاحدة.

س: اتصل العرب أيام العصر العباسي بحضارات عالمية، كانت سائدة آنذاك كاليونانية وغيرها، فوجدنا بعد ذلك فقهياً كابن رشد يستوعب المنطق الأوروبي ويوثقه في تفسير بعض النصوص الإسلامية، كيف ينظر علماء المسلمين اليوم إلى هذه المحاولة، علماً بأن ابن رشد اعتبر في الأكاديميات الغربية رائداً من رواد العقل الذي حطّم كثيراً من الأفكار الهدامة؟

ج: لا شكّ أن ابن رشد هو واحد من فلاسفة الإسلام وله مكانته،

لأنه ناقش أبا حامد الغزالي، وردّ على كتابه تهافت الفلاسفة بتهافت التهافت، وكلا العملاقين ناقش فلاسفة الأغريقية، أما أبو حامد فقد نظر إلى فلسفة أرسطو وأفلاطون وغير ذلك.

وقد سمعت من الدكتور محمد سيد موسى وهو من الأساتذة بجامعة السربون باريس، أن أبا حامد ناقش الإغريقية في ثماني عشرة قاعدة، فبلغ من قوته أنه كان يأتي بالقضية ويذكر دليل أرسطو عليها، ثم يقول: وله أن يقول، ثم يأتي بأدلة أخرى، ثم يردّ على هذه الأدلة كلها التي قالها أرسطو.

أما ابن رشد فكان له فكر آخر، وفلسفته في الحقيقة هي أقرب إلى العقل الإنساني وإلى الفطرة من فلسفة أبي حامد، كلاهما لهم عقل كبير، وفلسفتهما انتفع بها كثير من فلاسفة أوروبا وإن كانوا لا يردونها إلى الإسلام.

س: لماذا انحدر المسلمون اليوم إلى هذا الواقع المتردي الذي نعيشه اليوم في كل المجالات؟

ج: هناك كتاب معروف للشيخ أبي الحسن الندوي، عنوانه: «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين»[1]، يتكلم فيه عن سرّ تخلف المسلمين في فهمهم للعقيدة، في فهمهم للشريعة، في فهمهم لفقه العبادات، في فهمهم للمعاملات، في صلاتهم بالدول الأخرى، في تعاملهم مع السياسة المحلية والعالمية، في أخطائهم الكثيرة، وكم لهم من أخطاء.

فالأولى أن نراجع ذلك الكتاب القيّم لنرى ما فيه.

س: هناك اليوم كثير من الحركات والأحزاب الإسلامية تنتشر على الساحة العالمية، فهل لنا أن نعرف من هي الأصوب في فكرها وتعاملها وطرحها بنظركم؟

ج: أنا لا أعترف إلاَّ بالحركات العقلية، أما ما نشاهده اليوم بأن

---

(١) في الأصل: «سرُّ تخلف العرب والمسلمين»؟

بعض المؤسسات التي فيها الكثير من الشباب المتحمس، والذي هو على غير علم، يحملون المسدسات وما شابه ويركضون بها هنا وهناك، فهذه حركات صبيانية، ولا أستطيع أن أبني عليها شيئاً، ولا أقول إنها دليل على شيء.

هذه الحركات جرّت المشاكل والمتاعب على العلماء والدعاة، وكانت سبباً في إعطاء المبرّرات لضرب الحركة الإسلامية الأصيلة، وأنا وأنت جميعاً نعرف أنه من أجل تصرّف فردي أودى بحياة المئات وشرّد مئات أخرى من العائلات، وأثار الخوف والرعب في صفوف الآمنيين، مع أن الإسلام يحتاج إلى تبيان العقيدة الصافية وإشاعة الإلفة، والانطلاق إلى الدعوة بمحبة وعطف، إلاّ إذا وقف حاجز يجاهر بالكفر ويعلن الحرب على الإسلام والمسلمين.

س: وكيف تقوّمون الحركات الجهادية في العالم الإسلامي؟

ج: «**الجهاد ماضٍ إلى يوم القيامة**» هذا ما يُبيِّنُهُ رسول الله ﷺ وليس في ذلك خلاف.. فجهاد الأفغان ضد الجيش الأحمر واجب، وواجب على كل من قال: **لا إلٰه إلاّ الله محمد رسول الله**.

وكذلك جهاد المسلمين في البوسنة والهرسك والشيشان، لأنه جهاد من أجل الوجود الإسلامي: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ﴾ فما معنى أن أعيش أنا ويفنى الإسلام؟! نحن قد أعزّنا الله بهذا الدين، وأعزَّ الدين بالجهاد في سبيل الله، فالمعركة معركة مصحف وسيف، وهذا ما ينبغي أن يفهمه كل مسلم ولا يفرط في شيء منه.. والجهاد ضد إسرائيل المغتصِبة فرض على كل مسلم، حتى تخرج من الأرض المقدّسة وتعود هذه الأرض إلى أصحابها، وهم مؤتمنون عليها.

س: ما رأيكم بفرج فوده؟

ج: فرج فوده جاء في أيام عصيبة، أنا أقبل بأن أسمع إنساناً يقول: أنا لا أحب الإسلام، لأنني أستطيع أن أتناقش وإيّاه حول هذه الفقرة، إن اقتنع كان به، وإن لم يقتنع نسأل له الهداية، لكن إذا جاء أحد عند المسجد

وقال: أنا أكره الإسلام، وما هذا الأذان الصاعد، دعوا هذه الصيحات المجنونة لا لزوم لها، لا خير فيها؟ عند هذا معنى قولك أنك تريد هدم هذه الأمة لحساب إسرائيل التي أعادت صحائف التلمود وما فيها من خرافات، وأعادت صحائف التوراة وما فيها من أطماع في هذه البلاد، وأقامت دولة باسم إسرائيل وأنت تريد إلغاء اسم محمد، فأنا على خلاف شديد، وليس مع فوده فقط، بل مع جميع المفكرين الذين يرفضون الإسلام، أنا رجل مسلم أعرف ربي وأحب دينه، وأدافع عن هذا الدين كلمة كلمة في الكتاب وحديثاً حديثاً في السنّة، فأنا لا أقبل أبداً أن يأتي إنسان ويقول لي: دعوا الصلاة، دعوا الحج، دعوا الزكاة.

س: كيف تقوّمون فكر سيد قطب من خلال معرفتكم به ومن خلال مؤلفاته عامة و«معالم في الطريق» خاصة؟

ج: والله سيد له وعليه، فسيد من كتّاب الإسلام الأوائل ومن المصلحين الكبار للمظالم الاجتماعية في عالمنا وكتابه: «في ظلال القرآن» من التفاسير المحترمة، لكن له بعض الأحكام الفقهية التي هي بحاجة إلى مراجعات، سيد قطب كان من ألمع تلامذة العقاد، ثم أصبح مع العقاد كأنهما صنوان، ثم اتّجه نحو الكتابة الإسلامية وخدمها بأمانة.

إن سيّداً قدّم حياته للإسلام ولم يتراجع أو يتنازل عما آمن به أنه الحقّ، ولكن يغلب الأسلوب الأدبي على مؤلفاته بما في ذلك من خيال وحماسة، وأما كتاب «معالم الطريق» فهو كتاب يتضمن آراء إنسانٍ مجربٍ عانى كثيراً من الأذى والقهر، وقدّم فيه خلاصة تجربته الدعوية، وأسأل الله أن يغفر لنا وله ولجميع المسلمين.

س: هل لكم من كلمة أخيرة تحبون أن تسدوها إلينا وإلى المسلمين؟

ج: أوصي نفسي وأوصيكم بتقوى الله.. لا تبيعوا آخرتكم بعرض الحياة الدنيا، وكونوا صوت التقوى الذي لا يضيع، فإن التقوى تفرض علينا جميعاً أن نعمل لحساب الله كما عرفت من خلال اطلاعي على مجلداتها المباركة، وأوصي المسلمين في كل مكان بتوحيد الكلمة ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ

فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾، وأنتم والحمد لله واعون مدركون لما يحيط بالأمة الإسلامية من مخاطر، وحريصون على سدّ ثغرة هامة من ثغر الإسلام وهي ثغر الإعلام الإسلامي.

س: شكراً لسماحتكم على إتاحة هذه الفرصة الطيبة المباركة.

ج: وفقكم الله لكل خير.

محمد بن سليمان الجراح
(آخر علماء الكويت الكبار)

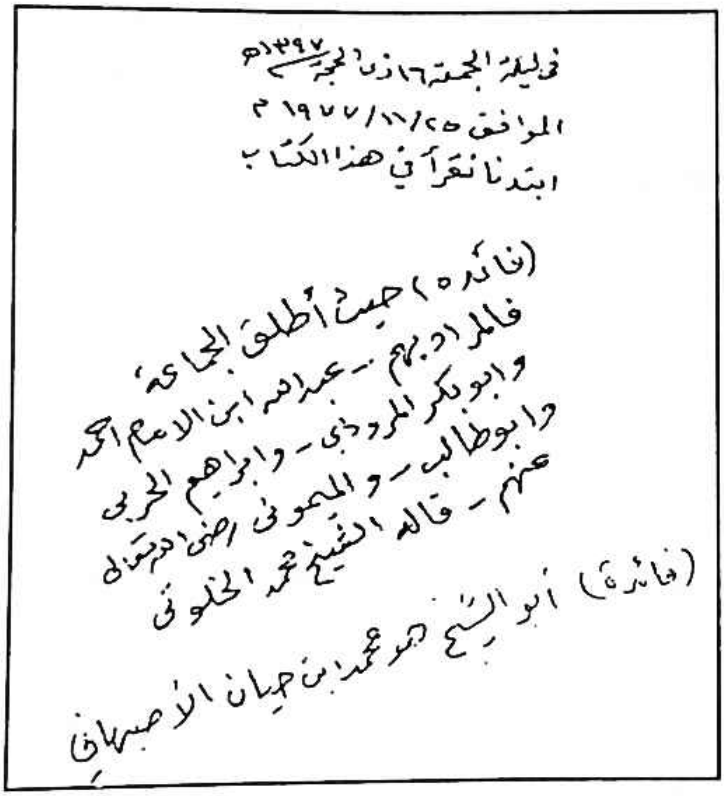
في ليلة الجمعة ١٦ من ذي الحجة ١٣٩٧هـ
الموافق ٢٥/١١/١٩٧٧م
ابتدأنا نقرأ في هذا الكتاب

(فائدة) حيث أطلق الجماعة
فالمراد بهم - عبدالله ابن الامام أحمد
وابوبكر المروذي - وابراهيم الحربي
وابوطالب - والميموني رضي الله عنهم - قاله الشيخ محمد الخلوتي

(فائدة) أبو الشيخ هو عبدالله بن محمد بن حيان الأصبهاني

فوائد بقلم الشيخ محمد بن سليمان الجراح

الترجمة:

كان هذا العالم الجليل حريصاً على الاستفادة من كل عالم يأتي إلى الكويت، وله مراسلات مع علماء أجلاء، وله تلامذة ومحبّون، أمَّ وخطب أكثر من (٥٠) عاماً واشتهر، كان متواضعاً، محبّاً للعلم وأهله، يميل إلى الزهد، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، يشتغل بالعلم تحصيلاً وتوصيلاً، ولعل اشتغاله الطويل بالدرس والتدريس، وتعمقه في الفقه عامة والفرائض خاصة، كان صارفاً له عن التآليف والتصانيف، فله - فقط - تحقيق على «كشف المخدرات، شرح أخصر المختصرات» مع كتابين آخرين، ما زالا مخطوطين، وطُبع له تعليق على «مجالس رمضان الوعظية» للدحيّان.

مات في (١٥) جمادى الأولى من سنة ١٤١٧هـ، رحمه الله.

هذا اللقاء:

ذكريات موجزة ومركّزة عن الحياة العلمية في الكويت، سجّلها هذا العالم الجليل في لقاء معه قبيل وفاته، الذي عاش أكثر من (٩٠) عاماً، ووُصف بأنه «آخر علماء الكويت الكبار»، يَذْكرُ أنهم كانوا ستة طلاب أو سبعة، يلازمون الشيخ لتلقي العلوم الشرعية، يذكر أسماء شيوخه، وزملائه، وأسلوب التعليم، وصعوبات التعلم، والعلاقة بين العلماء والحكام، ورواتب أهل العلم.

نُشر اللقاء في مجلة: «المجتمع» ـ الكويت، ع١٢٢٠ (١٤١٧/٥/٢٥هـ)، ص٦٠.

نصّ الحوار

س: كيف كان طلبة العلم يتلقون علومهم الشرعية في الماضي، ومن هم أشهر العلماء في ذلك الوقت؟

ج: كانوا يتلقونها من علماء الكويت.. ومنهم من كان يدرس في المساجد أو في المدارس أو في الدواوين، وكان العلماء أصحاب علم ومعرفة يقصدهم الناس في المساجد فيتلقون عنهم النحو والفقه، وكان من أشهرهم: الشيخ عبدالله الخلف، الذي كان يدرِّس في مسجده (مسجد البدر) وفي ديوانه الفقه الحنبلي والعقيدة من كتاب «العقيدة الواسطية»، وقد كان مجلسه مجلس علم يتنقل فيه بين تفسير ابن كثير وصحيح البخاري وغيره من فروع المعرفة.

وكذلك الشيخ عطية الأثري قبل أن يصبح قاضياً، وكنا ندرس عليه في الصيف بالمسجد، وفي الشتاء في ديوانيته، والشيخ عبدالعزيز بن حمادة الذي درّس لنا «الأجرومية»، والشيخ ملا أحمد الحرمي الذي درسنا عنده مع اللغة العربية عدّة كتب أخرى منها «الألفية»، وشرح ابن عقيل على الألفية، وقرأنا عنده «الفوائد والقواعد».

س: ومن تذكر من طلبة العلم؟

ج: كنا ستة طلاب أو سبعة يلازمون الشيخ، من بينهم: داود بن جراح، وعبدالعزيز العلي المطوع، وسعود بن سماح، بل إن منا من كان يرحل في طلب العلم، مثل الشيخ أحمد بن خميس الذي ذهب إلى بغداد، وسعود بن سماح ذهب إلى الأحساء، ودرس على مذهب الإمام مالك.

س: وكيف كان حالك أنت مع العلم؟

ج: الحمد الله.. فقد حفظت الرحبية وبعدها ختمت القرآن الكريم على

يد الشيخ هاشم الحنيان، وقد حفظت إلى جانب الرحبية منظومة الآداب وعقيدة السفاريني، وقد كنت أذهب فجراً على الخليج للحفظ، وأذكر أنني حفظت خلال ثلاثة أيام فقط «عقيدة السفاريني» المكونة من ٢٢٠ بيتاً.

س: وماذا عن أبرز من عاصرتهم من الشيوخ؟

ج: الشيخ أحمد الفارسي، والشيخ عبدالرحمٰن الفارسي المتخصص في علوم اللغة والعروض والشعر والنحو، والشيخ عبدالوهاب الفارسي الذي قرأ على عبدالله الخلف الفقه في مدرسة المباركية، وقد قرأت على الشيخ عبدالوهاب الفارسي متن دليل الطالب، ثم شرح متن الدليل، ثم قرأت عليه الروض المربع للبهوتي، ثم منتهى الإرادات لابن النجار.

أما الشيخ محمد أمين الشنقيطي فقد كان محدّثاً وواعظاً في مسجد السوق، ولكن قد حدث خلاف بينه وبين حاكم الكويت مما جعله يذهب إلى الزبير ويستقرّ هناك ويؤسس مدرسة النجاة، وأما عبدالعزيز حمادة فقد قرأت عليه الأجرومية، ومتممة الأجرومية.

وقد درست على يد ملا محمد ابن ملا أحمد الجرحي [هكذا] الفارسي الأصل بعض علوم اللغة، وكذلك القرآن كله إلى أن وصلت بالحفظ إلى سورة المدثر، ثم توقفت وانتقلت إلى شيخ آخر، وهو الشيخ هاشم الحنيان، وسبب انتقالي أن والدي الشيخ ابن جراح كان قد رأى أحد الطلاب يضرب الأولاد فاستغرب عن هذا الضرب للشيخ، فقال: نضربهم حتى نؤدبهم، فأخذني إلى شيخ آخر وأكملت القراءة عند ملا سيد هاشم الحنيان.

س: وكيف كان الطلاب يحصّلون العلم قديماً؟

ج: كان الطلاب يواجهون كثيراً من الصعوبات بعكس الأيام الحالية، فلم تكن هناك مدارس أو كتب متوفرة، ولقد كانوا يمضون الليالي حتى الفجر بإنارة بسيطة «السراج» حرصاً ومجاهدة في طلب العلم.

س: وما مدى تجاوب أهل الكويت ومساهمتهم في نشر العلم؟

ج: لقد ساهم أهل الكويت في نشر العلم وتثبيت دعائمه، وترغيب

الطلاب في التعلّم، ومن هذه المجهودات ما قام به الشيخ عبدالعزيز حمادة بإنشاء معهد لتدريس الأئمة والمؤذنين وبعض طلاب العلم، ولقد كان الكويتيون في السابق يركّزون على بعض العلوم المهمة، كالكتابة والحساب والقراءة، وعلوم الدين واللغة العربية، ولم يكونوا قد استكثروا من العلوم كما هو حاصل اليوم، إلى جانب أن طالب العلم كان يعتمد على نفسه في الدراسة والتحصيل.

س: هل كان لعلماء الكويت في السابق دور في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟

ج: لقد كان علماء ووجهاء وأعيان الكويت يقومون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكانت لهم كلمة مسموعة عند الحاكم، ومن المواقف التي أذكرها موقف للشيخ سالم بن مبارك، فلقد كانت له مواقف محمودة، وكان يوقر العلماء ويقدّر منزلتهم، وكان لا يرضى بالمنكرات، وأمر الأئمة والعلماء أن يقوموا بتعليم الناس أمور دينهم خصوصاً العبادات، مثل كيفية قراءة الفاتحة والصلاة والصيام.

س: واختيار الخطباء والأئمة في المساجد.. كيف كان يتم؟ ومن هم أشهر من عاصرتهم من الأئمة؟

ج: أما عن طريقة اختيار الخطباء والأئمة في المساجد قديماً فقد كانوا يختارون من بين من تتوفر فيه شروط الإمامة، فيضعونه إماماً في المسجد، وأشهر الأئمة الذين عاصرتهم: الشيخ عبدالله بن خلف ابن دحيان، وكان إماماً في مسجد البدر، والشيخ ملا بن محمد الحرمي [هكذا] في مسجد الساير، وسيد ياسين وكان إماماً في مسجد الخالد، والشيخ يوسف بن حمود إماماً في مسجد العثمان، وعيسى بن شرف إماماً في مسجد الشرف، وسيد يعقوب كان إماماً في مسجد ملا صالح، ومحمد بن حمود كان إماماً في مسجد ابن حمود في المرقاب، والشيخ عطية الأثري كان إماماً في مسجد هلال، والشيخ محمد بن عبدالمحسن الدعيج كان إماماً في مسجد المطران.

أما عن رواتب هؤلاء الأئمة والمؤذنين فكانت تدفع من أوقاف وقفها أهل الخير على المسجد.

عبدالحميد كشك
(خطيب الأمة المعاصر)

الترجمة:

الخطيب المصقع، العالم الداعية، ذو السهم الوافر في صنع الصحوة الإسلامية ونشر الثقافة الإسلامية، هزَّ العالم بإلقائه المميَّز وخطبه الإسلامية ودروسه الشرعية والوعظية، في شرائط كاسيت يتلقاها الملايين في أنحاء العالم، مع علم جمّ، وإحاطة بأحوال المجتمع، وقد سجنَ، مع ما أصيب في عينيه وهو صغير، وخرج ليفضح الأنظمة المتسلطة.. ولمّا مُنع من الخطابة تفرَّغ للتأليف، وحوَّل بيته إلى مجلس علم، وإلى دار يتوافد إليها أصحاب الحاجات..

من إحدى قرى محافظة البحيرة، حصل على العالمية مع التخصص من جامعة الأزهر.. خطب حتى زلزل الأركان، وخشي الطواغيت أن يفقدوا مناصبهم، لخطبه الحماسية الصادقة، فمنعوه من الكلام، كان الداعية الأول الذي كسر حاجز الخوف عند الدعاة والمدعوين، بجرأته في قول الحق وإعلانه على الملأ.. كان يرى أن أخطر أمراض المجتمع النفاق، إذا

ابتُليت به أمة أضحى الذلُّ رائدها، والهزيمةُ عاقبتها، وأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون، رفض الرحيل من مصر رغم كل العروض والإغراءات التي انهالت عليه، وكان يقول: إن فرار العلماء من مصر خلال هذه الفترة العصيبة من تاريخها كالتولي يوم الزحف، لأن مصر هي قلب العالم الإسلامي، وإذا مات القلب مات الجسد كله!

ترك نحو (٢٠٠) كتاب، توَّجها بمؤلفه الضخم في عشر مجلدات: «في رحاب التفسير».

مات في (٢٥) رجب سنة ١٤١٧هـ، رحمه الله تعالى وجزاه عنا خير الجزاء.

هذا اللقاء:

وقفت على حوارين أجريا معه، وذكر أنهما كانا قبل وفاته:

الأول: أجراه إعلامي من السعودية لصالح «أُحد للإنتاج الإعلامي والتوزيع»، في الرياض وغيرها، في شريط كاسيت على الوجهين، ولكن الشيخ رحمه الله سجل تاريخ هذا الحوار بنفسه في آخر الشريط وأنه جرى يوم الأحد (٣٠) ربيع الأول ١٤١٥هـ.

أما الحوار **الثاني**: فقد أجراه معه الكاتب الصحفي المعروف «محمود فوزي» وصدر في كتاب بعد وفاة الشيخ بعنوان: «حوار ساخن مع الشيخ كشك قبل رحيله». وقد قدم للكتاب الأستاذ محمد عبدالله السمان، القاهرة: دار الفضيلة، [١٤١٨هـ]، ١٩٩٧م، ١١٠ص.

ولم يحدِّد التاريخ الذي أجرى فيه الحوار، لكن قال في أول مقدمته: «لا أعرف لماذا انتابني إحساس وشعور غريب بأن هذا هو آخر لقاء لي مع الشيخ كشك...».

وقال في آخرها: «وبعد.. فهذه حوارت أجريتها معه قبيل رحيله، فكانت آخر كلمات الشيخ الجليل والجريء».

وقد اخترت من الحوار فقرات محددة ولم أكثر، فقد صدر الكتاب وتحققت الفائدة والحمد لله، وفيه حديث عن برنامجه اليومي، وأسلوبه في الخطابة، وعن رسالة المسجد، والدعوة والعقبات، وعن السياسة.. والسجن.. والحوار.. وأحوال الموظفين في هذا الزمان.. وأخيراً العبرة التي خرج بها من الحياة!

نصّ الحوار

س: هل لنا أن نعرف «سيناريو» يوم كامل في حياة الشيخ كشك؟

ج: أحافظ ـ بإذن الله ـ دائماً على قيام الليل قبل الفجر بساعة، ثم أصلّي الفجر، ثم إن عليَّ ورداً من الذِّكر والقرآن أقرأ فيه ثلاثة أجزاء، ثم بعد ذلك أستمع إلى نشرات الأخبار، وبعد الاستماع إلى نشرات الأخبار أصلّي الضحى بعد ارتفاع الشمس في حدود نصف الساعة، وهي إما ركعتان أو ثمانٍ، ثم أتوجه بالقراءة في بعض الكتب.

ثم بعد ذلك أنام قليلاً بعد الظهر لكي أستريح، ثم أستيقظ لأصلي العصر، وبعد أن أصلّي العشاء أجلس لأقرأ في الكتب وفي العلم، بحيث لا يمضي عليَّ يوم إلاَّ وأكون قد قرأت فيه ما قرأت، فما طلعت عليّ شمس يوم لم أستفد فيه علماً جديداً.

س: وما البرامج التي تعجبك وتجلس أمام التلفزيون لمتابعتها؟

ج: **أولاً**: أنا لا أجلس أمام التلفزيون إلاَّ للضرورة السياسية كخطاب سياسي، أما غير ذلك فإن الله ـ تبارك وتعالى ـ أكرمني بفقد البصر حتى لا أرى ما يغضبه.

رأيت العمى أجراً وذخراً وعصمة ... وإني إلى تلك الثلاث فقير
يُعيّرني الأعداء والعيب فيهم ... وليس بعيب أن يقال ضرير
إذا أبصر المرء المروءة والوفا ... فإن عمى العينين ليس يضير

س: فضيلة الشيخ.. جرت محاولات من وزارة الداخلية المصرية في الآونة الأخيرة لاستقطاب بعض من هؤلاء الشباب المعتقلين بتهمة التطرف والحوار معهم.. فما رأيك في هذه التجربة؟

ج: والله تجربة ناجحة، ولقد جُرِّبتْ فيما مضى ونجحت، فلماذا لا نكررها ثم نكررها.. لا سيما أن شبابنا.. نحن مأمورون بالحفاظ عليهم، فالشباب فيه الكثير من الأبرياء، وإذا وجد الطريق المستقيم، فإنه لن يتأخر، وسيكون منتجاً ثم منتجاً بإذن الله.

لقد شهدنا سنة ١٩٦٥م شباباً في السجون فيه طاقات غريبة، لدرجة أن أحد حراس السجن الحربي صاح: هل فيكم سمكري ليصلح حنفية السجن؟! إن كان هناك سمكري فليخرج.. فلم يخرج أحد، أفيكم سباك؟! فلم يخرج أحد، أفيكم مهندس؟! فخرج ألف مهندس! ومهندسون متخصصون في الطاقة الذرية.. فهذا جهد نسأل الله ألا يضيع سدى، فالشباب في أمسّ الحاجة إلى أن يعرف دينه.. فلنعمل على التوعية، شرط أن يكون الذين يقومون بالتوعية رجالاً مشهوداً لهم بالحيدة أولاً، وبالإخلاص وبالقدوة الحسنة، وبالعلم الغزير وبالشجاعة في الحق ثانياً.

س: فضيلة الشيخ.. قضية الحجاب والنقاب.. فالحجاب أمره معروف، ولكن بالنسبة للنقاب.. فهناك جدل كثير حوله في الآونة الأخيرة.. فما رأي فضيلتكم في هذا؟

ج: والله.. الكلمة الحق التي أعتقدها هي أن النقاب قد يجب، وقد يكون سنّة، فهو يجب خشية الفتنة، فالفتنة نائمة لعن الله من أيقظها، أما إذا أمنت الفتنة، فإن النقاب يأخذ حكم السنّة.

س: وما هي عادة الشيخ كشك في الخطابة؟

ج: من عادتي في الخطابة أنني أقدم بمقدمة تشدّ السامع شدّاً قويّاً مؤثراً؛ حتى أوقظ الوسنان وأنبه الغافل، ويكون ذلك بمثابة استحضار للشعور، فإن هناك من يجلس معي بجسمه، وقلبه كما قال شوقي:

لقد أنلتُك أذناً غير واعية ورُبَّ مستمعٍ والقلب في صمم

س: كلنا يعلم اهتمام الشيخ كشك بالسياسة.. فما رأيك في الخطب السياسية التي تسمعها؟

ج: إن الخطاب السياسي يحتاج محللاً سياسياً.. لكنني أسمع لأرى كيف تدور الأحداث.. والأحداث في هذه الأيام لا بد لنا من تعليق ووقفة عليها.. فأنا مؤمن كل الإيمان أن الحوار لا بد له من حوار، ولا أؤمن بأن القضايا الفكرية تعامل بالعنف، ولذلك علّمنا الله تعالى كيف نرد على القضايا الفكرية، فقال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ بماذا؟ بالحكمة أولاً، والموعظة الحسنة ثانياً، والجدال بالتي هي أحسن ثالثاً.. مخطىء من قال: إن الإسلام رفع السيف في القضايا الفكرية.. إن الإسلام انتشر بسيف العقل لا بحد السيف، فالسيف قد يفتح البلاد، ولكنه لا يفتح القلوب.

س: وما الرسالة التي أردت أن تؤديها في هذا المسجد (مسجد الملك)؟

ج: رأيت أن أجعل رسالة المسجد رسالة عامة لتنظيم أنشطة المجتمع، فجعلته يمثل خمس وزارات: الثقافة والإرشاد في خطبة الجمعة، ودروس المساء، التربية والتعليم في التدريس للطلبة، الصحة وذلك عندما دعوت الأطباء لعلاج الفقراء بالمجان، فلبّى عدد كبير منهم النداء، فأرسلوا إلينا بتذاكر العلاج في مختلف التخصصات الطبية، فكان الفقير يأخذ التذكرة الخاصة بمرضه ويذهب بها إلى عيادة الطبيب مرفوع الرأس موفور الكرامة، ولقد تقدم بعض الصيادلة لصرف الدواء مجاناً، وكان المسجد أيضاً يمثل وزارة العدل. وقد كونت لجنة للمصالحات وفض المنازعات، والفصل في الخصومات، وكم من المشاكل حلّت بإذن الله.

كذلك قامت بالمسجد لجنة تمثل الشؤون الاجتماعية تبحث أحوال الأسر الفقيرة، فتجرى عليها المعونات الشهرية، والكسوة في الشتاء والصيف، بالإضافة إلى المواد التموينية في الأعياد والمواسم، وتوزيع اللحوم في عيد الأضحى، فقد تكون هناك بيوت لا ترى اللحم إلا قليلاً، يقول فيها شاعر النيل حافظ إبراهيم:

عـزّتِ السّـلـعـة الـذلـيـلـة حـتـى ... بـاتَ مسـح الـحـذاء خـطـبـاً جسـامـا
وغدا القوت في يد النّاس كالياقوت ... حـتـى نَـوَى الـفـقـيـر الـصـيـامـا
ويَـخـال الـرّغـيـف فـي الـبـعـد بـدراً ... ويـظـنّ الـلـحـوم صـيـداً حـرامَـا
إن أصـاب الـرّغـيـف مـن بـعـد كَـدّ ... صـاح مـن لـي أصـيـب الإدامـا
أيـهـا الـمـصـلـحـون رفـقـاً بـقـوم ... قـيـد الـعـجـز شَـيْـخَـهُـمْ والـغـلامـا
وأغـيـثـوا مـن الـنُّـفـوس غـلاءً ... قـد تـمـنـت مـع الـغـلاء الـحـمـامـا
أنـقـذوا أنـفـسـاً أضـرّ بـهـا الـفـقـر ... وأحـيـا بـمـوتـهـا الآثـامـا

س: وهل كانت هناك عراقيل وعقبات أمامك وقتها في مجال الدعوة؟

ج: ما من عمل ناجح في الحياة إلا وتكتنفه شدائد ومحن، فالحاسدون في الدنيا كثيرون، والنفوس المريضة تملأ جنبات الحياة، وتنفث سمومها الناقعات، وخفافيش الظلام تعمى عن رؤية الأجسام البينة لنا في ضوء الشمس، وقد جعلت شعاري دائماً في الحياة قول الله جلَّ شأنه: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾.

س: ما رأي فضيلتكم في ظاهرة التكاسل وهروب الموظفين قبل المواعيد المحددة لوظائفهم والنوم على المكاتب.. وما إلى ذلك من الظواهر السلبية التي تفشت بصورة كبيرة في المؤسسات على المستوى العربي الآن؟ وما الحلّ الناجح لها؟

ج: علاج هذه الظاهرة في الإسلام - وكل مشكلة لها في الإسلام حلّ - يكون بتربية الضمير الديني، وتعليم الناس ما هو الحلال وما هو الحرام، وتعليم الناس الصدق والأمانة.

وهناك تحذير قال فيه النبيّ ﷺ: «**ينام الرجل النومة فتنزع الأمانة من قلبه، حتى يأتي على الناس زمان إذا رأوا فيه رجلاً أميناً عجبوا وقالوا: إن في بني فلان رجلاً أميناً**».

فالتوعية الدينية لها المكانة العليا.. أما الرقابة سواء كانت رقابة عسكرية أو رقابة لمكافحة التهرب، أو لمحاربة المخدرات والسموم البيضاء

فكل هذا جانب، لكنه لا يغني عن الجانب الحقيقي.. فالعقوبة أو التربية في الإسلام تقوم على تلك الخطط.. الأولى قبل كل شيء القدوة، ثم بعد ذلك الأسرة، ثم المسجد، ثم المدرسة، ثم بعد ذلك المجتمع.. ثم بعد ذلك وهو عنصر مهم «الإعلام» بمعناه الواسع معروضاً ومقروءاً ومسموعاً ومرئياً.

ولا بد من ربط الناس ووصلهم بالله تعالى: «**اعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**».

س: وما ذكرياتك عن الأيام التي قضيتها في المعتقل؟

ج: لقد ذقت الأمرَّين في المعتقل، وعندما دخلت المعتقل لأول مرة في عام ١٩٦٥م إلى عام ١٩٦٨م لم أسأل إلا عن اسمي.. ما اسمك؟ وخرجت من المعتقل لم أسأل إلاَّ عن اسمي.. حتى سألت لما دخلت: وبأي ذنب اعتقلت؟ لم أجد سؤالاً أو جواباً عن هذا.

فأنا من الذين عانوا كثيراً من التهم، ومن الرمي بالتهم.

س: هل يكون علاج النفس بالتوبة؟

ج: الإسلام شرّع لنا التوبة، وهي اعتراف صادق من العبد لربه بالأخطاء والذنوب، ووثوق التائب بعفو الله ومغفرته يريح نفسه، ويسكب عليها السكينة والاطمئنان، فتهدأ نفسه وتزول عقده.

وإذا كانت الأمراض النفسية كثيراً ما تنشأ عن القلق والخوف والبغضاء والحقد والكبت والشك والغيرة، فإن الإسلام هو الدين الذي يعالج ما أصاب المرء من ذلك، بل ويقيه من التردي في هذه الآفات إن هو اتبع هواه.

فراحة النفس في هدي الإسلام، ومن هدي الإسلام: الرضا بالقضاء والقدر، والاطمئنان والثقة بوعد الله، والاعتقاد بأن ما أصاب المسلم لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، فأنّى يجد القلق والخوف والهم سبيلاً إلى نفسه؟ وكيف يتمكن الحقد من قلبه وهو لا يكمل إيمانه حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه؟

ولا شك أن المسلم بممارسته لألوان العبادات، واتصاله الدائم بالله، لا تتعقد نفسه، ولا تضطرب أعصابه، وهذه حقيقة اعترف بها علماء النفس الأجانب أنفسهم، فقد قال الدكتور «بريل»: إن المرء المتدين حقّاً لا يعاني ـ قطُّ ـ مرضاً نفسيّاً.

وقال «ديل كارنيجي»: إن أطباء النفس يدركون أن الإيمان القوي يقهر القلق والتوتر العصبي.

والصلاة ـ كذلك ـ في حقيقة الأمر علاج للأمراض كلها، ولقد كان الرسول ـ صلوات الله عليه ـ إذ حزّبه أمر فزع إلى الصلاة، وكان يقول لمؤذنه بلال: «**أرحنا بها يا بلال**». فهو إذن خير علاج من كل الأمراض النفسية والعصبية، ولذلك اعترف بفضلها كبار المتخصصين في الدراسات النفسية.

ولقد قال «الكسيس كاريل»: لقد رأيت ـ بوصفي طبيباً ـ كثيراً من المرضى فشلت العقاقير في علاجهم، فلما رفع الطب يديه عجزاً وتسليماً، تدخلت الصلاة فأبرأتهم من عللهم؟

ومن أجمل ما في الإسلام أنه يربط المسلم بالقوة العظمى المسيطرة على هذا الكون.

وأشهد أن القرآن الكريم جليس لا يملّ حديثه، لا سيما في أوقات الشدائد، عندما تستشعر النفس أن الأرض قد ضاقت بما رحبت، وكيف لا يكون القرآن الكريم تفريجاً للكروب، وأهل القرآن هم أهل الله وخاصته؟! ودليل ذلك قوله ﷺ: «**إن لله أهلين من الناس**»، قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال: «**أهل القرآن هم أهل الله وخاصته**».

س: وما معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾؟

ج: المراد بروح الله رحمته التي وسعت كل شيء، فَرِضاه خير من الدنيا وما فيها.

فالمؤمن الحق هو الذي لا يعرف اليأس إلى قلبه سبيلا: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾.

يقول تعالى في حديثه القدسي الجليل: «**عبدي أطعتنا فقربناك، وعصيتنا فأمهلناك، ولو عدت إلينا بعد ذلك قبلناك**».

والأمر في الله نور يضيء قلوب المخلصين، ودعاء العبدِ ربَّه أملٌ يملأ النفس طمأنينةً وسكينةً ورجاءً.

فإذا رُميتَ من الزمان بشدة ... وأصابك الأمر الأشقُّ الأصعبُ
فاضرعْ لربك إنه أدنى لمن ... يدعوه من حبل الوريد وأقربُ

س: فضيلة الشيخ.. هناك سؤال طالما جال بخاطر الكثيرين ألا وهو: ما الحكمة التي خرجت بها من هذه الحياة؟ سواء تجربة السجن أو المحنة.. ما الحكمة بعد كل هذه التجربة الثرية العريضة؟

ج: لخصتها في ست حكم:

الأولى: ذقت الطيبات كلها، فلم أجد أطيب من العافية..

الثانية: وذقت المرارات كلها، فلم أجد أمرّ من الحاجة إلى الناس..

الثالثة: وحملت الصخر والحديد، فلم أجد أثقل من الدَّيْن..

الرابعة: ولو سُئلت عمّن هو أثقل من السماوات والأرض، لقلت: تهمة البريء.

الخامسة: الشجاعة ليست هي التهور، إنما أن تقول الحق دون أن تسمح للآخرين بأن يتسلقوا على كتفيك..

السادسة والأخيرة: إيّاك أن تغتر بالعواطف، فإن العواطف تخفي وراءها ما وراءها!!

هذه هي الحكمة التي أخذتها من الحياة.

عبدالفتاح أبو غدّة
(العالم الداعية، المحدِّث المشهور)

الترجمة:

نهل من علم علماء كبار في العلوم الشرعية عامة والحديث الشريف خاصَّة، ونال العالمية من الأزهر والتخصص في أصول التدريس، وهناك التقى بالإمام حسن البنا، وصار من بعد زعيماً قيادياً في مدرسته، عضو مؤسس في رابطة العالم الإسلامي، فخر حلب الشهباء وعلامة في تاريخها الحديث، كان بهيَّ الطلعة، عذب الروح، حلو الشمائل، حاضر البديهة، عليه مهابة العلماء وسيماء الصالحين، حليم، كثير العفو والصفح، حصيف أريب، ذوَّاقة، صبور على الطاعة والابتلاء، سريع الدمعة، كثير العبرة، يتألم لمآسي المسلمين ويعتصر قلبه لذلك، صبور على العلم مطالعةً وتأليفاً، قليل النوم، ذو فراسة، محنَّك.

له مؤلفات عديدة في الحديث خاصة، منها: أربع رسائل في علوم الحديث (تحقيق)، الإسناد من الدين، رسالة المسترشدين للحارث المحاسبي

(تحقيق)، سنن النسائي (تحقيق)، العلماء الذين آثروا العلم على الزواج، وغيرها كثير.

مات في التاسع من شهر شوال سنة ١٤١٧هـ، رحمه الله تعالى.

هذا اللقاء:

أما موضوع الحوار فكاد ينصبُّ على قضية العلم: في جامعات اليوم وطلابها، وموسوعية العلماء، وأهمية القدوة في حياتهم، والعلاقة بين العالم والحاكم، وتحقيق التراث بين العمل العلمي وفوضى التحقيق، وسمات التأليف المعاصر، وصورة طالب العلم المثلى، ثم منهج تكوين العلماء.

أجرى هذا الحوار الأستاذ حسن علي دَبا، ونشر بعد وفاته بأسبوع، في مجلة: «المجتمع» الكويتية، ع١٢٤٠ (١٤١٧/١٠/٢٥هـ)، ص٤٤ ـ ٤٧.

قال محاوره مبيّناً مكانة الشيخ وعلوّ كعبه في هذا المجال:

لم تكن الكتب السبعون هي نتاج عمره الذي امتد إلى الثمانين فقط، بل إن خُلق وعلم فضيلة الشيخ العلاَّمة عبدالفتاح أبو غدة رحمه الله تسبقانه قبل كل شيء، فمع أنه العالم المحدِّث والفقيه واللغوي والداعي الممتحن، فإنه أيضاً إمام التحقيق في علوم الحديث خاصةً والعلوم الإسلامية عامةً، مما جعله أستاذاً ونموذجاً متفوقاً لكثير من طلاب العلم والعلماء المعاصرين.

* * *

نصّ الحوار

س: ما رؤيتكم لجامعات العالم الإسلامي بصورة عامة بعد هذه الخبرة الطويلة في التدريس الجامعي؟

ج: الجامعات اليوم هي معادن الخير اليوم، وفيها كثرة بالغة وتوجه كبير، كثرت فيها الكمية، وضعفت فيها الكيفية، ولكن يأتي من الكمية الكثيرة الخير الكثير أيضاً، فما كل الطلبة على عشق وشوق للعلم، ولو أن كل الطلبة على قدم عالية لكان الناس في خير كثير من كثرة العلماء، ولكن قلّة العلماء اليوم ظاهرة بادية.

س: يرى بعضهم أن هناك جامعات حضارية تتعامل مع قيم حضارية معينة وقد تكمل ما يصيب حضارة ما من نقص أو جمود «جامعة اللاتيران بروما والجامعة العبرية بالقدس التي سبقت قيام إسرائيل بعشرين عاماً وغيرهما»، هل يمكن أن تقترب جامعة معاصرة من هذا المفهوم؟

ج: ليس في الجامعات بوجه عام هذا المعنى إلاّ جامعة الأزهر منذ ثلاثين أو أربعين سنة، أما الآن فقد صارت الجامعة باب ارتزاق وتوظف.. فهذا هو السمت الغالب، وقد يخرج من هذا عدد قليل..

س: هل لكم رأي في قضية تطوير الأزهر إذاً؟

ج: صار للأزهر عشرون سنة وهو متطور، تطوير الأزهر تحويل له عن أصله.. تهجين.

س: لكننا أيضاً في حاجة للمهندس المسلم والطبيب المسلم؟

ج: صحيح.. لكن على أن يبقى أيضاً الفقيه المسلم المتكن.. أم

نشطبه فلا يخرج فقيهاً، ولا مهندساً؟! المهندس أو الطبيب ينبغي أن يكون فقيهاً طبيباً وأن يكون مهندساً مسلماً، لكن الفقيه يبقى فقيهاً صرفاً، لا أن يعرف غير الفقه، لا.. يكون متمكناً حتى يخدم الطبيب، أما إذا خرج هو والطبيب توأمين؟!

هناك أحد الأطباء الذين عرفوا في القرن السابع كان فقيهاً من الفقهاء، شرح كتباً من فقه السادة الشافعية، وكان فقيهاً، وهو الذي أخرج الدورة الدموية الوسطى، أي: هو الذي اكتشفها وهو ابن النفيس، كان فقيهاً ولغوياً وطبيباً وأديباً في حصيلته اللغوية، هكذا كان الناس قديماً، عندهم تنوّع في الاختصاص. وكان الطب قديماً ـ وحتى الآن في الهند ـ يدرس مع الدراسات الشرعية، لهم إلى جانب دراسة الأصول والفقه والنحو والعربية والتاريخ.. قسم من مناهج التعليم يدرس الطب، ليس الطب المعروف، لكنهم يسمونه الطب اليوناني، الذي يقوم على معالجة الطبيب بالأعشاب للمريض، معالجة قديمة، لأن هذا ليس صعباً عليهم أن يقوموا به في الهند، وهم كما هو معروف أفقه الناس، الفقيه الهندي يُضرب به المثل، فهم من هذه الناحية يدرسون الطب القديم، لذلك فإن الطلاب الشرعيين لهم معرفة بالطب، ليسوا أطباء لكنهم لهم أنس بالطب، وقديماً يكون الرجل المؤرخ والأديب والمحدّث والفقيه واللغوي والناقد والبلاغي، فالعلوم متشابكة من حيث هي، يقرب التشابك أو يبعد..

فالجغرافيا مع الحديث متصلة، لكن ليس كصلة الفقه بالحديث، الفقه يلي الحديث في المرتبة الثانية، بعده اللغة، وبعده البلاغة، ثم الجغرافيا، فإذا قابله شيء عن الجغرافيا، فلا بد أن يحدّثه المحدث، لذلك فإن المحدثين الناقدين عندهم علم جيد بالجغرافيا، مثل الإمام النووي والقاضي عياض والحافظ ابن حجر ومن سبقهم، وهذا من تمام الثقافة في الحديث، فلا يصحّ له ألا يعرف الأماكن المبهمة في الوجود، وقد يختلف الحكم في معرفة لفظه ومكانه من وجه، ولفظه ومكانه من وجه آخر.

س: إذا انتقلنا إلى قضية التخصص في حياة علماء الأمة، فإننا قد

لاحظنا أن الموسوعية هي الأصل في حياة العلماء، هل هناك إمكانية لتخريج مثل هؤلاء العلماء بطريقة معينة من جامعات اليوم؟

ج: في الجامعة الآن تُسلِّك ولا تُملِّك، تسلك العلم، لكن غالب من يتخرج يظن أنه انتهى به المطاف وحصل على المقصود بتمامه وهو التوظف، فإذا توظف قال للعلم وللمكتبة: هذا فراق بيني وبينك.

س: كيف تحلّ هذه المعضلة؟

ج: أولاً إنهم لا يجدون أساتذة مُعشِّقين، إذا كانوا مع أساتذة محترفين للعلم، فهم يكونون مثلهم، إذا كانوا مع أساتذة يؤدون الدرس ويرغبون في قرع الأجراس حتى يخرجوا، فهذا الطالب سوف يأتي أضعف من أستاذه.

الأساتذة تلهب الطلبة، وبعض الطلبة يلهبون الأساتذة عندما يكون عندهم ذكاء متوقد، وهناك بالفعل بعض الطلبة يشعرون الأساتذة بالإعجاب ويفرح الأساتذة بالفهم الدقيق لما يقولون فهو من اللحظ القلبي.. أما الأمر البيِّن فإن فهمه يمكن حتى عند بعض العجماوات.

س: برأيكم هل نكتفي لتخريج علماء موسوعيين بتركها حتى يقابل الطالب أستاذاً يحترق للعلم أم أن هناك منهجاً تقترحونه وترونه لتربية وتنشئة شباب الأمة عليه؟

ج: لا بد أن يكون هناك منهج ملحوظ أو محفوظ في نفوس المدرسين وفي مخطط الدراسة، يلحظ منه أن يخرِّج ما نريد، فالأصل في مخطط الدكتوراه أنها شهادة تأتي بمتخصص ولكنها صارت تأتي بموظف! فأنت ترى الدكتور دخل المرحلة جاهلاً متواضعاً وخرج منها دكتوراً متكبراً! لا نقول هنا على الجميع، فهناك عباقرة في العلم، لكن السواد الأعظم هكذا.

صار في الناس استنامة للكسل العقلي الذي صار هو الأصل.. فصار السؤال عن الذي يحقق المكسب المادي أو التوظف، فهذا كاف، وصار أمر

البيت أو الرفاهية من المطالب الأساسية: انحرف الأصل، فقد كان الأصل في الإنسان أنه يعيش ليطلب العلم، فصار يعيش ليترفّه، لا ليرفع العلم، لا بل يترفع عن العلم.

س: هل للموسوعية من سلبيات؟

ج: نعم، فيجب ألا يكون الموسوعي خوّاضاً لكل ما يعرف وما لا يعرف على عادة بعض الناس، إذا صار شيخاً يقول فيما يعرف وما لا يعرف، والناس يسألونه باعتباره شيخاً يسألونه في الطب والسياسة والعلم والتجارة، فباعتباره تشيّخ فيستحي أن يقول: لا أعرف أو أجهل، والناس ضعفاء يظنونه على كل شيء قديراً وعليماً.

ولذلك فإن الأصل في التخصص العام أو المتنوّع هو أن يكون عند الإنسان رقابة فيما يقول، فإذا كان هناك شيء لا يعلمه وقال: لا أعلمه، زاد علماً وسقى علمه، لأنه دلّ على أن ما يقوله كان عالماً به، فعدم علمه في هذه المسألة يزيدنا ثقة به في المسألة التي يعلمها، لا ينقصه، ولكن كثيراً من الناس يظن غير ذلك، وبالعكس، إذا قال: لا أعلم، فمعنى ذلك أنه عالم.

س: ألا تظن أن ذلك الرضا بالسهل والبسيط والتقاعس عن بذل الجهد يرتبط بما هو عام في العالم الإسلامي؟

ج: ما في العالم الإسلامي بصورة عامة هو فقد القدوة، فالعالم الإسلامي صورة فيها الضعفاء والأقوياء والأغنياء والفقراء والعلماء، فقدت القدوة الحافزة والمتحركة، وكان العالم في القديم قدوة، فكل من يصحبه أو يشاركه أو يراه يتحسن ويصير عنده اندفاع مثله، أو يوقظ في قلبه شجرة المحبة والمعرفة وشجرة الحماسة، شجرة القوة، شجرة الشجاعة، فلما فقدت القدوات صار الناس سواسية.

س: هل يرتبط افتقاد القدوات بالديكتاتوريات السياسية التي تتحكم في أغلب العالم الإسلامي؟

ج: كثير منها.. النظم أو الأشخاص أو الظُّلام الذين يحكمون ما

يريدون قدوة، لأن القدوة ذروة، وهم يحبون أن يكونوا هم ذروة ولو كانوا ذروة الشر، فلا يرون ذروة غير أنفسهم، وهذا يقضي على كل ذروة من أهل الخير، فلذلك يسفرونه أو يسجنونه أو يلطفون موته بحيث إنهم يبقون ذروة، فما يحبون أن تكون ذروة من أهل العلم أو من أهل الفكر، وهذا معروف في التاريخ، وشواهده من الناس الطيبين الذين ذهبت فيهم ذروتهم كثير جداً، إما هاجروا من بلدهم أو هُجِّروا أو صُفوا جسدياً.

س: في هذا الإطار وفي ظلّ ظاهرة الصحوة الإسلامية وما يقابلها من تحديات، ما هي آفاق العلاقة المنشودة بين العالم والحاكم؟

ج: الحاكم إذا كان يريد الخير ويجد عالماً يأخذ معه في ربانية السفينة إلى السلامة والإنقاذ يشكره أكثر، لأن العالم سند الحاكم، ولكن إذا كان الحاكم ليس راغباً في أن يكون غيره في المقام، والناس إلى الحاكم يميلون بالسيطرة والقوة، وإلى العالم بالحب والأخوة، ففرق كبير بين سيطرة الحاكم بسلطنة الإرهاب، وسلطنة العالم سلطنة المحبة، لذلك تشتد إلى العلماء القلوب أكثر بكثير، ويذهب الحكام ولا يذكرون إلاّ بالسوء في كثير من الأحيان إذا كانوا أهل غير خير، فالعلماء أثرهم كبير، ولنأخذ مثلاً نور الدين شعيب الذي كان يدني العلماء من مجلسه كل يوم ويقرأ الحديث في مجلسه كل يوم، ولما أخذت دمياط من الفرنج وكان في مجلسه عمر بن بدر الموصلي رحمه الله صديقه، فجاء في الحديث حديث مسلسل بالتبسم، أي: أن كل من رواه الشيخ وشيخ الشيخ عن النبيّ ﷺ هذا الحديث لما ورد على لسان النبيّ تبسم والذي حدَّث به من بعده من الصحابة والتابعين تبسم، فصار مسلسلاً بالتبسم، فلما جاء هذا الحديث بالتبسم طلب عمر بن بدر الموصلي من الملك نور الدين أن يتبسم حتى يتسلسل الحديث، فقال له: لا أتبسم، قال: لماذا؟ قال: كيف أتبسم ودمياط محاصرة بالفرنج؟!

«تأثر الشيخ عبدالفتاح أبو غدة رحمه الله بموقف الرواية وسال دمعه»، لم يبتسم لأنه يغار على البلد أن يكون الكفار الصليبيون فيه، وبعد ثمانية عشر يوماً فرّج الله عنهم وانتصروا على الصليبيين واستردوا دمياط، فقال

لصاحبه وبعد أن كان قد أجل حديث التبسم: الآن حدِّث حديث التبسم.

فخير العلماء الذين يكونون عند الحكام الصالحين، وخير الحكام الذين يدنون العلماء، أما علماء السلاطين الذين يكونون في ركب السلطان لا يأمرونه بمعروف ولا ينهونه عن منكر، هؤلاء ليسوا في الحظيرة، وما نتحدث عنهم، لكن العلماء الصالحين ينبغي أن يؤازروا الحاكم الصالح، والحاكم الصالح يسعد كل السعادة إذا كان لديه علماء صالحون.

س: هل توافر عند الأمة في تاريخها فترة كان فيها العلماء في وئام مع الحكام فصارت ظاهرة يمكن أن يرصدها المراقب؟

ج: في الحروب الصليبية بذل نور الدين وصلاح الدين الأيوبي، حاربوا وجاهدوا وقاتلوا واستبسلوا، ولكن كان هناك القاضي الفاضل، قالوا: كان النصر بكتابات القاضي الفاضل ورأيه أكثر من النصر بالجهد والعساكر، فالعالم إذا كان عزيزاً حصيفاً واعياً مدركاً على صلاح وتقوى تكون له نورانية في رأيه، وثقله في علمه واجتهاده، فينفغ، فهو ميزان الخير، لذلك فالعلماء الأقدمون هم سادات الأمة وهم قياداتها، لكن بعد ذلك لما ضعفت القيادات وضعف العلماء ضعف الناس، فذهبت القيادة، وزاد الاستعمار في تكريه هذه القيادة.

س: ما هي الصورة التي ترونها واجبة للعلاقة بين الحكام والعلماء في العصر الحاضر، هل يمكن اعتبار الديمقراطية شكلاً معاصراً يحصل من خلاله كل من الحاكم والمحكوم على حقوقه ويعرف واجباته؟

ج: قد يكون وراء لفظ الديمقراطية مُستَّرات ومخدرات، فبعض الألفاظ تنقل فيكون وراءها معانٍ مخفية، ولذلك إذا كان اللفظ عربياً، درينا نهايته وسعته وضيقه، وما يصدر من ورائه، ولكن إذا كان اللفظ منقولاً فما ندري قد يكون وراءه عدم الاعتماد على الله عزَّ وجلّ، وقد يكون من ورائه أن التشريع للأمة والحكم للأمة وإرادتها، وإرادة الشعب، فمثل هذه الألفاظ قد يختفي وراها معانٍ غير إسلامية، فلذلك ينبغي التحفظ منها، لأنها قد تخفى وتستعمل عند الآخرين على أن الحكم للشعب، فالحكم هناك فقد

صلته بالله، فإذا جئنا فاستعملناه على التمادي أو على الجهل أو ما إلى ذلك، ينقطع المعنى الشرعي الإسلامي بأن الحكم لله: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ ويتصل على معنى ديمقراطي في الدول الرأسمالية أو الشيوعية.

فهذه الألفاظ قد تصحب معها معانٍ غير إسلامية، فما ندريها، فعندما نقول ديمقراطي قد يكون هذا اللفظ مستنداً إلى معنى عرفي عند غير المسلمين، فيحمل المعنى العرفي هناك، ثم ينطبق في نفوس الناس، ونحن نفهم الألفاظ الإسلامية العربية فنفهم ملاءمة اللفظ من عدمه، صحة اللفظ في مدلوله أم خطئه، لكن مثل هذه الألفاظ قد تحمل معاني لا يقرّها الشرع، والتجنب لها أولى.

س: رغم أن الدلالة التي تحملها هذه الكلمات في محيطنا وعالمنا قد لا تحمل الدلالة الأصلية هناك؟

ج: دلالتها في محيطنا بعد التنبيه والتحذير والتبصير، ولكن في بعض الأحيان تأتي بدلالتها وأمراضها هناك.. ما لا يشتبه أولى مما يشتبه.

س: ما هي الصورة التي يجب أن يكون عليها العالم مع الحاكم الآن في وضع المؤسسات الدستورية المعاصرة، وهو ما تبقى من السؤال السابق؟

ج: هذا يرجع للحاكم، إذا كان عاقلاً حصيفاً أميناً يريد خدمة الناس وإرضاء الله عزَّ وجلّ، يقرّب العلماء الصالحين العقلاء الناصحين، ويستفيد منهم ويكرمهم ويكرمونه ويقدرهم ويقدرونه فينفع الناس بهذا، مثل ما يكون ربابنة السفينة متفقين ومتعاونين، مثل ربابنة الطائرة، فيكشفون المخاطر قبل الوقوع فيها.

وكذلك الحاكم إذا كان العلماء معه يحملون المسؤولية ويريدون خدمة الأمة والدين والإسلام، وهو يرى نفسه خادماً للأمة وليس متسلطاً، فهذا هو المقياس الصحيح، فينبغي أن يقتربوا من الحاكم ويساعدونه، لأن الحكم ليس بالشخص الواحد، بل يحتاج لكل الكفايات: المهندس والطبيب والشاعر والصحفي والكهربائي والنجار والأديب والعسكري، حتى تتحقق الكفاية للأمة، ما يمكن أن يكون الحاكم وحده هو الفيلسوف أو عاقل

العقلاء، الفرد وحده ماذا يفعل؟ لا بد من أعوان، «**إن الله يبعث على رأس كل مائة عام لهذه الأمة من يجدد لها أمر دينها**»، من يجدد، أي: مجموعة، ليس واحداً، أي: جماعات: قضاة، حكام، وزراء، نبلاء مهندسين، أطباء، محامين، من كل الكفايات العلمية، حتى تمشي الحياة الحضارية، لأن الحياة مكونة من كل هذه الحاجات، فلو فرضنا أننا فقدنا الأطباء أو المهندسين أو الكتاب، فكيف يكون المجتمع الذي به عشرون عالماً ولكن ليس فيه كتاب يكتبون دفاعاً أو إقناعاً؟

لا بد من الكفايات الكثيرة التي تكون في حوزة الحاكم، ويكون هو متوجهاً إليها بالصدق، وتكون هي متعاونة معه بالصدق.. فيكون خير كثير.

س: هل يكون دخول العلماء في المجالس النيابية خطوة من الصورة التي يجب أن تكون للعلاقة بين الحاكم والعالم.. كما حدث في عدة بلدان إسلامية؟

ج: هذا يختلف، فدخول هذه المجالس قد يكون بغير اختيار الحاكم، فقد يكون أكره على هذا، لأنه وجد هذا أقلّ مصاباً عليه من عدم دخولهم، ينبغي أن يكون الدخول هذا بقلب وقالب وروح.. أن تكون هناك غاية في هذا الدخول، أن يكون الداخلون حاملي مسؤولية، ليس تسكيناً لهم إو بإرضاء، أو باعتبار دخول مقابلهم أناس لا دينيين أو أناس علمانيين أو شيوعيين أو من هذه المسالك الضالة المنحرفة، لا بل يكون مقصود دخولهم لا من باب الإرضاء أو السياسة التجارية، لا بل سياسة للأمة خلقاً وديناً وسلوكاً.

س: هناك من يرى تحقيق كتب التراث خطوة تحتاج إلى مراجعة.. ويرى التحقيق تجارة وليس عملاً علمياً، وربما كان ذلك ناتجاً عن فوضى التحقيق دون تثبت علمي جاد...

ج: كان للكتب سياج من الخوف فكسر هذا السياج واندلق إلى ما يسمونه التحقيق بغير دقة، كان الناس أول الأمر يتهيبون أن يؤلفوا كتاباً خوفاً من الخطأ وخجلاً، اليوم ما بقي هناك خجل من الخطأ أو من الجهل أو

خجل من سرقة العلم، فصار هذا تجارة، وعندما يكثر الشيء الفاسد يهون وقعه على الناس، فإن هذا المقام الرفيع يدخله كل واغلٍ ووالغ على السواء، فيظن أحدهم أنه درس لغة عربية أو يظن أنه درس فقهاً، فيدخل في الفقه ويدخل في الأصول ويدخل في التفسير.

والأصل في كل خلية توزن من العلماء الأقدمين، أنها تمرّ بدقة ومحاسبة شديدة، ولذلك فإن هذا الكلام الذي دوّنه الأقدمون من قبل مائتي أو ثلاثمائة سنة أو ما قبل ذلك إلى أول الإسلام، كل كلمة دوّنت صار عليها نقاش وبحث وتعليق واستدراك وحاشية وتقرير ومناقشة ثم سجّلت، ويأتي بعد ذلك قوم آخرون يتابعون الدق على هذه الكلمة، ولذلك فإن هذه الكلمة مدقوقة دقاً شديداً عميقاً، ولذلك تجدها مثل قطعة الفيروز في موضعها من التاج، لأنها مدروسة، هذا أحسن، هذا فيه كذا، ليس هذا محله، هذا قد يخرجه كذا، هذا ليس تاماً، وهكذا حتى تصاغ الحلية.

أما اليوم فهو كلام جرائد يخبط خبط عشواء، فقد زالت هيبة القلم، وكان العلم مهيباً وأصبح العلم مسيراً، وهذه مشكلة، وخف الوازع الديني من الخطأ ومن الخجل، فكثير من الناس يتسلطون على كتاب لواحد من المشتغلين بالعلم حقيقة وينسبونه لأنفسهم ويأخذون هذه العبارات: «نحن صححنا ما وقع فيه غيرنا من أخطاء»، وينقلون على ما وقع فيه هذا العالم من خطأ وهم لا يدرون، ويقولون: صححنا!

س: ما رأيكم في صورة التأليف المعاصر اليوم؟

ج: إن المكتبة اليوم في السنوات العشر الأخيرة اندلق إليها من الكتب ما لا يحصى كثرة من كثرة ما كتب، كل من اشتهى شيئاً يكتبه ويطبعه، وكان قديماً لا يطبع في السنة إلاّ مائتا كتاب، ثلاثمائة كتاب، تختار وتدرس وتقدم للعلماء الكبار يصححونها، وكان هناك مصححون في مصر، مشهورون بالدقة والأناة، مثل: الشيخ نصر الهوريني والشيخ قطة العدوي، مثل الدسوقي والغمراوي، هؤلاء يخرج الكتاب من عندهم ميزاناً، فإذا ما فهمت العبارة تعيب نفسك ولا تغلط الكتاب، تعيد حتى تفهم، لا بد أن

تنزل فهمك وتلزمه على الكتاب لأن الكلام صحيح.

فإذا كان في الكلام خطأ يدركونه، يضعون على عادته القديمة (٧) فوق الكلام الخطأ أو المشتبه فيه، أو يصوبون الأخطاء في صفحات قد تصل إلى عشرين.. إضافة إلى فهرس للأعلام وفهرس للأخطاء، المستوى الثقافي في هبوط في حقيقته لأنه كثر التلقي من القرطاس، وكان العلماء يتلقون من العلماء، فلما صاروا يتلقون من القرطاس، أي: الدراسة الورقية الصحفية، يقرؤون خطأ لا أحد يرده، يفهم من يفهم خطأ فلا يصحح له أحد، يكون الكلام مشلولاً فلا ينبهه أحد، فإذا تعلم خطأ يكتب خطأ.

أما الأولون فقد كانوا يدرسون بين يدي العالم عشر سنين أو خمس سنين يركزون العلم بالتلقي، فهذا التلقي يصحح وينبه ويعرف ويؤسس فيخرج الإنسان بملكة وبميزان صحيح، فيصير عنده حس مرهف، عندما تمر به كلمة خطأ يعطي إشارة بأن هناك شيئاً هنا، حساسية خاصة بالغلط نحوياً أو علمياً.

الآن لا يوجد هذا لأنه هكذا تعلّم، فمن السبب الرئيسي للضعف كثرة الثقافة الورقية هذه القرطاسية، ولذلك قال الأقدمون: لا تأخذ العلم عن صحفي ولا القرآن عن مصحفي، لأن من تلقى القرآن من المصحف ولم يسمعه من شيخ يأتي إلى سورة من السور فيقرأ «المص» المص كلمة واحدة، وهي: «ألف لام ميم صاد».

س: عرفنا المصحفي.. ألا تحددون المقصود من الصحفي والحذر منه لما في ذلك من حساسية لمهنتنا المعاصرة؟

ج: الصحفي الذي يتلقى من الصحف.

س: لعلكم تقصدون من الكتب.

ج: هذه هي المقصودة، الأوراق، فليس مقصوداً الصحفي المحترف، لكن المقصود هو المتعلم الذي يشيِّخ الصحيفة: شيخه الصحيفة، وليس العالم.

س: هل ترون أنظمة الدراسات العليا الآن في الجامعات المختلفة تعوض الصورة المفقودة للتعلم في آليات وأنظمة تعليمية معاصرة لا تخرج علماء؟

ج: إلى حد ما، إذا وجد اشتغال من الطالب بالتهيؤ والذكاء والقدرة، والمدرس كان مخلصاً يجب أن يؤسس خلائق صالحين عالمين، فإن هذا ممكن، لكنه قليل.

س: هل يمكننا أن نطرح ـ من خلال تجاربك وإبحارك العلمي ـ صورة طالب العلم المثلى التي تكوّن علماء في الأمة في المجالات المختلفة؟

ج: الأصل في هذا أن يتحد العلماء: أولاً أن يكون هو خيراً في نفسه يبتغي الصلاح والتقوى من التعلم، أن يكون عنده نفسية خيِّرة فيها الإخلاص والتواضع والخلاص من الجهل، وهذه كلها نيات تدخل في العبادة يؤجر عليها ويثاب، لا تكون عنده نية الارتزاق أو التوظف أو الاعتلاء على الناس أو المزاحمة في الشهادات، فإذا كان عنده نفسية طيبة ومقاصد صحيحة سليمة ينبغي أن يتقصد الشيوخ العالمين أو الأساتذة العلماء الموثوقين الحافزين بعلمهم.

هناك عالم إذا سألته أجابك مثل الآلة فقط، وهناك عالم تسأله فيشتعل قي قلبك خدمة حب العلم من حديثه وبيانه، فيكون هذا العالم أنفع للمتعلم من ذاك، فينبغي أن يتقصد العلماء، الذين فيهم جذوة العلم من الإتقان، من الضبط، من اليقظة، من عدم التساهل في العلم، من عدم التساهل في العمل.. كل هذا يأتي بالمتانة، أما إذا كان يتساهل في الضبط «زي بعضه ـ معلهش».

ينبغي للطالب أن يتزود من العلماء الذين فيهم قدوة، هذا يفيده في ناحية الحماسة الدينية، يتأسى به، وهذا عنده حماسة علمية، هذا عنده اهتمام بالحديث فقط، هذا عنده اهتمام بالأصول، بالتفسير.. فهو يدخل عليهم جميعاً ويقطف من ثمارهم ويجمع في نفسه فيكون طعماً جديداً، لأنه أخذ من ألوان، من ثمار مختلفة، ولذلك يكون طعمه في بعض الأحيان

أطيب من طعم بعض أساتذته، لأن أستاذه كان ذا علم أو علمين، لكنه صاحب عشرة علوم، ينتفع الناس به أكثر لما عنده من حماسة وصبر على مخالطة الناس.

لذلك إذا كان طالب العلم في تأسيسه صالحاً، وفي نيته صالحاً، وتوخى العلماء في أي فن كان: شرعياً أو كونياً أو اجتماعياً، فإنه يخرج صالحاً.

فيتعلم من أستاذه الأمانة والتقوى والصبر واليقظة والدقة والمتانة وعدم التساهل في العلم، فما الذي يجعل الغربي دقيقاً والشرقي «سبهللي؟» الغربي يتمسك بالدقة فيبني عليها: دقة وراء دقة تأتي بالعجائب.. وأما نحن فإن التساهل وراء التساهل يأتي بالخرائب!

س: أنتم هنا ترون إمكانية الاستفادة من الحضارة الغربية إذن؟

ج: طبعاً نستفيد، لكننا قدمنا لهم وتخلفنا فأخذوا الطعام، وقالوا: ارجعوا ما هو بطعامكم، أخذوا ما قدمناه نحن.

س: قد نرجع قليلاً إلى فكرة البحث عن منهج تكوين العلماء؟

ج: النيّة الصالحة وتخير الأساتذة والتفرغ، وهو ألا يشتغل قلبه بغير العلم، ولا بد من الصبر على لألواء الحياة في أولها: من لم تكن له بداية محرقة لم تكن له نهاية مشرقة.. لا بد أن يكون عنده احتراق العلم، منهمك، مشغول، لكن بعد التمكن - بعد قليل - يصبح العلم فيه كأنه فطرة، فيفيض بالعلم ويمكن بعد ذلك أن تأتي له الراحة أو السعة في المال، وجلَّ ربنا أن يعامل العبد نقداً فيجازيه نسيئة.. فإذا خدم الدين صدقاً ووفاءً وأمانةً وإخلاصاً، فإنا ربنا لا يضيع عمل عامل، فيقابله بالتوفيق والغنى واليسار والتكريم، والثقة بالعالم أكبر من ملك الدنيا، يصبح كلامه حجة بعد كلام الله وكلام الرسول، وهذا ثمن غالٍ جداً، والناس يلتزمون بقوله، يسيرون وراء كلمته، وهذا شيء عجيب لو تفكر الإنسان فيه، ثم بعد ذلك عجب عليه المتابعة، فلا يظن أنه حيث درس وانتهى في مرحلة معينة بأن هذا يكفي.. فالمحبرة إلى المقبرة كما قال الإمام أحمد.

حماد بن محمد الأنصاري
(العالم الأصولي المحدّث)

الترجمة:

أصله من أسرة علم وفُتيا وقضاء في مالي، درس جميع العلوم الشرعية واللغة والمنطق على شيوخ كثيرين من جنسيات مختلفة، استقرَّ بالمدينة المنورة بعد رحلة شاقة في طلب العلم، كان ذا حافظة عجيبة، خطيباً لا يُرتج عليه، همُّه لقاء العلماء وجرد ما عندهم، انزوى عن الدنيا ومشاغلها وتفرَّغ للعلم وأهله وجمع المخطوطات، فكانت له مكتبة تزخر بأنواع الكتب والمخطوطات وخاصة الحديث الشريف، وكان منزله دوحة لطلاب العلم، يستفيدون من علمه ومن مكتبته: أشرف على العديد من الرسائل الجامعية، وله مؤلفات، منها: ديوان الضعفاء والمتروكين للذهبي (تحقيق)، يانع الثمر في مصطلح أهل الأثر، تحريم نكاح المتعة لنصر المقدسي (تحقيق).. وغيرها.

توفي يوم الأربعاء (٢١) جمادى الآخرة، سنة ١٤١٨هـ.

هذا اللقاء:

إنها ذكريات تجمع بين الألم والمتعة.. كل شيء يهون أمام هدف طلب العلم.. إنها تربية ترسَّخت في أذهان كثير من أبناء هذه الأمة، فأصبحوا أعلاماً وقدوة للآخرين، تتناقل أخبارهم على مرّ العصور، ولهذا العالم رحلة شاقة في هذا المجال، بقي طوال عمره عالماً ومتعلماً، أخلص للعلم فكان أعجوبة يتحدّث عنها طلبة العلم.

لقاء طويل.. لكنه ممتع حقّاً، تتعرَّف من خلاله على قطعة أثرية لامعة كبرق الشتاء في مدلهم هذه الحياة..

يقول محاوره في مناسبة هذا اللقاء:

«في كل خطوة لطالب العلم تستغفر له الملائكة والمخلوقات حتى الحيتان في جوف البحر رضاً بما يصنع، وإذا مات فهو شهيد. ما أعظم هذه المكانة التي حظي بها الشيخُ حماد الأنصاري وهو يغادر بالعلم وفي سبيل العلم (تادا مكة) تلك المدينة النائية في قلب الصحراء الغربية بين الجزائر ومالي إلى المدينة المنورة في زمن لم تكن فيه الطائرات أو القطارات، بل إنه لم يرَ الطريق المرصوف إلاّ بعد أن دخل الخرطوم.

إنها مسيرة طويلة، وبحجمها يأتي علم الشيخ المحدّث الذي يقبع الآن بين جدران مكتبته في المدينة المنورة ليأخذ بأيدي الباحثين ويواصل رحلته مع علم الحديث، ويقدم المعلومات التي احتضنتها دفات الكتب القديمة، وما زال ينبش عن الحديث وأسانيده في ذاكرة الزمن.

الشيخ ـ أطال الله عمره ـ فتح أمامَنا ملف مسيرته المباركة نستلهم منها العبرة والقدوة، وفتح أمامَنا أيضاً مكتبته لنطالع صرحاً علميّاً نادر الوجود.

وبين (تادا مكة) الإفريقية والمدينة المنورة، وبين بدايات العلم في مكة وحلقات العلم في المسجد النبوي والجامعة الإسلامية ومكتبة الأنصاري كانت لنا الجولة مع مسيرة داعية ومحدّث».

أجرى هذا الحوار معه الأستاذ سعيد باحكم، ونشر في العدد (٨٦٧٥) من جريدة: «عكاظ» الصادرة في السعودية، بتاريخ (١٤١٠/٩/١٩هـ)، ونقله ابنه عبدالباري وضمَّه إلى كتابه: «المجموع في ترجمة العلاَّمة المحدّث الشيخ حماد بن محمد الأنصاري رحمه الله تعالى وسيرته وأقواله ورحلاته» ص٢٥٧ ـ ٢٨٧، وقد صدر الكتاب عام ١٤٢٢هـ، ولم يشر إلى لقاء آخر أجري معه بعده، وهذا ما حدا بي إلى القول إنه آخر لقاء معه، على الرغم من عشر السنوات الفاصلة بين اللقاء والوفاة، ولا يستبعد هذا من عالم رضيَ بالكتب عن الصحافة، وبأهل العلم عن رجال الإعلام.. فكان الوفاء والنماء...

❋ ❋ ❋

نصّ الحوار

س: فضيلة الشيخ حماد: التماساً للقدوة، ليتنا نتعرف على جانب من نشأتكم وطفولتكم وبدايات حياتكم؟

ج: وُلِدت في مدينة (تادا مكة) التي تقعُ في الصحراء الغربية بين الجزائر ومالي، ولم يبق فيها إلاَّ القليلُ من سكّانها الذين هاجر معظمهم إلى مدينة (قاوة) التي أصبحت في الوقت الحاضر عاصمة المنطقة الشرقية في مالي، وكانت العاصمة قبل الاستعمار الفرنسي (تنبكتو) التي أصبحت عبارة عن أطلال قديمة.

وولدت في شهر ذي القعدة عام ١٣٤٤هـ، ولكنهم حددوا ميلادي عام ١٣٥٠هـ، الأمر الذي أدّى إلى تأخير موعد إحالتي للتقاعد للعام الحالي.

رفضت العلم (الكفر):

س: ماذا عن البيئة التي نشأت فيها؟

ج: نشأتُ في بيئة علمية في مدينة (قاوة) التي ما زالت تشهد نشاطاً علمياً نادراً في علوم اللغة والتاريخ والأدب والتفسير والفقه المالكي خاصة في مركز (مناقة) الذي يشهد نشاطاً علمياً كبيراً..

وهكذا نشأتُ في هذه البيئة في هذه البلدة التي لم تتغير إلاَّ عندما تمّ جلاء الاستعمار منها عام ١٣٨٠هـ، وأذكر أني حضرت اجتماعاً دعا إليه الحاكم الفرنسي نيابة عن عمي الذي كان مفتياً وقاضياً، وكان مسنّاً لا يستطيع أن يمتطي الجمل للذهاب لمقرّ هذا الاجتماع الذي طلب فيه الحاكم الفرنسي منا أن نسمح لأبنائنا للدراسة في المدرسة التي يود إقامتها لهم، فطلب منا تحقيق ذلك الهدف إما بالمروءة أو القوة.

ومنذ أن دخل المستعمرون لبلادنا منعنا أبناءنا من الدراسة في المدارس الفرنسية، لأننا كنا نرى أن ذلك نوعٌ من الكفر..

ورفض الحاضرون طلب الحاكم الذي أصرّ على تحقيق ذلك بالقوة، فأمر العسكر بالدخول للبلد لأخذ أبنائنا، وحصل ذلك، فقال لنا بالحرف الواحد: «إننا سنفتح لأبنائكم مدارس في بلدكم وتختارون أنتم المدرسين فاطمأنُوا» فاطمأن الناسُ.

وبدأ إنشاء المدرسة، فعيّنوني أحد المدرسين لتدريس الشريعة، فرفضت ذلك بحجة أنني لا أدرّس مع الكفار، ورأيت أنني إذا مكثت سيدخلوني بالقوة في هذه المدرسة، فقررتُ أن أسافر، وبالفعل في آخر الليل ذهبتُ وأحد تلاميذي إلى نيجيريا.

تيتمت مبكّراً:

س: وكيف تلقّيت العلم الشرعي هناك؟

ج: نشأتُ يتيماً، وعشت اليتم مبكراً، حيث توفي والدي حينما كان عمري ثلاث سنوات، فأخذني خالي المدرس فأدخلني في مدرسته.. وكان الطالب يبدأ دراساته منذ صغره بتعلم الحروف الهجائية على الترتيب الأندلسي لا على الترتيب المشرقي.

وبعد ذلك يبدأ الطالبُ بقراءة القرآن، فبعض الطلاّب يستمع القرآن المقروء ليحفظه، والبعضُ الآخر يقرأ القرآن على الألواح، لأنه لم تكن هناك كتب كثيرة، حيث إن الكتاب الواحد يشترك فيه عدة أساتذة، أما أنا فلم أترك دراسة القرآن حتى حفظته كله على اللوح.

وبعد ذلك أمرني خالي أن أبدأ بدراسة التوحيد، فقرأت: «مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني» وهي عقيدة سلفية، ثم أمرني خالي ببداية دراسة اللغة العربية، الإعراب، ثم «ألفية ابن مالك»، ثم «زوائد الكافية»، وهكذا، وكنتُ أحفظُ بسهولة.

وبعد إكمال دراسة اللغة العربية صار عمري ١٥ سنة، وحينذاك أمرني خالي أن أبدأ دراسة الفقه لأتعلم أحكام الصلاة، وبالفعل درست الفقه، فأكملت دراسة عدة رسائل على اللوح.

وبعد ذلك دَرَسْتُ البلاغة مثل «الجوهر المكنون»، والبيان، والمعاني، والبديع.

ثم بعد ذلك دَرَسْتُ أصول الفقه، وحيث أنه لم تكن توجد أية مؤلفات لأصول الفقه المالكي في منطقة مالي آنذاك، فلجأنا إلى أصول الفقه للشافعية، فدرسْتُ «الورقات» لإمام الحرمين نظماً ونثراً، ثم دَرَسْتُ «جمع الجوامع» رغم تعقيداته، ونظمتُ منه عدة أبواب صعبة مثل القياس والتصوّف.

ودرست التنجيم:

ويضيف: وبعد دراستي لأصول الفقه رأى المشايخ أن أعمل في التفسير بعد دراستي للغة والنحو والبلاغة، ولم يكن يوجد لدينا من مؤلفات التفسير إلاّ «الجلالين»، و«البغوي»، و«الخازن» وكلها مخطوطة غير مطبوعة، فاشتغلتُ بالتفسير، ودرَسْتُ «الجلالين»، و«البغوي» واكتفيتُ بهما.

ثم انتقلتُ إلى الحديث فَدَرسْتُ «الموطأ»، و«أبا داود»، و«مختصر صحيح البخاري» للسندي.

ثم بعد ذلك دَرَسْتُ التنجيم، حيث إنّه كان مفروضاً علينا دراسة التنجيم الذي كان على قسمين: تنجيم التنسيق، وتنجيم التقدير، فدرسنا تنجيم التسيير الذي يدلنا على معرفة الطرقات والنجوم والفصول، ودرستُ كتاباً في التنجيم يسمى «كتاب التنجيم» للسوسي، وهو كتابٌ مفيد للتنجيم، ولا يوجد عندنا كتابٌ غيره في هذا المجال، ولا أزالُ أحفظُ هذا الكتاب.

وهذا هو المنهج الدراسي الذي كان متبعاً في المنطقة الشرقية في

مالي، والتي كانت كل مناطقها السابقة آنذاك يتوارد سكانها على المنطقة الشرقية للدراسة في المدرسة التي بناها أهل العلم، وهي مفتوحة لكل من يريد أن يلتحق بها من مناطق مالي ونيجيريا وغانا.

وعندما خرجت من مالي كان يوجد في هذه المدرسة نحو (٤٠٠) طالب، أغلبهم من خارج المنطقة الشرقية.

الكتب والحفظ:

وصمت الشيخ حماد برهة ليضيف قائلاً:

هذا المنهج مفيدٌ للغاية رغم قلة المراجع والكتب في ذلك الوقت، الأمر الذي دفعنا للتركيز على الحفظ الفوري من اللوح الخشبي لعدم وجود الكتب التي نعتمد عليها، وذلك بخلاف اليوم الذي يصعب فيه على الطالب أن يحفظ المقررات لتوفر الكتب والمراجع بكثرة، كما قال الحافظ الذهبي في «تذكرة الحفّاظ» ـ في الطبقة الرابعة[1] ـ: ما قلّ حفظ العلم غيباً إلاّ بعد كثرة الكتب، وقبل كثرة الكتب كان علم العلماء أغلبه محفوظاً في صدورهم، ولهذا قال الشافعي هذين البيتن رحمه الله:

علمي معي حيثما يممت يتبعني ... جوفي وعاء له لا بطن صندوق
إن كنت في البيت كان العلم فيه معي ... أو كنت في السوق كان العلم في السوق

ولكن اليوم علمنا في الكتب المتراصة على رفوف المكتبات.

س: إلى أيّ مدى أثرت كثرة الكتب سلباً أم إيجاباً؟

ج: لقد أدى توفر الكتب إلى عدم ترسيخ العلم الغيبي، فكما قال سلفُنا: إن للعلم الغيبي فائدة كبيرة، يستفاد منه في أيّ مكان، ولكننا في الوقت الحاضر اكتفينا بهذه الكتب المتراصة على الرفوف دون أن نحرص على قراءتها.

---

(١) يحرّر وينظر في «التذكرة».

أفارقة ومشارقة:

س: من هم المشايخ الذين درستَ عليهم؟

ج: مشايخ أفارقة ومشايخ مشارقة، وكما ذكرت فإنني قد خرجت من البلاد عام ١٣٦٥هـ، ووصلتُ إلى هنا عام ١٣٦٧هـ، وذلك للعقبات والعوائق التي واجهتنا في الطريق أيام الحرب العالمية الثانية، وكما تعلم أن أفريقيا الغربية (مالي، والنيجر، وفولتا العليا، والسنغال، وغامبيا، ونيجيريا) كان قبل الاستعمار حجاجها يأتون عن طريق مصر من الجزائر إلى تونس ثم إلى مصر، وقد كتبتُ كتيّباً عن هذه الرحلات للحج، تتمّ طباعتُه حالياً، وفيه فوائد كثيرة، وأذكر أن الاستعمار قد أوجد العوائق أمامَ هذه الرحلات لمنع الحاج من أداء الحج، فاضطررت أن أسلك طريقاً جديداً مروراً بنيجيريا، فواجهتنا عدة مشكلات آنذاك.

مشكلات في طريق الحج:

س: ما هي المشكلات التي واجهتكم؟

ج: من أخطر هذه المشكلات: أذكر أننا عندما عزمنا الخروج من البلاد صعبَ علينا أن نذهب للمركز الفرنسي لاستخراج جواز سفر، لأنه لو قدمنا طلباً للحصول على جواز سفر سوف لا يتحقق لنا ما نصبوا إليه، لأنهم يعرفون أننا نكرههم، فإذا خرجنا سوف لا نرجع إليهم، لذلك كانوا يطالبوننا بدفع دية مالية لهم تضطرنا للرجوع إلى البلاد مرة أخرى، ولأنا كنا لا نستطيع دفع الدية، ولما لم نتمكن من الحصول على الجواز، سافرنا بعد منتصف الليل حيث كانت هناك حدود بين النيجر التابعة لفرنسا ونيجيريا التابعة لبريطانيا، وفي نهاية الحرب العالمية الثانية وضعت كل من هاتين الدولتين جيوشاً على حدودها، بريطانيا على الجنوب وفرنسا على الشمال، وذلك لمنع المرور من فرنسا إلى بريطانيا والعكس، إلاَّ لمن يحمل الجواز، وإذا ألقي القبض على شخص لا يحمل جوازاً يتعرض لعقاب شديد.

ورغم ذلك توجهنا ـ ٤٠ كيلو متر ـ نسافر ليلاً ونتلوا القرآن نهاراً،

ولما اقتربنا من المعسكر الفرنسي عند العصر حطّينا الرحال لنصلّي العصر والمغرب والعشاء جميعاً، وبعد ذلك واصلنا سيرنا عبر الحدود التي كانت عبارة عن غابة فيها طريق لا يسع إلاّ لشخص واحد فقط ليتم التمكن من القبض عليه بسهولة.

وعندما وصلنا إلى هذه الغابة وجدنا أن جميع العساكر فيها سنغاليون لا يعرفون لغتنا، ولكنا عرفنا طريقة الخلاص، فكانت معنا مبالغ نقدية، أغلبها جنيهات مصرية وصلت إلى مالي بخطة معينة، حيث إننا عندما عزمنا الخروج من البلد أرسلنا أحدنا إلى نيجيريا كانت معه مبالغ من الفرنكات الفرنسية التي كانت مستخدمة لدينا آنذاك، وعندما وصل إلى (كانوا) في نيجيريا الشمالية صرف هذه الفرنكات بالجنيهات المصرية التي وضعناها في القِرَب.

وسألنا العسكري عن النقود التي كنا نحملها، فقلنا له: لا نحمل أية مبالغ نقدية، ففتشنا دون أن يجد شيئاً، وكان بإمكان هذا العسكري أن يحبسنا، ولكن قبل أن نصل إلى هذه الحدود نزلنا عند والد (حامد الغابد) الذي ينتمي إلى إحدى القبائل في تلك المنطقة، فسُمح لنا بالمرور بسببه.

وعندما وصلنا إلى العسكري البريطاني سألنا ما فعله بنا العسكري الفرنسي، قلنا له: سلمنا منه الله عزَّ وجلّ، فما كان من العسكر البريطانيين إلاّ السماح لنا بالمبيت عندهم، وأكرموا وفادتنا، ثم سمحوا لنا بالمرور.

وبعد ذلك دخلنا نيجيريا الآمنة، وهكذا واصلنا مشوارنا بعد شهرين قضيناهما في نيجيريا للبحث عن جواز سفر، لأنه يمنع الخروج من نيجيريا إلاّ بجواز سفر، وأشار إلينا أحدُ الإخوان أن نصل إلى (بورنو) وعاصمتها (جروة)، وذهبنا إليها، وهناك استقبلنا الشيخ، واستضافنا لمدة شهر، وعندما غادرناه ساعدنا كثيراً، فذهب معنا إلى الجوازات في (برونو)، وكان مدير الجوازات يعرفه، فسلمنا عليه، واطلع على قضيتنا فاستخرج لنا جوازت بتوفيقٍ من الله.

وهكذا تمكنا من الخروج من (برونو) ودخول تشاد التي فتشونا فيها

بشكل مبالغ فيه، ولم يجدوا عندنا شيئاً لأننا كنا نخبىء أموالنا في (القِرَب).

وقبل أن نصل إلى (انجامينا) بعنا الجمال في (سوكوتو) والتي ركبنا منها السيارات حتى وصلنا إلى الخرطوم التي وجدنا أن طرقها مسفلتة.

ومن خروجنا من بلدتنا إلى السودان لم نَرَ أيّ أثر للكهرباء والطرق المسفلتة إلاّ في السودان الذي لم تواجهنا فيه أية عقبات.

ما بين مكة والمدينة:

س: أعودُ مرة أخرى إلى سؤالي الذي لم تجب فضيلتك عليه بعد، من هم المشايخ الذين درست عليهم؟

ج: من أشهر المشايخ: خالي محمد أحمد بن تقي الأنصاري، ومحمد أحمد الملقب بالبحر، وموسى الكسائي الأنصاري، وحمود بن محمود الشريف.

أما عندما وصلتُ إلى مكة عام ١٣٦٧هـ فقد حرصتُ على الانضمام إلى الحلقات الدينية في الحرم المكي الشريف، وهذه الحلقات غاصة بعدد من العلماء، أذكر منهم: عبدالحق العمري الباكستاني الهندي، والذي كان يدرس في البخاري، بالإضافة إلى حامد فقي الذي كان يلقي كل يوم درساً في باب علي بمكة المكرمة، وعبدالله المشاط، والعربي التباني، ومحمد أمين الحلبي الذي كان يدرس النحو.

ثم انتقلتُ إلى المدينة المنورة عام ١٣٧١هـ، وذلك بعد أن مكثتُ في مكة أربع سنوات كنت خلالها أدَرِّس في الحرم، وذلك بعد أن استأذنتُ الشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ الذي كان مسؤولاً عن الدروس في ذلك الوقت.

وعندما وصلتُ إلى المدينة المنورة بدأت في دراسة العلوم الشرعية، فالتحقتُ بدار العلوم، وذلك بعد أن ساعدني في ذلك الشيخ أبو بكر

التنبكتي، وَدَرَّسَنَا في دار العلوم عددٌ من الشيوخ، منهم: محمد الحافظ، وعمر بري، وعبده خديع الذي كان من أعظم المدرسين في هذه المدرسة.

ويواصل فضيلتُه حكايته مع العلم:

وبعد ذلك حرصت على الانضمام إلى الحلقات الدينية في المدينة المنورة، التي كان يدرس فيها أساتذة دار العلوم، ومن مشايخي الشيخ محمد عبدالله المدني الذي كان إمام الحرم النبوي قبل الشيخ عبدالعزيز بن صالح، وقد كتبت عنه كتاباً. وسبب هجرته من المدينة وتركه الإمامة أنه عندما كان إماماً في ذلك الوقت حدث بينَه وبين أهل المدينة سوء تفاهم، فقدم استقالته وسافر إلى بعض الجهات كالهند واليمن، ومن هناك جاء إلينا في مدينة (قاوا)، وقد استفدتُ منه بشكلٍ كبيرٍ في العلوم الدينية، حيث إنني وزملائي لم نكن آنذاك قد اطلعنا على كتب السلف التي كانت موجودة عند الشيخ محمد المدني الذي افتتح مدرسةً للتوحيد والسنة في إفريقيا.

يضافُ إلى ذلك: أنني استفدت من رحلتي للهند التي اطلعتُ على مكتبات تراثية هامة، هي المكتبة السعيدية والأوصفية ومكتبة المعارف والمكتبة العثمانية، وصورت من هذه المكتبات باسم الجامعة نحو (٥٠٠) من المخطوطات، موجودة في مكتبة الجامعة، وكذلك مكتبة (بتنة) في بيهار الهندية تحتوي على مخطوطات من مختلف الفنون.

رحلتي مع التدريس:

س: كيف التحقت بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة للعمل فيها؟

ج: عندما انتقلت إلى المدينة المنورة بدار العلوم خلال الفترة من عام ١٣٦٩هـ إلى ١٣٧١هـ، وأذكر أن ابن عمي إسماعيل الأنصاري الذي عمل مدرساً في مكة المكرمة بواسطة عبدالقدوس الأنصاري قد كتب إليّ بمجرد أن تركتُ دار العلوم لأرجع إلى مكة المكرمة للعمل مدرساً في المدرسة الصولتية، فعملت مدرساً في المتوسطة في السنة الأولى والثانوية في السنة الثانية والعالي في الثالثة والتخصص في السنة الرابعة، وفي السنة التي قدم

إلى مكة بعض المشايخ منهم الشيخ عبداللطيف بن إبراهيم آل الشيخ، وأخوه الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، فذهبت إليهما فوجدتهما عند أخيهما عبدالملك الذي عرفهما بي، فقال لي عبداللطيف: لا تضيع وقتك بالعمل في مدرسة أهلية، وأمر الكاتب أن يتصل بعبدالعزيز اللنجاوي الذي كان مسؤولاً عن الأساتذة المبتعثين إلى الكليات فأخبره بخبر ذهابي إليه.

وبالفعل بعد أداء فريضة الحج ذهبتُ إلى جدة، ثم إلى الرياض لأعمل مدرساً في كلية الشريعة، وأثناء عملي في هذه الكلية اقترح الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله تعالى أن يفتح معهداً لإمام الدعوة، فجمع المدرسين وبحث معهم إنشاء هذا المشروع الذي كان عبارةً عن مدرسة متوسطة وثانوية وعالية، فباشرتُ عملي في القسم العالي، وبقيت فيه من سنة ١٣٧٥هـ إلى ١٣٧٨هـ حيث تمّ نقلي إلى كلية الشريعة التي بقيتُ فيها فترة من ١٣٧٩هـ إلى ١٣٨٤هـ، ثم نقلت إلى الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وما زلتُ مستمراً فيها حتى الآن.

وتبلُغ مدة خدمتي نحو ٤٠ سنة، وتمّ إعلان إحالتي للتقاعد في شهر محرم الماضي[1].

صحوة علمية:

س: انطلاقاً من تجربتك الكبيرة في مجال التعليم، كيف وجدت الطريق في مجال العلوم الشرعية والعلوم الدينية بصفة عامة؟

ج: لقد عشت فترتين في الماضي والحالي، ويمكن أن أقول: هناك صحوة علمية كبيرة، بدأت في الآونة الأخيرة بتشجيعٍ من الدولة التي تولي اهتماماً كبيراً بالعلم والإسلام، وهي صحوةٌ لا يوجد لها نظيرٌ إطلاقاً، فالشباب يُقبلون على التعليم والتقيد بالإسلام وتقاليده دون أن يوجد ذلك في دول العالم الأخرى.

---

(١) وهذا اللقاء كان في عام ١٤١٠هـ - شهر رمضان -.

وتعيشُ هذه البلاد نهضة تعليمية كبيرة، نأمل أن يجعلها الله نهضةً معينةً على نصر الإسلام.

مناهج اليوم والأمس:

س: هل لكم ملاحظات معيّنة على أسلوب التدريس والمناهج؟

ج: لقد سبق أن أجريت مقارنة بين التدريس الحالي والماضي، ووجدت فروقات كبيرة، فالمناهج الدراسية التي كانت مطبقة خلال الفترة من عام ١٣٧٣هـ حتى بداية القرن الحالي ذات نفع كبير بالمقارنة بالمناهج الحالية، ومن ملامحها أنها ليست في حدود طاقة الطلاب وما لا يقدرون على هضمه، يضاف إلى ذلك أن هذا المنهج لم يبن على دراسة نفسيات الطلاب وطاقاتهم وإمكاناتهم، وقد تتلاشى ملاحظاتنا على المنهج الحالي إذا رجعنا للعمل بالمنهج السابق.

لستُ مع هذا الرأي:

س: رغم وجود نسبة كبيرة من الجامعات والمدارس التي تدرِّس المناهج الإسلامية حالياً إلاَّ أنه يلاحظ أن الأثر الإسلامي يكاد يكونُ ضعيفاً لدى جيل اليوم، ما تفسيرُكم لذلك؟

ج: لا أتفقُ معك في ذلك، لأننا نعيشُ صحوةً إسلامية كبيرة، تزامنت مع هذه الجامعات التعليمية التي أنشأتها الدولة، ويمكن القولُ إن الجامعات هي السببُ في حدوث هذه الصحوة الإسلامية، إذْ أن التعليم كان ضعيفاً قبل إنشاء هذه الجامعات، بخلاف اليوم الذي زادت فيه معدّلات التنافُس بين الطلاب للحصول على التعليم العالي.

المنهج والتوجيه:

س: وكيف نستطيع أن ننهض ونرتقي بمستوى الشباب المسلم؟

ج: الشباب المسلم يحتاج إلى أمرين:

الأمر الأول: خاص بوضع منهج علمي على قدر مستواه.

والأمر الثاني: هو توجيه هذا الشباب ومساعدته على التخطيط.

وإذا تحقق ذلك فإن شبابنا يستطيع التفوّق على شباب دول العالم الأخرى لتوفر الوسائل التعليمية لديه.

الدعوة بخير:

س: كيف ترون حال الدعوة الإسلامية اليوم، خاصة وأن هناك من يرى أن هناك تقصيراً كبيراً في هذا المجال؟

ج: الدعوة الإسلامية كلمة مجمَلة تحتاج إلى شرح، والمراد بكلمة الدعوة إذا أطلقت خارج هذه البلاد دعوة أهل الكفر إلى الإسلام، والمعنى الآخر إذا أطلقت هنا قد يُراد بها التبليغ وتعليم الناس وبثّ مكارم الأخلاق في نفوسهم، والمراد بها هنا هو المعنى الثاني، فالدولة بذلت جهوداً جبارة في هذا المجال، ورغم ذلك إلا أن الأمر يحتاج إلى المزيد من الموجهين والمربين المخلصين في مجالات التعليم ليساندوا الدولة التي تبذل جهوداً كبيرة لإيجاد كل ما يحتاج إليه شبابنا، وإذا تعاون المواطنون مع الدولة سيتحقَّقُ الخيرُ الوفيرُ لهم.

وهناك جهات مختصة عديدة مسؤولة عن الدعوة الإسلامية، فإذا نظرنا إلى أفريقيا قبل ٤٠ سنة يسودُها الجهلُ وسوء العقائد وعدم التفقُّه في الإسلام، نجد اليومَ أن فيها كمّاً هائلاً من الدعاة الذين تخرّجوا من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، يضافُ إلى ذلك أنه يوجد في كل بلد أفريقي مركز للدعوة الإسلامية، لم يكن موجوداً قبل ٤٠ سنة مضت.

خطرٌ تنصيري جامع:

س: رغم وجود نشاط كبير في أفريقيا للدعوة الإسلامية إلاّ أنه يلاحظ وجود نشاط آخر للتنصير ومحاربة الإسلام، كيف ترون إمكانية مواجهة هذا الخطر؟

ج: نعم هذا أمرٌ واقعٌ بالفعل، حيث إن المنصرين الذين يسمون

بالمبشرين بذلوا وأنفقوا كل ما يقدرون على بذله وإنفاقِه في الإحالة بين المسلمين وبين تمسكهم بدينهم، لا سيما في شرق أفريقيا، وقد رأيتُ ذلك من خلال رحلاتي إلى إفريقيا، وقمتُ بعدة رحلات لجهات مختلفة: أوروبا، وأفريقيا، ودول شرق آسيا، والشام، ومصر، وغير ذلك من الدول التي وجدت أن المنصرين فيها يمتلكون إمكانات كبيرة، لذا يجبُ على المسلمين أن يواجهوا هذا النشاط وهذا التّيار بتوظيف ما يملكون من طاقات وإمكانيات سواء من أنفسهم أو من دولهم.

ولو صمد المسلمون في مواجهة هذا التّيار النشيط المتمكن لنصرهم الله عزَّ وجلّ فقد قال عزَّ وجلّ: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [محمد: ٧].

ويلاحظ أن في أفريقيا وأندونسيا في الوقت الحاضر دعاة مخلصين متخرجين من الجامعة الإسلامية يحاولون بذل جهدهم في المسلمين الإسلام [هكذا]، ومحاولة إبعادهم عن هؤلاء المنصرين، ولكنهم لم يستطيعوا أن يبذلوا كل ما يمتلكون من جهد وطاقات، لأن المنصرين يستطيعون أن يتغلبوا على الدعاة المسلمين الضعاف، ونرجو إبطال محاولات هؤلاء المنصرين بتوفير الإمكانيات، وقد اقترحتُ عقد ندوات للحصول على معلومات عن نشاط الدعاة الأفارقة الذين دَرَسوا هنا للتعرف على جهودهم واحتياجاتهم.

الجمعُ بين العلمين:

س: وكيف تنظرون للفكرة التي تنادي بإعادة النظر في تطوير التعلم الإسلامي في الدولة الإسلامية؟

ج: التعليم ينقسم إلى قسمين:

تعليم ديني، وتعليم مادي، وهذان القسمان ينبغي العناية بهما، فمثلاً: دولتُنا الرشيدة تبذل جهوداً كبيرةً للجمع بين هذين القسمين، وهكذا فإن أيّ بلد لا يمكن أن يستغني من حتمية الجمع بين هذين العلمين، لأن العلم الشرعي يعلم الفردَ كيفية بقاء صلته مستمرة مع الله عزَّ وجلّ، والعلم المادي

يساعد الفرد على القيام بالعلم الشرعي، فإذا لم يتعلم المسلمون الرياضيات والهندسة فمن أين لهم أن يبنوا المدارس والمساجد والجسور ويعرفوا كيفية حساب الصدقات.

إذن قوة المسلمين تكمُن في أمرين:

الأمر الأول: هو دراسة كتاب الله دراسة وافية.

والأمر الثاني: هو إيجاد ما يحمي هذا الكتاب من التلاعُب به من قِبَل الأعداء.

لذا يجبُ على المسلمين دراسة العلوم الشرعية والمادية، أما التركيزُ على واحدٍ منهما دون الآخر فهذا أمرٌ خاطىء، فقد أمر الله عزَّ وجلّ بذلك، فقد قال: ﴿أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الأنعام: ٧٢]، و﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠] فإذا لم تكن هناك صناعات وزراعة يصعُب علينا الاستغناء عن أعدائنا.

مكتبة الشيخ:

س: كيف ومتى بدأتَ تأسيسَ مكتبتك؟

ج: بدأتُ في تأسيس هذه المكتبة عام ١٣٦٧هـ، وكانت في البداية مكتبة عامّة تحتوي على كل العلوم والمواد، إلاَّ أنه في عام ١٣٧٣هـ، قمتُ بإهداء هذه المكتبة إلى عمي الذي أرسلتها له، وبعدَ ذلك بدأتُ في تأسيس المكتبة من جديد.

س: كم يبلغ عدد كتب هذه المكتبة؟

ج: لم أستطع حصر عددها.

س: يلاحظ أنك أوليتَ اهتماماً كبيراً بعلم الحديث في هذه المكتبة، لماذا؟

ج: وفي عام ١٣٧٢هـ حرصت على التخصص في علمٍ واحد، فوقع الاختيارُ على الحديث.

وتحتوي هذه المكتبة على علم الحديث كتخصص واحد فائدته أكبر من لو كانت المكتبة تحتوي على علوم عديدة مبعثرة هنا وهناك.

دراسة الحديث وفقه القرآن:

س: كيف وجدت أهمية التركيز على علم الحديث في الوقت الحاضر لإيصاله إلى أكبر شريحة ممكنة من الناس؟

ج: الأصل الأول القرآن والثاني السنّة، وكلما زاد اهتمام الفرد بدراسة الحديث زاد ارتباطُه بفقه القرآن الكريم، والله عزَّ وجلّ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: ٥٩]، وطاعة الله معناها طاعة القرآن، وكذلك طاعة الرسول وولي الأمر.

وفي الزمن الماضي لم يكن هناك متخصصون كثيرون في علم واحد، ما عدا يحيى بن معين الذي تخصص في علم الحديث، وأبو حنيفة الذي تخصص في.....[1].

س: وكيف تصف لنا خبرتك في علم الحديث، التي تزيدُ على ٣٠ سنة؟

ج: وفي عام ١٣٦٧هـ بدأتُ أدرسُ في علم الحديث وأبحث عن مراجِعه، وهكذا بدأتُ أبحث عن كتب الحديث لأجمعها وأدرسها.

محدّث هذا العصر:

س: نودّ تسليط الضوء على خلاصة تجربتك التي خرجتَ بها من خلال اهتمامك بعلم الحديث؟

ج: عندما توجهتُ لدراسة علم الحديث وجدتُ أن ذلك التوجه تترتب عليه فوائد عديدة، من أهمِّها: أن المتخصص في علم الحديث يستطيع أن يوجد لنفسه ملكة في هذا العلم قلَّ أن يتحصّل عليها لو كان متخصصاً في علم آخر ينافس هذا التخصص مثل الفقه أو النحو أو التاريخ.

---

(١) بياض في الأصل، ويعني الفقه.

ورغم تخصصي الفريد في علم الحديث لا أستطيعُ أن أصفَ نفسي بأنني محدِّث، لأن المحدِّث نادر الوجود، لا سيّما في عصرنا هذا، خاصة وأن كثرة الكتب لم تترك أيّ مجال لأي فرد يتطلع أن يصبح محدِّثاً بالمعنى الصحيح، فالمحدِّث في العصر الحديث هو الذي يعرف مراجع الأحاديث التي يريدُها للاستعانة في أيِّ كتاب يؤلفه أو نحو ذلك.

وقد تغيّر مفهوم المحدِّث في الوقت الحاضر مقارنةً بنظيره في زمن الحافظ ابن حجر والذهبي والبيهقي والخطيب، فالمحدِّث الذي كان موجوداً في القرن الرابع أو الخامس أو السادس أو السابع أو الثامن أو التاسع لا يوجد إطلاقاً في القرن الحالي.

س: •وكيف ترى سبل إعادة إحياء دور المحدِّث من جديد في الوقت الحاضر؟

ج: سيتمّ إحياء هذا الدور من جديد بمشيئة الله ما دامت الجامعات مستمرة في أداء واجباتها على الوجه الأكمل، خاصة وأن هناك تخصصات لعلم الحديث في الجامعات، ستُعيدُ للحديث نشاطه وانتشاره، وسيوجد من بين أولئك الذين تخصصوا في هذا العلم محدِّثون بالمعنى الصحيح، وآملُ أن يتحقق ذلك.

مكتبة متجددة:

س: إذن تزخر مكتبتك بكافة الأحاديث والبحوث التي أجريت حول هذا العلم؟

ج: المكتبة تتجدد محتوياتها يومياً، ويصعُب حصرها، وفيها كتب خاصّة برجال ورواة، وكتب عن علم المصطلح لم تكن أقلّ أهمية من معرفة الرواة.

وقد حصرت محتويات ما عندي من علم الحديث بقسميه فوجدت أن المكتبة تحوي نحو ٥٠ نوعاً من ٦٥ نوعاً من علم الحديث.

وأستطيعُ أن أقول الآن: إنه لا ينقصني من علم الحديث تقريباً إلاَّ ١٥ نوعاً من علم الحديث.

وفي عام ١٣٧٥هـ بدأتُ أبحث عن جميع هذه الأنواع في المكتبات الموجودة في داخل المملكة وخارجها، ولم أجد إلاَّ أنواعاً قليلة جدّاً، وبدأتُ أكتبُ في هذه الأنواع الخمس عشرة التي لم أحظ بوجودها، ورغم ذلك لا زلتُ أبحثُ عنها.

س: ما هو أقدمُ مخطوط في هذه المكتبة؟

ج: «تعريف الأعلام»[1] هو أقدمُ نسخة، ترجع إلى القرن الخامس الهجري.

س: إلى أيّ مدى يمكن القولُ أن محتويات هذه المكتبة يمكن أن توجد في أيّ مكتبة في العالم الإسلامي؟

ج: عندما قمتُ برحلات إلى بلاد مختلفة للبحث عن هذه الكتب، لم أجد أي مكتبة شبيهة بمكتبتي، سواء كان في الشام أو مصر أو المغرب وتونس والجزائر وليبيا، وقد كلّفتني هذه المكتبة كثيراً.

كتابٌ بـ ٧,٠٠٠ ريال:

س: كم كلفتك هذه المكتبة؟

ج: كلفتني كثيراً، ولكني لا أستطيعُ حصر التكاليف، لأنني بدأت في تأسيسِها منذ زمن بعيد وحتى الآن، فإذا كان كتاب «تاريخ ابن عساكر» قد كلفني وحده نحو سبعة آلاف ريال، فإن محتويات هذه المكتبة كلفت كثيراً، وكتاب «الكامل» لابن عدي جلبته من تركيا عام ١٣٨٥هـ بألف ريال في وقت كان راتبي ألف ريال فقط، وهو كتاب نادر الوجود، وهو أول نسخة دخلت إلى الدولة، ولكنه انتشر بتوفيق من الله ثم بوجود هذه النسخة.

---

(١) كتابٌ للحافظ السهيلي الأندلسي المشهور.

س: كيف ترى إمكانية الاستفادة من هذا الجهد العلمي الرائع؟

ج: أغلبية الرسائل الموجودة في المكتبة تمّت طباعتها، والآن تباع في المكتبات، يضاف إلى ذلك أن هذه المخطوطات قد تمّت طباعتها وتمّ تحقيقها.

س: هل حققت الرسائل العلمية فوائد ملموسة؟

ج: نعم حققت هذه الرسائل فوائد عظيمة بتضافر جهود الدولة التي افتتحت العديد من الجامعات ذات التخصصات المختلفة.

في الرياض أكثر:

س: ماذا عن إنتاجك الذي قمت بكتابته وتأليفه؟

ج: عندما كنت في الرياض كان نشاطي الإنتاجي كبيراً جداً، فقد كنت أكتب عدة بحوث في الحديث يتمّ نشرها في الجرائد والمجلات، وهناك بحوث أخرى أقوم بتجهيزها، وذلك بمناسبة إحالتي للتقاعد، وفي أول شهر محرم الماضي أرسلت ستة بحوث لطباعتها، وهي ذات موضوعات مختلفة في علم الحديث، مع ملاحظة أنني لا أكتب إلا في علم الحديث والعقيدة فقط.

خلافات لا بدّ منها:

س: كيف تنظر للخلافات الموجودة حالياً بين بعض الأئمة والعلماء حول بعض الأحاديث والأحكام؟ وكيف ترى السبيل إلى تضييق هوة هذه الخلافات؟

ج: هذه الخلافات لا بدّ منها، ولقد دلّنا العلماء على الطريقة التي إذا سلكناها استطعنا أن نتخلّص من هذه الخلافات.

والمشكلة الأساسية التي ساعدت على توسيع هوة الخلاف وأوجدت سوء التفاهم تتمثل في اهتمام طلبة العلم بالمادة فقط دون غيرها، أما

الطلاب الذين يهمهم العلم والإصلاح فإنهم يستطيعون التخلُّص من كل خلاف أمامهم.

س: كم تحفظ من الأحاديث؟

ج: وفرة الكتب حالت بيني وبين الحفظ، ولانشغالي لم ألجأ إلى حصر ما حفظت من الأحاديث، يضاف إلى ذلك أنني أستطيع الوصول إلى أيِّ حديثٍ مرَّ عليَّ، ومعرفة ما قيل فيه، خاصّةً وأن هناك أحاديث في حاجة ماسّة إلى بحث.

س: حين يشكل عليك الأمر في حديثٍ ما، إلى من ترجع لتستعين به؟

ج: أرجع إلى الإخوة طلبة العلم الذين تزايد عددهم بشكل كبير، فإذا وجدت حلاً عندَهم لأيِّ سؤال كان هذا هو المطلوب، وإلاَّ ساعدوني للبحث لأصل للحقيقة بالتعاونُ معهم.

ابن باز محدّثاً:

س: من هو العالم الذي تستعين به في هذه المسألة دائماً؟

ج: كلما أحتاج إلى حلّ أمر ما أتّصل فوراً بالأخ إسماعيل الأنصاري في الرياض، لأنه صاحب خبرة كبيرة، رغم أنه غير متخصص في علم الحديث.

كما أتصل أيضاً بالشيخ عبدالعزيز بن باز الذي لا يوجد محدّث مثله، رغم أعماله الكثيرة التي حالت بينَه وبين التفرُّغ للتخصص في علم الحديث.

يضاف إلى ذلك أنني أراجع الشيخ الألباني في بعض الأمور؛ لأنه ذو اطلاع واسع في علم الحديث.

س: يوصف الشيخ ناصر الدين الألباني بأنه الأكثر تخصصاً في علم الحديث حالياً، ما رأيكم؟

ج: هذا كلامٌ غير صحيح، رغم أنه ذو اطلاع واسع.

لا تتبعوا السقطات:

س: ما هي نصيحتُك التي تقدّمُها للباحثين وطلبة علم الحديث؟

ج: أنصحُ طلبة العلم بصفة عامة وطلبة علم الحديث بصفة خاصة أن يخلصوا، وأن لا يتتبعوا السقطات التي تحصل من بعض أهل العلم، وأنصحهم كذلك بعدم خوض مجال الاعتراضات، وأن يتّصلوا بأهل الشأن، لأن العلم ليس من بطون الكتب وإنما من أصحاب الشأن، وأن يتفقّهوا بالطريقة التي تفقّه بها أئمتُنا، ثم أنصحُهم بتقوى الله في السر والعلانية.

جهود علمية:

س: بماذا تنشغل في الوقت الحاضر؟

ج: أعمل الآن مشرفاً على الباحثين رغم أنني أحلت للتقاعُد، حيث ما زال لدي ستة باحثين، أربعةٌ منهم في الماجستير واثنان في الدكتوراه.

س: ما هي توجهاتُك العملية بعد الانتهاء من هذه المهمة؟

ج: سأحاول أن أقومَ بتلخيص وتصحيح ونسخ البحوث وذلك لنشرها، وفي بعض المرّات حين يقف الضغط أقومُ بإعادة كتابة بعض هذه البحوث التي ستنتهي طباعتُها قريباً.

مواعيد المكتبة:

س: ماذا عن مواعيد زيارة المكتبة؟

ج: تفتح هذه المكتبة أبوابَها للزوّار يومياً صباحاً ومساء خلال أيام الإجازات من الساعة الثامنة صباحاً حتى الظهر، وبعد صلاة العصر حتى العشاء.

أما خلالَ وقت العمل فإن المكتبة تفتح أبوابَها خلال الفترة من بعد صلاة العصر حتى صلاة العشاء.

س: هل يستطيع القارىء الاستعارة من هذه المكتبة؟

ج: نعم يستطيع القارىء الاستعارة منها يومياً، حيث يحدُث ذلك يومياً وبشكل مكثّف.

بين المدّ والجزر:

س: الهجمة على الإسلام اشتدت ضراوتُها في الآونة الأخيرة، واتخذت أشكالاً، بماذا تبررون اشتداد الهجمة في هذه الآونة بالذات؟ وكيف يمكن مواجهتها؟

ج: الهجمة على الإسلام ليست وليدة اليوم، فهي بين مدّ وجزر، فكلما أحسّ أعداءُ الإسلام فيه قوةً أو بوادر صحوة في أبنائه ومظاهر رجعة صادقة في صفوف أهلِه أفزعهم ذلك وأرعبَهم، فهم يحرصون على أن يظل المسلمون نائمين، ولاهين وعابثين.

وهم يدركون خطورة المسلمين الصادقين على فكرهم وحضارتهم على تقديس الذاتية والمصلحة واحتكار أفكار الشعوب ومبادئها وأرزاقها.

وهم يدركون جيداً أكثر من إدراك المسلمين أن سرّ قوة المسلمين تكمنُ في إسلامهم وفي عقيدتهم، فلو التزم المسلمون بالإسلام لأصبحوا قوةً عظمى في العالم مرهوبة الجانب، قوية السلطان، مالكة لزمام الحضارة المادية والروحية.

أسلوب رخيص:

س: لعلّ من أحقر أساليب الهجوم على الإسلام استئجار بعض الأقلام التي تنتسب إليه لطعنه في الظهر، والأمثلة كثيرة على ذلك، هل ترون الردّ عليها أم تجاهلها؟

ج: إن مثل هذا الأسلوب الرخيص ينبغي تجاهلُه في تقديري وعدم الاهتمام به، أو إعطاؤه أكبر من حجمه، وإذا وُجد شيءٌ من هذا النوع فأرى أن يدرس دراسة جيّدة، وأن يواجه بالقدر المعقول، لأن الهجومَ الصارخ على قلم ما أو كاتب ما قد يعطيه أكبر من حجمه ويساعد على

انتشار مادتّه أو كسب صاحبه شهرة لا يستحقُّها، مما يجعل بعض قليلي الثقافة والمعرفة يتأثرون به، فأنا لا أدعو إلى إهمال مثل هذه الظواهر ولا مهاجمتها بشكل غير مدروس أو مأمون العواقب.

لا طائل من الجدل:

س: آراء العلماء وطلبة العلم اختلفت حول حكم الصور؟ فما رأيكم؟ وهل ترون أنه من الحكمة إثارة مثل هذه القضايا في الوقت الراهن الذي تمرّ فيه الدعوة بتحديات كبيرة؟

ج: الأمر إذا كان محلّ خلاف بين أهل العلم وفيه مجال للاجتهاد مثل الصور الفوتوغرافية، خاصة إذا كان يترتّب على وجودها مصلحة ظاهرة أو دفع مفسدة، وليست من قبيل العبث، فإنني أرى أنه لا طائل من إطالة الجدل حولها.

ملامح التربية:

س: التربية الإسلامية محور الارتكاز لإعداد جيل صالح وقادر على تحمّل أمانة الدعوة إلى الله، ما أهم ملامح هذه التربية؟ وهل ترون المناهج الدراسية الحالية كفيلة بتحقيق هذا الطموح؟

ج: أرى أن أهم ملامح التربية في شخصية المسلم ترتكز على ما يلي:

أولاً: الاهتمام بالمحضن الصالح، أعني: الزوجة الصالحة والزوج الصالح فهي ركيزة أساسية في بناء فطرة الشاب وعقله وقلبه وبذر الخير في نفسه وجعله يثمر ثمرة يانعة.

ثانياً: العناية به منذ نعومة أظافره وغرس الفضائل في نفسِه، وتجنيبه أسباب الانحراف.

ثالثاً: العناية بتربيته إيمانياً، وخلقيّاً، جسمياً، وعقلياً، ونفسياً، واجتماعياً.

رابعاً: إيجاد القدوة الصالحة له ليكتسب منها ويتأثر بها، ويمارس أمامها أساليب الدعوة والعمل الإسلامي ليستفيد من توجيهاتها.

خامساً: تسلّحه بالعلم النافع ووعيه وإدراكه لأساليب العمل الناجح.

سادساً: تحليه بالصبر والحلم وسعة صدر وقوة التحمّل، والقدرة على الاستيعاب.

سابعاً: عدم استعجال النتائج والأخذ بالأسباب.

وأرى أن المناهج في المملكة العربية السعودية وسياسة التعليم فيها من أفضل المناهج والسياسات في العالم الإسلامي لغرس الفضائل وبناء إصلاح النفوس، إذا توفرت لها القدوة الصالحة والتدريب العملي والحماية من المؤثرات.

وسياسة التعليم ومناهجه من المفاخر التي تفتخر بها المملكة العربية السعودية زادها الله قوةً وثباتاً واستقامة.

س: بماذا تنصح المسلم الذي يسافر إلى البلاد غير المسلمة؟

ج: أنصحه أن يكون معتّزاً بدينه، فخوراً بإسلامه، مفاخراً بهويته، حتى لا ينهزم أو ينبهر بمظاهر حضارة الغرب وتقدّمه المادي.

وأن يكون على وعي بالأفكار التي تعجّ بها البلاد غير الإسلامية، حتى لا يتأثّر بها ويخدعه بريقُها.

وأن يكون كذلك على وعي جيد وفهم واضح بأصول إيمانه وعقيدته أهم مبادىء الإسلام وثوابته، حتى لا يدخله الشك، ويهزّه أدنى موقع.

وأن يتسلّح بسلاح الإيمان والتقوى والبعد عن مواطن الشبهات والشهوات والمغريات.

وأن يكون جادّاً في دراسته أو عملِه ومنهمكاً في أداء مهمته التي سافر من أجلها.

وأخيراً أن يدرك حقيقة الحضارة في الغرب أو الشرق في جانبها

الفكري والأدبي قامت على غير هدى من الله، وأن سعادة البشرية وحياتها الحقيقية لا توجد في غير حضارة الإسلام.

س: وما النصيحة التي توجهونها للمرأة المسلمة عبر «عكاظ»؟

ج: المرأة المسلمة في المجتمع السعودي تحظى بمكانة تحسدها عليها جميع نساء العالم، بل إن الواعيات في المجتمعات الأمريكية والأوربية يتمنين أن يعشن حياة المرأة في المملكة العربية السعودية، فالمرأة في المملكة أمّ حانية، وأخت وفية، وبنت جادّة مثابرة.

وإذا استثنينا بعض الظواهر الشاذة في تصرفات بعض أولياء أمور النساء - والتي سوف تنتهي يقيناً بزيادة الوعي وارتفاع مستوى التعليم - علمنا يقيناً ما تتمتع به المرأة في الإسلام من حقوق مميزة تحفظ لها كرامتها وتعطي لها اعتبارها.

وقد توجد بعض الظواهر الشاذة أو التصرفات غير المسؤولة، وهذه ليست حجة على الإسلام، بل مثلها وأكثر منها يحصل في جميع المجتمعات وتحت كل النظم والقوانين.

فنصيحتي للمرأة في هذا المجتمع بالذات أن تحافظ على حقوقها التي وهبها إيّاها الإسلام، وأن تعمل على تجسيدها في الواقع وتطبيعها في المجتمع، وأن تكون غايتها رضى الله، والحرص على طاعته، وأن لا تستجيب لدعاة التغريب والانحلال الذين يبدأون دائماً من حيث انتهى الآخرون، فكثير من نساء المسلمين في العالم الإسلامي أدركن خطأهنّ في استجابتهن لأمثال هؤلاء الدعاة وتصديقهم في دعواهم الكاذبة، وبدأن خط الرجعة من جديد لحياتهن وحشمتهن وصيانتهن وصفائهن، وطاعة خالقهن عزَّ وجلّ، فوجدن الراحة والطمأنينة.

فالمرأة المسلمة اليوم مدعوة إلى تحمل مسؤوليتها كالرجل بعد أن يسر الله لها الزاد العلمي والإيمان الجيد في الحفاظ على شخصيتها وإيمانها وهويتها، وإحباط جميع دسائس أعداء الإسلام الذين ينتظرون على أحرّ من الجمر أن تمد لهم المرأة يدها في هذا المجتمع ليعبثوا بخلقها وعفتها

وعقلها، كما فعلوا بالمسلمات الأخريات اللاتي استجبن لهم في بعض الدول الإسلامية.

صمام الأمان:

فالمرأة المسلمة صمام الأمن في أي مجتمع، فهي أساس الأسرة، ومحض [لعله محضن] البذرة، فإذا انفلتت ـ كما يريد لها أعداء الإسلام وأدعياء تحرير المرأة ـ ومتى كانت مستعبدة حتى تحرر ـ انهارت الحياة وفقد الحنان وجفّت الحياة وذبلت وتحولت إلى حياة صخرية قاسية تولد الآلام وتزرع الأنانية والبغضاء وتنتج الكراهية والحقد.

وهذا ما يسعى إليه الأدعياء المغفّلون من حيث يدرون أو لا يدرون، وبعضهم يدرك ذلك ويسعى إليه بخبث وسوء نيّة، ولا يهمّه إلاّ ذاتُه وتحقيق أنانيته، ولو تحولت الحياة إلى جحيم وعمّها الدمار كما في لبنان أو أفغانستان أو فيتنام أو هيروشيما.

س: في نهاية الحوار نودّ أن توجهوا كلمةً للشباب المسلم الآن، فبماذا تنصحونه؟

ج: نصيحتي لكل شاب مسلم، أن يكون على صلة قوية بربه، وثقة صادقة بإيمانه، وعلم يمكنه من فهم دينه والعمل له، وصحبة صالحة تعينُه وتثبته، ووعي بالأخطار التي تحدق به وتساعد على انحرافه، وإدراك لخطط أعدائه حتى لا يستغفل عن دينه ويلبس عليه أمره، وأن يجعل الله والدارَ الآخرة دائماً نصب عينه وهي غايته.

محمد متولي الشعراوي
(العالم الربّاني الشهير)

الترجمة:

هو أحد أعلام أمة محمد ﷺ، بعد حصوله على العالمية والإجازة في التدريس درَّس في السعودية والجزائر، ثم كان وزيراً للأوقاف، لكنه تركها لخلاف مع السادات ولم يعد إلى مصر إلا بعد مقتله، عُرض عليه مشيخة الأزهر إلاَّ أنه اشترط أن يكون ذلك بالانتخاب لا بالتعيين، فتعذّر ذلك، وتفرّغ للتفسير، حياته السياسية مضطربة،

والعمل بالخواتيم، وكان وجهاً إسلامياً دائم الحضور، جذب الناس إليه ببساطته وحكمته واستشفافه، وأوصل أسرار العلم وروح الإسلام إلى العامة خاصة، وهم جمهور الإسلام وعاطفته، وكانت له قيمة ووجاهة عند العامة وأهل السلطان، حظي تفسيره للقرآن الكريم في الرائي بإقبال الناس من جميع فئاتهم وطبقاتهم.. وكانت وفاته صدمة لكل مسلم، حيث أسلم الروح إلى بارئها في (٢٣) صفر من سنة ١٤١٩هـ، عليه رحمة الله.

من أبرز مؤلفاته تفسيره للقرآن، الذي طبع من دروسه، والإسراء والمعراج، شبهات وأباطيل، معجزات الرسول ﷺ... إلخ.

هذا اللقاء:

تحدَّث عن الدين والسياسة، وثورة يوليو وأحابيلها، وعن التضييق البالغ على الدعاة إلى الله، وكتم أنفاس العلماء، وعن العولمة، ومنهج الإصلاح، وقانون تطوير الأزهر، الذي ذكر أنه سيقضي على رسالته تماماً.. ونرى صدق توقعاته شيئاً فشيئاً!

أجرى اللقاء معه الأستاذ محمود خليل قبل رحيله بأيام، ونشر في مجلة: «المجتمع»، ع١٢١٣ (١٤١٩/٤/٢٥هـ)، ص٣٤ ـ ٣٧.

وذكر في مقدمته للحوار أن الشيخ توفي عن عمر يناهز الـ(٨٧) عاماً، وأنه غني عن التعريف، قضى عمره المبارك داعياً إلى الله تعالى ومبشراً ونذيراً، وآتاه الله ما لم يؤت أحداً في عصره، آتاه حب الناس، وسلامة القول والفكر، وفتح له في كتابه فتحاً مبيناً، فكانت خواطره حول القرآن الكريم مدرسة شعبية للملايين من أبناء العالم الإسلامي.

❋ ❋ ❋

نصّ الحوار

س: فضيلة الإمام الشعراوي.. لا يدري المرء بأي القضايا يبدأ.. ولا أيها يختار.. ولكن هناك تساؤلاً محيراً نبدأ به، وهو أنكم كثير ما تكررون: أنا لا أوافق على عمل علماء الدين بالسياسة، رغم أنك سياسي منذ أول يوم في حياتك؟

ج: قديماً كنا نحاول أن نسلك أي سبيل لتحرير البلد من المحتل الأجنبي، ثم جاء الوقت ليحكمها أبناؤها، ثم تغيرت الأحوال، وأصبحت السياسة الآن شيئاً بعيداً تماماً عن الدين، ولكن عندما يكون الدين هو السياسة، وتكون السياسة هي الدين، بمعنى أن تساس الأمور سياسة شرعية، يكون العمل بالسياسة عندئذٍ واجباً شرعياً.

س: هل معنى هذا أن نظل «نتفرج» على ما يحدث وكفى؟

ج: لا.. أبداً.. بل نصنع ما صنعه النبيّ ﷺ وأصحابه في السعي الدؤوب لتأسيس مجتمع الإيمان، ولكن علينا أن نبدأ البداية الصحيحة، نحن لا نشك أبداً في جهود الإصلاح المبذولة، ولكن إذا أطل الشر برأسه فلا بد إن لم يكن في مكنتي مواجهته أن أسلك له مسلكاً آخر، والأمور أولاً وأخيراً بيد الله تعالى، والله حيّ دائم، غالب لا يُغلَب، ولكن يبتلي أهل الحق ليختبرهم: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾.

س: من الملاحظ في معظم أحاديثك وجلساتك الخاصة أنك تهاجم «ثورة يوليو» بضراوة، وليس لها عندك أي رصيد من الحب أو التقدير، رغم أن البعض يرى أنها تنطوي على مبادىء طيبة من العدالة الاجتماعية والرغبة في الإصلاح؟

ج: ثورة يوليو هذه قامت وأنا في المملكة العربية السعودية، حيث

كنت أعمل أستاذاً بكلية الشريعة بمكة المكرمة، وكنت هناك قبل الثورة بعامين أي منذ عام ١٩٥٠م، وعندما قامت استبشر كل الناس خيراً، وقد رأيت جمال عبدالناصر لأول مرة عام ١٩٥٣م عندما حضر إلى السعودية للعزاء في الملك عبدالعزيز بن سعود رحمة الله عليه، وذهبنا لاستقبال عبدالناصر بجدة، وتحدثت أمامه باعتباري «لسان حال المصريين» ونشرت صورنا وكلماتنا معه في الجرائد.

ولكن عبدالناصر قد أضفى على الضباط من حوله من عيوبه الكثير، فقد كان شخصاً شكاكاً خوّاناً عدوانياً، رغم أنه كان لديه قدر كبير من الوطنية، ولكن عيوبه الأخلاقية والنفسية كانت هي المفتاح الأكبر لشخصيته، وولوعه بحب الزعامة جعله يتخلص من كل الأقوياء والمخلصين من حوله، فتخلص من العهد السابق صالحه وطالحه، وتخلص من الوفد رغم ما كان يضمه من الكفايات الوطنية الطيبة.. وتخلص من الإخوان المسلمين، رغم أنهم هم أصحاب اليد الطولى عليه، وحاول التخلص من رفاق السلاح بالنسبة له، وأنا لا أبغض شخصاً على ظهر الأرض لشخصه، إنما هو الحب في الله، أو البغض في الله.

ولي مع رجال الثورة قصة طريفة.. كلها «رذالة».. حيث عدت من السعودية في أحد الأعوام لأجدني وعشرة معي من كبار العلماء مطلوبين للتحقيق أمام وكيل نيابة اسمه «سامي الإتربي» بتهمة أننا ضد الثورة وضد العهد الجديد، لأننا قرأنا «الفاتحة» عند الكعبة ضد الثورة، حتى إنهم أحضروا معنا في التحقيق الشيخ عبدالرحمٰن تاج شيخ الأزهر بحجة أنه هو الذي يبتعثنا للخارج، وأنه لا يبتعث إلاَّ العلماء الذين يعملون ضد الثورة، واستمرت التحقيقات عشرة أيام كاملة، حتى إنه لم يشفع لنا إلاَّ «الصور» التي كانت قد نشرت لنا مع عبدالناصر عند حضوره للسعودية في أول عهد الثورة، وكنا حينئذ مخدوعين به وبها كغيرنا من الناس.

ولكن مهاجمتي للثورة بكل قوة ليست إلاَّ لأنها عملت كثيراً ضد الإسلام والمسلمين، وبخاصة الدعوة ورجال الأزهر.. بل والأزهر من بابه.

أما عن مبادئها في العدالة الاجتماعية.. فقد كانت بالفعل مبادىء طيبة، ولكنها أفقرت الأغنياء ولم تغن الفقراء، فاجتهدت الثورة في إقامة عدالة اجتماعية في توزيع الفقر.

لقد كنت مديراً لمكتب شيخ الأزهر في أوج سنوات الثورة عام ١٩٦٣م، وأشهد أمام الله أنها كانت أياماً سيئة في كل ما يتعلق بالإسلام والمسلمين، وبخاصة تلك المؤامرة التي أحاطت بالأزهر الشريف كعبة الدعوة إلى الله تعالى.

س: ويلاحظ أيضاً على فضيلتكم التزام جانب الهدوء في هذه الأيام التي تشهد تغيراً خطيراً في مسار المنطقة العربية والإسلامية.. ربما أكثر عشرات المرات مما شهدته إبان ثورة يوليو؟

ج: سامحك الله يا بني! سامحك الله! من الذي يكيل لليهود وأعداء الله بالمكيال الأوفى؟ من الذي يجعل المعطلين لشرع الله «فرجة» للناس؟ من الذي يعطي للعلمانيين والشيوعيين «فوق رأسهم» صباح مساء؟ من الذي رفض كل المناصب التي عُرضت عليه في هذا العهد؟ ولك.. ولكل أهل الأرض أن يفهموا أن اختياري لمكاني في الدعوة إلى الله، معناه اختيار جانب العلماء لا جانب الأمراء.. اختيار جانب النصح والإصلاح.. لا جانب التأييد والمشاركة.

س: إذن ما رأي فضيلتكم في سياسة «تجفيف المنابع» المتبعة حالياً على كافة الأصعدة والمستويات؟ وما رأيكم في سياسة «العولمة» و«الشرق أوسطية» وما رأيكم..؟

ج: هؤلاء الذين يعملون على «تجفيف المنابع» نسألهم: أي المنابع تريدون أن تجففوا؟ وأنتم ونحن وكل عاقل يعلم أن المنبع هو الفطرة.. والفطرة هي الإسلام: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾.. إذن هل يستطيع أحد أن يجفف فطرة الله؟ كلا.. إذن كل ما يعمل عليه هؤلاء أنهم يحاولون إضلال الناس عن منهج الله، ونحن نحذرهم من هذا المسلك الذي سلكه قومٌ من قبلهم فحاق بهم ما صنعوا، ألم يعتبروا من ١٩٥٦م، و١٩٦٧م؟

﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾﴾ [النحل: ٤٥ ـ ٤٧].

تجفيف المنابع هذا.. غباء مستحكم، وأخيلة مريضة تلعب بها في رؤوس أصحابها أصابع الشياطين.

وصدقني يا بني.. أن هذا سيولّد رد فعل أقوى وأوسع في الرجوع إلى الله.

ماذا أثمرت ١٩٦٧م؟ وماذا أثمرت ١٩٥٦م، وماذا أثمر عدوان الأعداء على الله ورسوله في روسيا، وأوروبا الشرقية.. وغيرها؟ لم يثمر إلاّ عودة إلى الله تعالى، ولو أن الشعوب تتحرك على الورق لما تعب أحد، ولما سقطت الشيوعية، ولما ذهب الطغاة والجبابرة.

وأنا.. والله العظيم متفائل من كل ما يحدث، إننا الآن نمتحن لكي نفيق، وسوف يجبرنا الله عزَّ وجلّ على الإفاقة، لأننا حراس دينه، وحملة أمانته، وإذا أراد الله لنا هواناً اليوم فالعز لنا غداً إن شاء الله.

أما «العولمة» فنحن أهلها، ديننا هو العولمة والعالمية والعالمين، لكن إذا كان المتجبر المسيطر اليوم يريد أن يفرض نظامه، ويدير البشرية في فلكه فنحن نقول: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾﴾.

لا مانع أبداً أن نتعامل مع كل البشر وكل القوى، ولكن الذكي الأمين هو الذي يضع قضيته ملء قلبه، ويعقد على ذلك عزمه، فهو يدور مع إسلامه حيث دار، ولكن تمييع المسائل بهذا الشكل لا ينطلي إلاّ على غبي أو خائن، لقد تعامل النبيّ ﷺ مع ألدّ أعدائه وأقرب أقربائه، وتعامل مع كل ما يمكنه تسميته «قوة» في أيامه، من الفرس، والروم، والحبشة، والقبط، وغيرهم، ولكن كان الحق رائده، وكان منهج الله تعالى الذي يسيره، ومهما كان الإنسان مستضعفاً، فإنه يستطيع أن يخدم قضيته حتى ولو كان سجيناً مثل «يوسف».

وإذا كانت العولمة هي «أمريكا الكبرى» فإن «الشرق أوسطية» هي

«إسرائيل الكبرى» وفي الشكوى والنواح متسع، علينا أن نعمل ونعمل ونعمل، فإن اليهود يعملون.

ولقد قلت عام ١٩٣٤م قصيدة وأنا طالب بمعهد الزقازيق يمكنني أن أستشهد الآن ببعض أبياتها لما تحمله من هذه المعاني التي نتغياها، قلت:

ما منطقي لك والحقيقة تخجل ... قد جدت الدنيا وشعبُكَ يهزِل
في كل عام نشتكي أوصابنا ... ونؤمِّل الآتي فيقسو المقبل
مصر الأسيفة بُح منها صوتها ... فضراعةٌ محمومة وتوسل
وا رحمتا للمستجير بجائرٍ ... والزافر الشكوى لمن لا يعدل
أو كلما وهب الزمانُ زعامةً ... تُعلي وتكمل ما بناه الأول
نهض العقوق بكل نذلٍ غادرٍ ... دنَس وفي يده الأثيمة معول

لا بد من أجيال تأبى الضيم، وترفض الخنوع والانحناء، واليهود يحكم عليهم القرآن والتاريخ أنهم جبناء أذلاء:

﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الحشر: ١٤].

نحن في هذه الفترة أحوج خلق الله إلى منهج الله، لأنه «العصمة» و«الهداية» وهو أداة «التجميع» الوحيدة في هذه الفترة العصبية من حياتنا، أما ما عدا ذلك فحدث ولا حرج!

س: وهل تنصحون بهذه الآراء الطيبة لأولي الأمر؟ وأنت صاحب الكلمة المسموعة عند الجميع، كيف تنظر إلى التضييق البالغ على الدعاة إلى الله، وبخاصة الشباب، ولا سيما الأمثلة أمامنا لا تبشر بخير أبداً من هذا المسلك، كالجزائر وتونس على سبيل المثال؟

ج: على الشباب أن يسمع أولاً مهما كانت الضغوط عليه، لقد اعتُقلنا من قبل، واعتقلوا آباءنا وإخوتنا حتى نسلم أنفسنا، أي، والله لقد اعتقلوا

والدي وأخي فؤاد عام ١٩٣٤م في ثورة الأزهر، وقمت بتسليم نفسي عندما وجدت هذا الغدر الأثيم، وبالقطع هناك المئات من أمثالي قد تعرضوا لهذا المصير، وهذه ضريبة لا يجب أن نجزع منها، أو نتأبى عليها، أو نتجاهلها.

وهل قال لك حكامك: إنك «تُحكم» بالإسلام، حتى تطلب منهم العدالة المفقودة؟

هم يقولون لك بكل وضوح: نحن نحكمك حكماً «علمانياً».. إذن المطلوب هو النفَس الهادىء العميق الواسع، وأنا قلت ذلك للشباب يوم «بيان العلماء» في الأزهر الشريف أنا والشيخ محمد الغزالي ـ رحمة الله عليه ـ وغيرنا من العلماء، وكان معنا الرجل العاقل المخلص الشيخ جاد الحق ـ رضوان الله عليه ـ قلت لهم: «لا تطفئوا الشمعة» اتركوها وخذوا منها شموعاً متعددة، ليمكنكم أن تضيئوا بها أماكن عدة، وفي الوقت نفسه قلت مراراً لكل مسؤول يمكنني الله منه: اتق الله، وكان آخرها يوم نجاة الرئيس مبارك من حادث اغتياله في «أديس أبابا» في يونيو ١٩٩٥، قلت له: «لعل هذا الحدث يعتبر زلزالاً لك لتتحرك من بشريتك المطلقة! إلى عبوديتك المطلقة لله، وأن تكون كما مكنك الله تعالى من حكم الدنيا بقانون البشر، أن يمكنك من حكم الدنيا بقانون رب البشر».

س: ولماذا لم يستمر العلماء والمفكرون الإسلاميون من حولك في جهود المصالحة التي بدأت منذ أعوام، وكانت الصدور مفتوحة لها؟

ج: يُسأل عن ذلك من عوَّق هذه الجهود، هداه الله.

س: ومن الذي عوّقها؟

ج: الجميع يعلمُه.

س: مع هذا القهر والبطش اليهودي، ومع هذا الصلف الذي تحياه إسرائيل وحكامها الآن.. ما المخرج؟

ج: المخرج لا يكون بالدعوة إلى حكومات علمانية، وبخاصة في

دول الجوار والمواجهة، ابنوا دولكم وشعوبكم أولاً، ثم ادعوا اليهود للمنازلة، حرام أن تقدموا شعوبكم على طبق من ذهب لليهود، تفريغ الشعوب من قضية الإيمان الذي يتم الآن، أمر لا يستطيعه اليهود أنفسهم، لا يمكن أن يكون لليهود هذا الاستعلاء إلاَّ بالاستخذاء في الجانب الآخر، والله تعالى لم يقل: واشتموا.. ولا قال: واصرخوا.. ولكن قال: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم﴾.

س: هذا الكلام لمن؟

ج: للجميع: حكاماً ومحكومين.. ملوكاً وخفراء.. شيباً وشباناً.. أفراداً وجماعات.. ليس هذا وقت المشاحنات والمنازعات أبداً: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾.

فالإسلام عقيدة وشريعة، قلب وقالب، إيمان وسلوك، وهذا لكل الناس، ولكل المجتمعات، وفي كل الأوقات، وبدون ذلك.. فنحن كذبة على الله تعالى.

س: لكم رأيكم في الإخوان المسلمين من قديم الزمن.. ولكن بعد هذه التجارب العريضة الواسعة في رحلة الدعوة، وبعد ما خبرتهم عن قرب.. ما رأيكم الأخير فيهم؟

ج: لقد قلت ـ وهذا مسجل بالصوت والصورة ـ الإخوان المسلمون شجرة ما أعمق جذورها، وأورف ظلالها، رحم الله شهيداً استنبتها، وغفر الله لمن تعجل ثمرتها.

س: إذن.. ما المبرر وراء هذا التضييق عليهم؟

ج: إنه الخوف على الكراسي.. وعلى الإخوان أن يطمئنوا كل صاحب كرسي على كرسيه، وهذا الكلام للإخوان ولغيرهم.

س: ولكن كيف ترون منهج «الإصلاح» الذي يجب على الجميع أن يتبعه؟

ج: **أولاً**: بحسن القصد والتوجه إلى الله تعالى، **وثانياً**: بالمحاولة

المستميتة في إصلاح الأفراد والأسر، **وثالثاً**: بالنصح الهادىء للجميع «فالدين النصيحة»، **ورابعاً**: بذلُ الجهد والعرق في توحيد المسلمين..

ومن بواعث الحمد لله تعالى، أن الظروف الحالية ستعمل على تجميعهم رغباً ورهباً.

س: هل يعترف الشيخ محمد متولي الشعراوي بالقوانين الوضعية، حتى لو صادفت في أهدافها قوانين الشريعة الإسلامية؟

ج: لقد قلتُ وأقول: أنا لا أعترف بالقوانين الوضعية، ولا أحب أن أتحاكم إليها أبداً، خذ مثلاً القانون الفرنسي الذي نُحكم به، إن معظمه مأخوذ من مذهب الإمام مالك، ولكن حين أطبقه هل أطبقه على أنه من الإسلام؟ لا.

وأنت!! هل تطبقه على أنه قانون الإسلام، أم قانون الدولة؟ نعم.. هم أخذوها من الإسلام، وبضاعتنا ردت إلينا، ولكن يبقى الفارق العظيم أن الإسلام امتثال وطاعة ونية وعبودية ومنهج متكامل، يقودك من القلب قبل الجوارح، ومن النية قبل العمل: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

فالمنهج الإسلامي نظام حياة لا نصوص قوانين.

إنها المؤامرة!!

س: ما رأيكم في قانون تطوير الأزهر الجديد.. وبخاصة في ظلّ الحملة الواسعة التي تستهدف العملية التعليمية «وعلمنتها» منهجاً ومدرساً ودارسين؟

ج: هنا قصة يجب أن أذكرها بخصوص قانون تطوير الأزهر رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١م، حيث تولّى مشيخة الأزهر بعدها الشيخ حسن مأمون - رحمة الله عليه - واختارني لكي أعمل مديراً لمكتبه.

تخيّل أيامها لم يكن لنا أي عمل، حيث «سلبه» القانون كل

اختصاصاته، حين تمّ تعيين «كمال رفعت» وزيراً لشؤون الأزهر.

حتى إنني كنت أمزح مع شيخ الأزهر، وأقول: حتى متى سنظل يا مولانا بلا عمل هكذا؟!

وفي يوم من الأيام سألتني بنتي «صالحة» وقالت: أريد يا أبي أن أحضر إلى مكتبك لأرى عملك؟ فقلت لها: إن عملي يا بنتي هو تنظيم عملية تقبيل يد شيخ الأزهر.. حيث كان بعض الناس الطيبين يحضرون لتقبيل يد شيخ الأزهر.

إنها المؤامرة يا بني على الأزهر الشريف، والقانون الجديد لا يقل خطورة عن القانون السابق، فإذا كان القانون القديم قد قضى على «هيبة الأزهر» فإن القانون الجديد سوف يقضي تماماً على «رسالة الأزهر»؟

س: ولكن الصحف نشرت لكم تأييداً واضحاً لهذا القانون؟

ج: تأييدي له كان مشروطاً مع بعض أولي الأمر أن نعطي الكليات الشرعية خصوصية في القانون الجديد، حتى نعود بها إلى «الأزهر القديم»، الذي يخرج العلماء الموسوعيين في العلوم الشرعية.. لا هذا «الغم» الذي نراه.

وأنا لي رأي ـ طالما ألححت به على كل مسؤول ـ وهو: أن ننزل بسن التعليم الإلزامي عامين، يتفرغ فيهما التلميذ لحفظ القرآن الكريم فقط، مع القراءة والكتابة ومبادىء العلوم والحساب، وبعد ذلك نذهب به إلى أي تعليم نشاء.

أما أن أوزع القرآن الكريم على سنوات الدراسة حتى يصل الولد إلى الثانوية العامة، فلن يحفظ أحد القرآن أبداً.. والأيام بيننا.. والأزهر دون القرآن عبارة عن «خرابة».

س: ختاماً.. هل لا زال في خاطر الشيخ الشعراوي شيءٌ لم يقله في دعوته إلى الله، ويحب أن يقوله الآن؟

ج: لقد قلت كل ما يجب أن يقوله داعية، ولكني أتمنى أن يغفر الله

لي، وأن يختم لي بخير. . فالله هو المتفضل بالتكليف، وهو المتفضل بالمعونة، فهو المتفضل أولاً، وهو المتفضل آخراً. . والحمد لله رب العالمين.

عبدالعزيز بن باز
(العالم المفتي.. مجدِّد السلفية في عصره)

الترجمة:

عالم جهبذ، شامخ شموخ الإسلام في عليائه، ما رأيته ولا سمعته يُعلي حاكماً على دينه، ولا يُحابي أحداً على حساب الحق، بعكس من هم في مركزه من علماء السلطة في عصره، الذين يسارعون إلى تنفيذ رغبات الحكام بفتاويهم ولو كان فيها سخط الجبّار، تولى منصب الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد برتبة وزير، ثم كان المفتي، ورئيس هيئة كبار العلماء، مجتهد، غير متكلف ولا متنطع في الكلام، يحمل ذهناً وقاداً مع سكينة الزهاد وتواضع العلماء العاملين،

ولا يتردَّد في قول الحق، مع حكمة ورويَّة وبدون إثارة، كان يغار على دين الله ويردُّ على الشبهات أيّاً كان مصدرها، ويهتم بأحوال المسلمين عامة والسلفيين خاصة، وكان شديد التواضع، لا تفرِّق بينه وبين جليس معه، صاحب كرم عجيب وذا عطاء مستمر خاصةً أيام الحج.

توفي فجر يوم الخميس ٢٧ محرم ١٤٢٠هـ، رحمه الله وأجزل مثوبته.

هذا اللقاء:

أُجري هذا اللقاء مع سماحة الشيخ رحمه الله قبل سنوات طويلة من وفاته، لكنه آخر حوار صحفي معه، كما في موقعه على «الإنترنت»[1] فقد كان بعيداً عن الأضواء، إن لم يُملِ عليه منصبه الظهور لم يظهر، وفيه حديث عن نشأته، ورحلته في طلب العلم، وأمور اجتماعية، وفقهية علمية، وما إلى ذلك.. أجراه معه المحرر الصحفي المعروف «محمد الوعيل».

❋ ❋ ❋

(١) ابن باز على الإنترنت www.IbnBaz.org.sa (بتاريخ ١٤٢٥/٦/٢٢هـ).

نصّ الحوار

س: حدّثنا عن ميلادك وطفولتك؟

ج: يقول: كان مولدي في شهر ذي القعدة من عام ١٣٣٠هـ، والدتي هيا بنت عثمان بن عبدالله الخزيم.. وقد توفي والدي وآنا في آخر السنة الثالثة عام ٣٣هـ، فعشت يتيماً في حجر والدتي، وقرأت القرآن في حدود العاشرة وما بعدها إلى السنة الثانية عشرة والثالثة عشرة تقريباً، ثم شرعت في حفظه في الرابعة عشرة والخامسة عشرة، وأكملته في السادسة عشرة وطلبت العلم قبل البلوغ، وبقيت في حضانة الوالدة «هيا» وكان لي أخ موجود معنا في المنزل وهو أكبر مني سناً من أمي يدعى إبراهيم بن عبدالرحمٰن بن سيف، وأخ آخر شقيق يدعى محمداً، كانا يلاحظان البيت ويجتهدان بالقيام بما يلزم، ولكن الوالدة هي التي كانت تقوم علينا جميعاً.. وكان فضلها كبيراً علينا في التربية وغرس الصفات الحميدة في نفوسنا.

آل الباز أصلهم من اليمن:

س: كلمة الباز أو لقب العائلة، من أين جاء وفي أي منطقة؟

ج: يقول: مبتسماً.. لا أعرف حقيقة أصل هذه التسمية.. غير أنني أستطيع أن أقول: إن أصلهم ربما يكون من اليمن، والبعض الآخر يقولون: إن أصلهم من منطقة الحوطة، ولست متيقناً من هذا الشيء.. ولكن هناك جماعة.. اسمهم جماعة الباز في منطقة تهامة.. قد تكون جماعتنا منهم.. ولا أعرف بالضبط حقيقة ذلك.. وصدقني يا ولدي، أن السؤال مطروح مني أيضاً، ولا يهمّ من تكون العائلة بقدر من يكون الإنسان.

رحلته في طلب العلم:

س: رحلتكم في طلب العلم متى بدأت وكيف؟

ج: حفظت القرآن وأنا في السادسة عشرة.. وطلبت العلم قبل البلوغ على سماحة الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ.. فقد كان سماحته بداية مدرستي العلمية والدينية، ثم على سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ مفتي الديار السعودية رحمه الله، وكذلك على عمه الشيخ محمد بن عبداللطيف آل الشيخ أحد قضاة الرياض في ذلك الوقت..

ويضيف الشيخ مبتسماً.. ولقد قرأت على الشيخ سعد بن حمد بن عتيق بعض الوقت في عام ٤٦هـ، كما قرأت على الشيخ حمد بن فارس في علم النحو..

ويصمت الشيخ قليلاً ثم يعود مستعرضاً حياته وكأنه يستقرئها من خلال شريط: لقد لازمت بعد ذلك سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم حتى عام ٥٧هـ حيث بدأت أمارس حياتي العملية الحقيقة منذ ذلك التاريخ.

مشوار العمل:

س: متى بدأت رحلتكم العملية؟

ج: لقد بدأت حياتي العملية في عام ٥٧هـ، حيث عينت قاضياً بمنطقة الخرج بأمر من الملك عبدالعزيز ـ غفر الله له ـ في ٢٥ جمادى الآخرة عام ٥٧هـ، ويضيف الشيخ: إنني ما زلت أذكر هذا التاريخ وكأنه محفور في ذاكرتي، لأنه يمثل بداية حياتي العملية فعلاً.. لقد ظللت قاضياً بمنطقة الخرج حتى آخر عام ٧١هـ، ثم انتقلت بعد ذلك إلى الرياض مدرساً بالمعهد العلمي في عام ٧٢هـ، ومكثت بالمعهد العلمي سنة واحدة، حيث تمّ افتتاح كلية الشريعة ونقلت للتدريس بها، واستمررت في العمل كمدرس بكلية الشريعة إلى نهاية العقد الثامن.. وفي عام ١٣٨١هـ افتتحت الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة فنقلت إلى المدينة المنورة بأمر من الشيخ محمد بن إبراهيم وكان ذلك في عهد الملك سعود ـ رحمة الله عليه ـ وبموافقته، وباشرت العمل بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة من عام ١٣٨١هـ وحتى

عام ٩٠هـ، وكان منصبي هناك نائباً لرئيس الجامعة، وكان الشيخ محمد بن إبراهيم رئيساً لها آنذاك.. ثم بعد وفاة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله، وكان ذلك في عام ٨٩هـ، تمّ تعييني رئيساً للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة بموجب أمر من جلالة الملك فيصل رحمه الله عام ٩٠هـ، وظللت في هذا المنصب كرئيس للجامعة بالمدينة المنورة حتى عام ٩٥هـ.

عودة أخرى للرياض:

س: ومتى عدت إلى الرياض مرة أخرى؟

ج: عدت إلى الرياض مرة ثانية في شوال ١٣٩٥هـ حين صدر أمر الملك خالد بنقلي إلى الرياض رئيساً عاماً لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض.

الشيخ وأولاده:

س: ما الأسلوب الذي يتبعه الشيخ في تربية أولاده؟

ج: يقول الشيخ: أنا مقصر كثيراً وجلوسي مع أودلاي قليل جداً لأني في معظم الوقت مشغول.. وأعترف لك بأنني حقيقةً مقصر في حق أولادي وأهلي ولكنني أتبع معهم مبدأ النصيحة والتوجيه.

س: ماذا عن العمل الذي يفضله الشيخ؟

ج: يقول الشيخ ابن باز: لا شكّ أن البيع والشراء وطلب الرزق من أحسن المهن التي أفضلها لأبنائي.. وكذلك مهنة الزراعة.. ولقد صار أكثر أبنائي يعمل في التجارة حالياً.

الشيخ والنجاح والفشل:

س: ماذا عن النجاح والفشل في حياة الشيخ؟

ج: يقول: لا يمكن أن أتوقع لنفسي الفشل فيما لو عملت في مجالات تختلف عن المجال الذي أقوم به، لأنني أؤمن بأن الإنسان عندما

يكون صادقاً مع ربه ومع نفسه سيكون النجاح حليفه.. لكن دعني أحكي لك قصة عملي في مجال البيع والشراء، وهي مرحلة تجسد معاني الإخلاص والصدق، لقد عملت مع شقيقي محمد في مجال البيع والشراء، مثل بيع البشوت وبعض الملابس، وكنا نتجول في الحراج من أجل بيع بضاعتنا.. لكن عندما تسألني.. هل أنجح أم لا فإنني أقول لك لا أعرف.. ولكنني لو فعلت سأبذل جهدي، فالحياة كفاح.

أما عن طفولتي وهي مرحلة يعتز بها كل إنسان، فلا أتذكرها بالضبط عدا تلك المرحلة التي كنت فيها حريصاً على مجالسة أهل العلم وقراءة القرآن والاطلاع على ما يجدُّ في علوم الدين.

الشيخ معْ فقد البصر:

س: إذا كان الشيخ عبدالعزيز يتحدث عن الكفاح والبحث عن المعرفة أينما كانت، كيف يرى ذلك وهو كفيف البصر.. وهل عانى من عقدة فقد البصر؟

ج: (يجيب بأسلوب الإنسان الواثق من نفسه): لم أشعر يوماً من الأيام بأني متضايق لمجرد أني كفيف البصر، فكفّ البصر قدرة إلٰهية ولا مفرّ منها وإن كنت حاولت العلاج، وكان ذلك وعمري يتراوح ما بين ١٦ إلى ١٩ عاماً ولقد حاولت بالكي وخلافه إلاّ إنني فشلت.

س: قلت له مقاطعاً: هل تعرف طريقة برايل؟

ج: قال: أعرفها ولكني لم أتعلمها، لقد ضعف بصري في عام ٤٥هـ، أي أنني لم أكن أبصر جيداً.. وفي عام ٤٩هـ وبعد أربع سنوات من ذلك فقدت بصري.. ولم أجد أي تعب في التعليم، فقد ساعدني الكثير والكثير.

س: قلت له: هل تتذكر شيئاً عن رفاقك، وأعني أقرانك في سنّ الطفولة؟

ج: اكتفى بالإجابة هكذا: كنا نجتمع وندرس.. ونتعاون ونطالع،

ومن أحب أصدقائي إلى نفسي الشيخ عبدالله بن بكر رحمه الله، كان دائماً في صحبتي وكنا نطالع الكتب سوياً.

لم أختلف مع الشيخ محمد بن إبراهيم:

س: يعتقد البعض أن هناك خلافاً بين مفتي الديار السعودية الشيخ محمد بن إبراهيم والشيخ عبدالعزيز بن باز في بعض الأمور، حتى إن البعض يروي بأن الشيخ محمد بن إبراهيم يتضايق كثيراً من الخلافات الفقهية التي كانت بينه وبين الشيخ ابن باز.. فماذا يقول ابن باز نفسه عن هذه القضية؟

ج: أبداً، خلافاتي معه رحمه الله في مسائل قليلة.. وكنت أرى رأياً يخالف رأيه أحياناً.. لقد كان يتضايق من ذلك ويفسره البعض بالخلاف الدائم.. أذكر مرة واحدة في حادثة تتعلق بالطلقات الثلاث قد أفتى فيها وأفتيت فيها أنا أيضاً بدون علم مني بخلافه فتكدّر بعض الشيء.. فاعتذرت إليه وزال ذلك الكدر.

مشكلات الطلاق:

س: للشيخ ابن باز قصة مع الطلاق والمطلقين وربما كان من بداية شهرته حكمه في الطلاق الذي أصبح مفيداً لكثير من الناس، قلت للشيخ: هل الطلاق أبرز مشكلات اجتماعية تمر عليك؟

ج: يقول: نعم، فمشاكل الطلاق أهم المشكلات، خاصةً الطلاق بالثلاث.

س: ما أسبابها فضيلة الشيخ؟

ج: ما يقع من الرجل وزوجته من نزاعات لأتفه الأسباب في بعض الأحيان.

ويبدأ الشيخ الفاضل ببساطته يحلل.. يحضر الزوج من عمله متعباً مجهداً فتخالفه الزوجة في بعض الأشياء لأتفه الأسباب في بعض الأحيان،

أو تطلب منه شيئاً يشتريه لها فيأبى ثم يحتدم النزاع، فيطلق الرجل. أو تكون الزوجة على خلاف مع أم الزوج أو أبيه أو إخوته، أو تطلب منه بيتاً غير بيت أهله فيعتذر ويطلق.. أو يصاب بالسكر وشرب الخمر.. أو يترك الصلاة فيقوم بينهما نزاع وعندما تشدد عليه زوجته يطلق.. هذه هي أكثر الأسباب.

ويرى الشيخ أن مسائل الطلاق لم تتغير حتى بدخول التعليم في المملكة وازدياد الوعي لأنها كما يقول: لها أسباب داخلية بين الزوجين، بل زادت وتعقدت لأن مشكلات الحياة وظروف المعيشة زادت أيضاً.

س: ما هو العلاج إذاً؟ ما هو العلاج إذاً أيها الشيخ.. بمعنى هل يمكن وضع ضوابط لهذه المسألة؟

ج: لا يوجد سبيل إلى ذلك إلاَّ القيام بالتوعية وعدم التسرع في اتخاذ القرار الخاص بالطلاق والاستعاذة من الشيطان الرجيم عند الغضب، ونصيحة الزوجات والأزواج عن طريق الإذاعة والتلفزيون والصحافة بالصبر والتحمل وعدم مضايقة بعضهم البعض، وخاصة الزوجات بعدم المطالبة لأزواجهن بمطالب قد تشق عليهم وتحمل ما يحدث من الزوج من تكدّر وكلمات نابية، أو ما قد يحصل للزوجة من أمه أو أبيه أو إخوته.

فالمسألة لا تحلّ إلاَّ بالتوعية والتوجيه، والنصيحة أيضاً للأزواج بعدم التسرع والرفق بالزوجات وتحملهن.. ونصيحة أيضاً للزوجات أن يتحملن أيضاً ولا يسارعن في المطالب الكبيرة ويرفقن بالأزواج، لأنه قد يكون معظمهم غير قادرين على تلبية المطالب الكبيرة التي تطلبها النساء.

س: والشيخ عبدالعزيز لا يتابع الصحف؟

ج: يقول: إخواني يتابعونها ويخبرونني بما فيها، وإذا كان هناك ما يستحق الردّ أو التعليق نكتب للجهات المعنية.. وكذلك هناك موظفون وكتّاب يخبرونني ببعض الأشياء، ويأتي الخبر من جهات شتّى من الداخل والخارج، وقد يفوتني بعض أشياء لا أطلع عليها.

ساعات من القراءة والكتب:

س: ما هو عدد كتبك بمكتبتك الخاصة؟

ج: لا أعرف عددها وأظنها كثيرة.. وعندي مكتبة واحدة بالرياض وبعض الشيء بالطائف.

س: هل هناك ساعات معينة لقراءتك؟

ج: بين المغرب والعشاء نقرأ قليلاً، وبعد العشاء قراءة خاصة.. أما ما بين المغرب والعشاء فنقرأ حديثين أو ثلاثة.. وبعد العشاء نلخص المعاملات، أو نحاول حلّ مشكلات بعد العشاء، وقد يكون بعد العشاء، فتوى أو بعض الفتاوى.. أي: أن ما بعد العشاء منوّع.

حبّ الناس:

س: نودّ أن نسأل الشيخ الفاضل: لماذا يحبك الناس.. لماذا يتعلّقون بك؟ فلا تستطيع [هكذا].. لكننا نحوّر السؤال إلى الأسباب التي تجعل الناس يقبلون عليه.. هل السبب في ذلك يعود إلى مرونته؟

ج: يجيب الشيخ: نتحمل ونصبر، ويصيبنا ما يصيب الناس من التكدر لكن نتحمل ـ ثم يطرق بحياء ـ وقد يكون غيرنا من الإخوان أكثر صبراً منّا.

رحابة صدره وصبره:

س: أتشجع وأقول له وأعرف أنه رجل يكره الثناء: من هو الشخص الذي تأثرت به فأصبحت بهذه الرحابة من سعة الصدر والصبر في حلّ مشكلات الناس والتعامل معهم؟

ج: الرسول ـ صلوات الله عليه ـ فهو قدوتنا وهو الأساس في هذا، فكان تحمّله كبيراً.. فربما جرّه الأعرابي من ردائه حتى يؤثر على رقبته فيحنو عليه النبيّ عليه الصلاة والسلام ويضحك ويجيب له طلبه.. وكان رسول الله ﷺ يتحمل أهل البادية والحاضرة.. وهو أسوة لجميع أهل العلم

والمسلمين.. ثم أصحابه كان لديهم من الحلم والصبر الكثير أيضاً، كالصدِّيق وعلي وطلحة وغيرهم من أصحاب النبيّ ﷺ.. وكان عمر لديه بعض الحدّة لكنه كان أخير الناس وأصدقهم وأكملهم إيماناً.

يصيبني ما يصيب الناس:

س: هل تغضب يا سماحة الشيخ؟

ج: أغضب كثيراً ويصيبني ما يصيب الناس؛ أغضب على أولادي وعلى أهلي وعلى بعض الكتّاب وعلى بعض المراجعين، ولكن نجاهد النفس.

وينتهي اللقاء كما بدأ.

مصطفى الزرقا
(العالم والخبير الاقتصادي الإسلامي)

الترجمة:

من أسرة علمية دينية عريقة بحلب، أستاذ للحقوق المدنية والشريعة في الجامعة السورية، تولّى وزارة العدل والأوقاف مرتين، شارك في تأسيس عدد من الجامعات العربية، آتاه الله البصيرة النيِّرة والعقلية المتفتحة والذهن اللّماح، مع قدرة على الاستنباط والتعليل، والتحليل والموازنة والنقد، مع أناة عُرف بها ودقة وبراعة في التمحيص والتحقيق، مع ميل إلى التيسير لا التعسير، والتبشير لا التنفير، تخرَّجت أجيال على يديه وتعلمت من نهجه وسارت في خطه، تعرض عليه أعقد وأخطر

المشكلات الاقتصادية فيجد حلّها من الإسلام الحنيف، وتحظى اجتهاداته بمناقشات العلماء واحترامهم، له مؤلفات في الفقه والقانون، وبحوث كثيرة تعالج مشكلات حيوية معاصرة، ومن كتبه: نظرية الالتزام والإرادة المنفردة، عظمة محمد ﷺ خاتم الرسل، عقد التأمين وموقف الشريعة الإسلامية منه، العقل والفقه في فهم الحديث، الفقه الإسلامي في ثوبه الجديد.. وغيرها.

مات في الرياض ليلة الأحد ١٩ ربيع الأول ١٤٢٠هـ، رحمه الله تعالى.

هذا اللقاء:

نشر هذا اللقاء على حلقتين في مجلة: «النور» بالكويت، ع٢١٠ (شعبان ١٤٢٣هـ)، ص٦٤ ـ ٦٧، وع٢١١ (رمضان ١٤٢٣هـ)، ص٧٠ ـ ٧٥، وأجرى الحوار الأستاذ باسل الرفاعي.

قال في الحلقة الأولى:

حينما يُذكر الدكتور مصطفى الزرقا رحمه الله، يذكر العلم الوافر والفقه المحكم والخلق والأدب.. فعلى يديه تخرجت أجيال من أفذاذ علماء الأمة، ومن راحتيه فاضت فرائد العلم اجتهادات ودراسات وفتاوى، وأما الخلق الرفيع والتواضع والرقة والحنان والأدب فبعض نفحات ما وهب المولى الأستاذ الزرقا رحمه الله.

غير أن خبرات الحياة وذكريات نيّف وتسعين من سنيّ حياة الزرقا كنز آخر احتجب وراء قلائد العلم وسمت العالم الجليل، والأحداث العامة التي عاشها رحمه الله أو شارك في صنعها، سجلٌّ غنيّ يستوجب التقليب والتدقيق، بدءاً من عمله المبكر مع الكتلة الوطنية التي قارعت فرنسا المستعمرة، وأدواره الفاعلة من ثمّ في العمل الإسلامي، وفي مجلس النواب السوري أو وزارة العدل، وهو في ذلك كله على تميزه الذي عرف به، والريادة التي ما فارقته، يقدّم أفضل ما لديه من غير أن تقيّده شكليات

الانتماء، ويبذل ويعطي مخلصاً للفكرة والمنهج حتى يظنه الناس زعيماً أو قائداً وما هو بذاك.

مع الأستاذ الزرقا، وفي مسعى لتوثيق هذا الجانب الهام من حياته رحمه الله، بدأت التسجيل قبل ثلاث سنوات من وفاته، ولم يكتمل الأمر لأسباب، لكن الحصيلة كانت وافرة، وما جنيته يستحق النشر من غير شك.. وهذا بعض الجنى في ذكرى وفاة الزرقا الثالثة، نفحة من تاريخ مجيد، وصفحات غابت من حياة عالم مجدّد.

هكذا ورد في تقديم للحلقة الأولى منه.

بينما ورد في مقدمة **الحلقة الثانية** أنه أدلى بهذا الحوار لـ: «النور» قبل وفاته بفترة قصيرة، وعليه اسم المحاور نفسه، ثم بيان بمحتوى هذا الجزء من اللقاء وأنه يصرِّح فيه بآرائه الجريئة حول العديد من القضايا والشخصيات، فيتحدث عن فترة الاستعمار الفرنسي لسوريا، والثورة السورية، ودور جماعة الإخوان المسلمين السياسي في سوريا، والأخطار التي وقعت بها الجامعة، كما يتحدث عن دوره في العمل السياسي كونه استمر في العمل النيابي لعدَّة سنوات، ويُبدي رأيه بشخصيات كان لها تأثير على مجريات الأحداث أثناء حياتها، كجمال عبدالناصر والقوتلي والزعيم وغيرهم..

❋ ❋ ❋

نصّ الحوار

س: بعيداً عن طلب العلم والتحصيل، ما هي الهوايات التي كانت لكم في بدء حياتكم؟

ج: كانت لي في شبابي الأول هواية في الصيد وممارسته، وأحياناً وصلت إلى أن رميت طيراً بالبندقية وهو يطير، ثم بعد ذلك غرقنا في خضمّ الحياة!

س: وهل ظهرت موهبتكم في الشعر مبكرة أيضاً؟

ج: الشعر هذا من هوايتي الأولى، فأنا أهوى الشعر من طفولتي، وأحفظ منه مقادير وديوان عنترة تقريباً، كنت أحفظه كله من سيرته المطبوعة التي كنا نستأجرها ونقرأها وقتذاك.

س: تذكرون أول بيت شعر نظمتموه؟

ج: أول قصيدة أتذكر أنني أنشأتها وأنا تلميذ في الخسروية، وهي قبل قصيدة الشيخ بدر الدين التي تعرفونها[1]، والقصيدة وطنية ضد الاستعمار الفرنسي وما إلى ذلك، جريت فيها على طريقة الأبوصيري في «أمن تذكر جيران بذي سلم» أعني: من حيث التجريد، جردت شخصية من نفسي أخاطبها بأبيات كان مطلعها:

أمن السقام جفا عيونك نومها ... وعلى خدودك غزير دمعك سالا
فتقرّحت منك الجفون من البكا ... وكسيت من حُلل الضنا سربالا

---

(١) نظم الزرقا رحمه الله القصيدة عام ١٩٢٤ ترحيباً بزيارة الشيخ بدر الدين الحسني للمدرسة الشرعية الخسروية بحلب حيث كان طالباً فيها، هذا وللأستاذ الزرقا ديوان مطبوع عنوانه: «قوس قزح» صدر عنه «إثنينية» عبدالمقصود خوجة بجدة عام ١٩٩٦.

أم ذاك وجـــدُ فـــؤادك لاعِـــجٌ تـهـديـه حـتـى نـال مـنـك مـنـالا؟
فاكفف دموعك إن يكن هذا فقد أضحت خطاك من الهموم ثقالا

وأكمل بعدها جوابي للتساؤل:

إي والذي جعل المواطن حبَّها في الدين قدراً سامياً وكمالا
ما أهرق العبرات واستلب الكرى وجدٌ تمادى أو سقامٌ طالا
لم يُسْم قلبي غير أن مواطني من بعد عزّ ذاقت الإذلالا
كانت من الحدثان حصناً رائعاً يحوي رجالاً كُمّلاً أبطالا

إلى آخره... هذه أول قصيدة أنشأتها وأنشدتها في سهرة لأساتذة المدرسة وبعض طلابها، وما واتتني فرصة إضافتها للديوان.

س: تتحدثون دائماً عن فضيلة الوالد، ماذا عن الوالدة رحمها الله؟

ج: والدتي رحمها الله اسمها زينب الجَلَب، وكانت أمية لا تقرأ ولا تكتب، ولكن والدي كان يقول لي: يا ولدي لو أن أمك كانت تقرأ وتكتب لكانت ناطحت العلماء!

س: ماذا تذكرون من طفولتكم معها؟

ج: حنانها وعطفها الذي لا حدود له.

س: ومتى توفيت رحمها الله؟

ج: في أوائل الستينات، كنت أنا رجلاً وأستاذاً في الجامعة.

س: هل تركت أثراً في نفسكم وفي شخصيتكم؟

ج: ولا شك، أثر كبير، حنانها كان لا يقاس بشيء أبداً رحمها الله.

س: هذا محيط الأسرة، فماذا عن بداية تعرفكم على الحياة السياسية في سوريا؟

ج: من سوء الحظ أن بداية حياتي التي استقبلت بها الحياة بعد مرحلة الترعرع وحين أصبحت يافعاً كانت مع بداية الاحتلال الفرنسي لسوريا، بعد

الحرب العالمية الأولى، والتي فيها بدأت أيضاً حياتي العلمية، فكانت بداية حياتي السياسية من بداية تلمذتي، وأنا تلميذ في الدراسة الشرعية، منذ ذلك التاريخ ونحن نتداخل في السياسة لمقاومة الاستعمار الفرنسي، وكان لي نشاط في التنظيمات الوطنية ما بين المشايخ العلماء الفقهاء، مشايخ حلب، وبين الكتلة الوطنية التي تزعمت النضال في وجه الاستعمار الفرنسي الذي بدأ عقب الحرب العالمية الأولى بعد العهد الفيصلي مباشرة.

س: هل تذكرون شيئاً من العهد الفيصلي؟

ج: ذكرياتي عنه قليلة جداً ولكني أذكر أن العهد كان عهد انفراج بعد الحرب العالمية الأولى التي استمرت أربع سنوات، وازدهرت فيه الآمال، وبوشرت الأعمال، وحصل فيه انفراج اقتصادي كبير، ولكنه لم يدم إلاّ سنتين فقط حتى اتفق الحلفاء على تقاسم البلاد العربية، وكانت سوريا من حصة فرنسا، والعراق والأردن من حصة إنجلترا.

س: هل كان الناس في سوريا عموماً، والمشايخ على وجه الخصوص ينظرون إلى الأمير فيصل على أنه استمرار للخلافة الإسلامية مثلاً، أو أنه حكم عربي جديد لا يتعارض مع إسلامهم وطموحاتهم الوطنية؟

ج: الواقع أن هذه المفاهيم كانت غائمة بين نفوس الناس لأنهم لم يعتادوا مواجهة السياسة وتقلباتها، وسبب ذلك أن الناس قبل الحرب العالمية الأولى كان انغماسهم في السياسة قليلاً جداً، منصرفين إلى أعمالهم، ولكن لما بدأ الاستعمار بدأ التفتح والوعي السياسي، ولذلك فإنه في هذا العهد اختلطت المفاهيم، وغامت الأساليب السياسية الاستعمارية، فمجيء الملك فيصل إلى سوريا مثلاً أو دخول والده الملك حسين الحرب العالمية إلى جانب الحلفاء، كانت وراءه تدبيرات سياسية استعمارية ما كان الناس إذ ذاك على وعي فيها أو يفهمون مقالبها وأساليبها، ولذلك نظر الناس أنه انتهى عهد استبداد مثلاً وجاء عهد انفراج، لكن تبين بعد ذلك أن عملية الملك حسين والد فيصل رحمه الله في الانضمام إلى الحلفاء ضد الدولة العثمانية لم تكن عملية موفقة، وإنما كانت لعبة من الحلفاء أعانتهم على دولة

الخلافة، هذه المفاهيم انكشفت متأخرة، وحصل الوعي، ومن ذلك العهد بدأ تكوّن الوعي السياسي لدى السوريين من جديد.

س: ما هي أبرز نشاطات العلماء الذين عرفتهم في مجاهدة الاستعمار الفرنسي؟

ج: كان العلماء ينسقون مع حزب الكتلة الوطنية الذي قام على أساس مقاومة الاستعمار، وكان عملهم أن يستجيبوا للترتيبات السياسية التي ترتبها الكتلة في مقاومة الاستعمار والنضال ضده، فكان لما تريد الكتلة مظاهرة من الناس، يحصل اتصال مع العلماء ويخرجون في مقدمة جماهير المتظاهرين، يعني: أن التنسيق كان فيما يتعلق بالمظاهرات الاحتجاجية على الفرنسيين وفيما يتعلق بتقديم العرائض والبرقيات الاحتجاجية إلى عصبة الأمم وما إلى ذلك.

س: ما هي الأدوار التي كنتم تقومون بها مع الكتلة الوطنية؟

ج: كنّا أنا والدكتور معروف الدواليبي، ونحن طلاب في المدرسة الشرعية الثانوية في حلب، همزة الوصل بين الكتلة الوطنية وبين أساتذتنا ومشايخنا.

س: لماذا أنتم بالذات؟

ج: نحن، أنا وهو كنا معدودين من الشباب المتفتحين.

س: بحكم نشأتكم وتربية والدكم ربما..؟

ج: إي نعم، وبحكم أننا كلانا كنا دخلنا مدرسة «الفرير» الفرنساوية[1] خلال الحرب العالمية الأولى، وأصبحنا متوجهين إلى الأفكار الجديدة، والانفتاح على الدنيا، بينما كثير من شيوخنا كانوا منغلقين جداً!

---

(١) كانت مدرسة «الفرير» إحدى مدارس الإرساليات التبشيرية في سوريا، وقد أمّها الزرقا في العاشرة من عمره، وفيها تلقى معلوماته الابتدائية واللغة الفرنسية، ثم أكمل في الكلية الشرعية بحلب.

س: هل كان لوالدكم رحمه الله أي علاقة بالكتلة الوطنية؟

ج: طبيعي، يعني نفس الشيء، حتى كنا لما نرتب ترتيباً مع المشايخ من أجل مظاهرة أو توزيع عريضة احتجاج أو برقية أو ما إلى ذلك، كان والدي يمشي معنا في الطليعة رحمه الله.

س: من هو الزعيم الأول الذي التقيتم به من الكتلة الوطنية؟

ج: لا شك الزعامة كانت انحصرت في إبراهيم هنانو رحمه الله، وأنا لي قصيدة رثائية فيه حين وفاته[1]، حتى البلاد السورية الأخرى كدمشق وحمص وحماة تكنّ له بالزعامة نظراً لأنه قام بثورة على الفرنسيين وحاربهم فعلاً وتحصن في جبل الزاوية في بلدة أريحا.

س: كنتم تلتقون به؟

ج: إي، كثيراً، لنا اجتماعات به ونخلو به، ويعطينا تعليمات نرتب بها أمر المظاهرات أنا والدكتور معروف الدواليبي، ولم يكن الدكتور دكتوراً إذ ذاك، بل كان تلميذاً مثلي! وبالطبع بعد هنانو تأتي بالدرجة الثانية زعامة سعد الله الجابري.

س: بالنسبة لإبراهيم هنانو وسعدالله الجابري، هل كانا ملتزمين بالسلوك الإسلامي بصفة عامة؟

ج: والله بوجه عام لا أستطيع أن أقول ملتزمين بمعنى الالتزام المعروف، يعني: مثلاً لا أدري كيف كانت صلاتهم وصيامهم وما إلى ذلك والتزامهم، ولكن ما كانوا ضد الإسلام، ما كانوا مقاومين للحركة الإسلامية، بل بالعكس يتعاونون معها، لأن عهد النضال يحتاج إلى تعاون الجماعات المختلفة.

---

(١) وهي من خمسة وعشرين بيتاً أوردها في ديوانه المطبوع ص١٨٣ ومطلعها:

ذهبت يا من تركت الناس طائشة ... تبكي عليك وتمشي مشية الثَّمِلِ

كان قلب الفتى وقت الوداع غدا ... في أخمص الرجل جرحاً غير مُندمِلِ

س: ماذا عن الجمعيات الإسلامية التي نشأت لاحقاً في الثلاثينيات والأربعينيات في سوريا، هل كنتم تشاركون في هذه الجمعيات؟

ج: نحن، أنا والدكتور معروف الدواليبي وبعض من إخواننا المتعاونين معنا من المشايخ الشباب، أنشأنا جمعية اسمها جمعية البرّ والأخلاق الإسلامية.

س: في أي سنة؟

ج: لا أذكر بالضبط في أي سنة، ولكن في مرحلة آخر العشرينيات وأوائل الثلاثينيات، وكان لهذه الجمعية نشاط واسع في إقامة الحفلات في المناسبات الدينية والموسمية، مثل: غزوة بدر والأمسيات الرمضانية وما إلى ذلك؛ وكان لها دور فعال في الاتصال بزعماء الأحياء لأجل ترتيب بعض المقاومات، مثل: حظر الخمّارات وتسليط رجال عليها يفاجئونها ويكسرون موجوداتها وما إلى ذلك من أعمال ونحن من وراء الستار!

س: وماذا حصل بعد ذلك بالنسبة للوضع الوطني والمشاركة فيه، هل انضممتم إلى حزب الكتلة الوطنية انضماماً رسمياً؟

ج: نحن كنا معهم على اتصال دائم وتعاون، ولكن الأستاذ معروف الدواليبي بعدما تخرج من الجامعة وذهب إلى فرنسا وعاد حاملاً الدكتوراة، دخل حزب الكتلة الوطنية وصار من أعضائه، وبقيت متعاوناً معه دون الدخول في الحزب.

س: لماذا؟

ج: ما أحب أن أنتمي رسمياً إلى حزب أو إلى جمعية، لا أريد.

س: ماذا عن دار الأرقم[1]، هل كانت لكم مشاركة في نشاطاتها؟

---

(١) تأسست «دار الأرقم» في مدينة حلب منتصف الثلاثينيات، ونالت رخصتها الرسمية عام ١٩٣٦ وكانت محور عدد من الجمعيات المتشابهة في سوريا ولبنان وفلسطين وغيرها، عرفت باسم رابطة شباب محمد، وهي التي تحولت عام ١٩٤٥ إلى جمعية الإخوان المسلمين.

ج: لم تكن لنا مشاركة رسمية فيها، ولكننا كنا متعاونين مع أعضائها ونحضر اجتماعات مشتركة ونرتب أموراً مشتركة.

س: وعندما بدأت دعوة الإخوان المسلمين تصل إلى سوريا كانت لكم علاقة ومعرفة ببعض شخصياتها، لكنكم فيما أعلم لم تدخلوا فيها..؟

ج: أنا لم أدخل في حياتي كلها لا في جمعية ولا في حزب سياسي، ولكني أتعاون مع كل من ألتقي معه في الفكر والطريق.

س: هل كانت لكم صلة مباشرة بزعامات الإخوان المسلمين في ذلك الوقت؟

ج: الشيخ حسن البنا رحمه الله الذي هو رئيس الإخوان كنت على صلة طيبة معه، وقد قابلته في مصر وسوريا؛ كان جاء إلى سوريا وكنا على صلة طيبة معه رحمه الله.

س: ما الذي تذكرون عن الأستاذ البنا؟

ج: أذكر أنه رحمه الله كان عبقرياً من العباقرة وكان بعيد النظر، وكان حسن الترتيب والملاحظة وبصيراً بأحوال عصره، وهذه من أهم الأمور التي يفتقدها الكثيرون.. كان رجلاً فذاً رحمه الله.

س: وماذا عن الأستاذ مصطفى السباعي؟

ج: الأستاذ السباعي كان رفيقي وزميلي، بدأ نشاطه السياسي في مصر وهو طالب في الأزهر واعتقل، اعتقله الإنجليز لأنه كان خطيباً حماسياً، أخذوه إلى فلسطين واعتقلوه هناك، أظن في صرفند، وبقي زمناً معتقلاً وبعد ذلك أفرج عنه، وجاء إلى سوريا وكنّا وإياه، يعني: نحن الأربعة: أنا، والأستاذ الدواليبي، ومحمد المبارك، والأستاذ السباعي، كنّا أربعة نشكل كتلة إسلامية متنوّرة نشيطة من كتل الشباب المشايخ.

س: ماذا تذكرون عن خروج الفرنسيين من سوريا، ما هي ذكرياتكم عن تلك الأيام؟

ج: ذكريات هائلة! في أيام الحرب العالمية الثانية وبعدما ضرب الفرنسيون قلعة دمشق وضربوا البرلمان.. وكانت الكارثة المعروفة، واضطرت الكتلة الوطنية إلى أن تستعين بالإنجليز عليهم حتى تلقوا أوامر بالكف عن عدوانهم، فكان الخزي لهم، وكانت الأفراح والبشائر عند الناس لا توصف أبداً، لأن الفرنسيين خذلوا أمامهم وتراجعوا إلى ثكناتهم تمهيداً لخروجهم النهائي من سوريا في ١٧ نيسان ١٩٤٦.

س: بعد ذلك استلم رئاسة الجمهورية القوتلي، فما هي انطباعاتكم عنه؟

ج: والله معرفتي به طيبة، ولقائي معه من قبل أن يصبح رئيساً للجمهورية، لقائي معه كان عندما كنت في دمشق خلال الدراسة، وانطباعاتي عنه طيبة جداً، وكان رجلاً جدياً يحب الخير ويؤيد الإسلام.

س: وماذا عن حسني الزعيم، كيف كانت تلقيكم لانقلابه عام ١٩٤٩؟

ج: كان ولا شك تلقياً سيئاً جداً، لأننا عرفنا أن الرجل كان غير متوازن، وأن من ورائه الاستعمار، واستولى عليه بعض العلمانيين فألغى مجلة الأحكام العدلية.. فاعتبرنا مجيئه كارثة، ولما حصل الانقلاب عليه وجاء الحناوي عددنا ذلك مرحلة انفراج.

س: ومن تلك الفترة إلى الخمسينات ألم تكن لكم أي مشاركة سياسية؟

ج: أنا معدود من المشاركين السياسيين في كل برنامج إصلاحي يُقصد به الخير ويبتعد عن الحزبيات المقيتة والمنغلقة، وأنا في تلك المرحلة كنت ومن أول سنة ١٩٤٤ أستاذاً في كلية الحقوق، فكان نشاطي محدوداً بما تسمح به قاعدة الموظفين أنهم لا يتدخلون في السياسة إلاَّ في القضايا العامة وما إلى ذلك.

س: من خلال موقعكم في كلية الحقوق، كيف كنتم تنظرون إلى الدستور السوري وتطوراته، سواء أيام الفرنسيين أو في مرحلة الاستقلال وما تلاها؟

ج: نحن كنا ندعو إلى قيام حكم إسلامي، هذه دعوتنا الأولى ولا نزال عليها إلى يومنا وحتى نلقى الله تعالى، ولكن هذا لم يكن ممكناً بين عشية وضحاها؛ نحن نعلم أن الطفرة غير ممكنة، فكان أول اهتمامنا أن نوجد قانوناً مدنياً مستمداً من فقه المذاهب كلها، ولا يكون مقصوراً على مذهب واحد كما كانت عليه مجلة الأحكام العدلية التي كانت بمثابة القانون المدني في سوريا، وهي مستمدة من الفقه الحنفي وحده؛ وأنا لما جئت إلى كلية الحقوق كنت أدرس المجلة، وعلى أساسها أخرجت السلسلة الفقهية: الفقه الإسلامي في ثوبه الجديد، والمدخل الفقهي العام الذي هو أول السلسلة؛ ولكن كنت ألحظ أن المجلة لن يكتب لها الدوام بعد أن فرّغت معظم محتوياتها الاستثناءات القانونية فأصبحت نسيجاً مخلخلاً، كما أن ظروف الحياة وتطوراتها والأوضاع الزمنية أصبحت تستوجب أن تُستبدل، ولإحساسي بهذا الأمر كنت أنادي بوضع قانون مدني حديث الترتيب مستمد من الفقه الإسلامي لا من المصادر الأجنبية فيقطعنا عن فقهنا، وكان هذا رأس دعوتي، ونحن كنا في هذا السبيل وقاربنا أن ننجح في فترة تولى فيها وزارة العدل الأستاذ أحمد الرفاعي رحمه الله[1]، وشرحنا له الفكرة فأيّدنا، وأرسل مندوباً هو نهاد القاسم إلى مصر لكي يبحث هذا الموضوع مع عبدالرزاق السنهوري؛ وهناك طلب القاسم مع السنهوري من الوزير أن ينتدبني من كلية الحقوق إلى مصر لأجل أن أتعاون معهما ويتعاونا معي في وضع هذا المشروع، وأصبح الأمر قاب قوسين وإذا بنا نفاجأ بالانقلاب، انقلاب حسني الزعيم، الذي جاء بأحد العلمانيين ـ وهو أسعد الكوراني ـ

---

(١) أحمد الرفاعي: وزير العدل والصحة والإسعاف العام والشؤون الاجتماعية في حكومة خالد العظم التي تشكّلت في ديسمبر ١٩٤٨ وانتهت مهمتها بسبب انقلاب الزعيم العسكري في ٢٩ مارس ١٩٤٩.

وكان متخرجاً من الحقوق ويمارس المحاماة، فأتى به وزيراً للعدل، وعندئذٍ أوحى للزعيم أن يأخذ القانون المصري الجديد قانوناً مدنياً ويحلّ محل المجلة التي يلغيها، وأنه بذلك يخلد كما خلّد نابليون بقانونه المدني الفرنسي وليس بفتوحاته! استولوا عليه بهذه الفكرة، وفعل الزعيم ذلك، ونسخوا القانون المدني المصري على الآلة الكاتبة خلال خمسة عشر يوماً وأصدروه قانوناً وألغوا به المجلة، واستدعي الأستاذ نهاد القاسم من المهمة التي أرسل فيها إلى مصر؛ أما أنا فكنت من المقاومين، وسجلت هذا في مقدمة كتابي الفقه الإسلامي في ثوبه الجديد، المدخل الفقهي العام وما بعده، الذي كان يُدرَّس في كلية الحقوق إذ ذاك.

س: من كان معكم ممن وقف في وجه هذا القانون؟

ج: وقفت فئة ولكنهم لم يكونوا على قدرة أن يبرزوا في المقاومة؛ لأن حسني الزعيم كان رجلاً متهوراً وقليل التوازن، بل إن عنده شيئاً من الجنون إذا اعتبرنا أن الجنون فنون! ولقد بلغنا من مصادر موثوقة أنه لما استنسخ القانون المصري أتى به إلى مجلس الوزراء فجمعهم ثم سحب مسدسه ووضع بجانب القانون وقال لهم: وقعوا عليه!

س: وبعد الانقلاب على الزعيم، لماذا بقيت سوريا تحتكم إلى القانون المصري الذي أقرّه؟

ج: لأن القانون كان قد صدر بمرسوم تشريعي من حسني الزعيم واعتبر القانون المدني الأساسي في البلد، فلا بدّ للمحاكم أن تطبقه، وقد طبقته المحاكم قبل أن يصل إليه نصه مطبوعاً؛ لأن أسعد الكوراني الذي أوحى به لحسني الزعيم كان يعلم أن عهد الزعيم لن يطول، فلذلك جعلهم يأخذونه ويطبقونه فوراً، بينما كان لم يطبق بعد في مصر لأنه قانون جديد، وأعطى القضاة هناك مهلة سنة ونصف كي يطبقوه، أما عندنا فطبقوه فوراً!

س: وماذا عن مشروع القانون المدني الذي كنتم تطالبون به؟

ج: بقي فكرة يُنادى بها إلى سنة ١٩٨١ حينما نُقلت الجامعة العربية إلى تونس، وتقرّر في الدائرة القضائية منها إنشاء مشروع قانون مدني مستمد

من الفقه الإسلامي للبلاد العربية كلها، عندئذٍ شكّلوا لجنة خبراء دُعيت إلى الجامعة العربية كنت أنا أحدهم، وذهبنا إلى هناك وبدأنا مشروع قانون مدني جديد مستمد من أصول الشريعة ومن فقه المذاهب كلها وليس مقيداً بمذهب معين، وفعلاً بقينا خمس سنوات نضع هذا المشروع حتى انتهينا من النظرية العامة للقانون المدني، وهي بمثابة عموده الفقري، وبقيت الأجزاء الأخرى من القانون، وتوقفت الجامعة العربية عن متابعة العمل! وما تمّ إلى الآن.. إلى الآن!

س: وماذا عن الموسوعة الفقهية التي أشرفتم عليها في الكويت، ما هو سبب إيقافها؟

ج: سبب إيقافها أن الوزارة تغيّرت وجاء بدل الوزير السابق الذي أحضرني وأتى بي من دمشق وزير آخر، وهذا الوزير ذهب إلى مصر في مؤتمر للأوقاف فأقنعوه هناك بأن هذا المشروع لا يُقبل إلاّ إذا قام به الأزهر ومصر، ونحن أبناء هذا الموضوع وليس أنتم، ولذلك لو ألغيتم هذا المشروع وحولتم نفقاته إلينا في مشروع علمي فقهي فهذا الذي يتقبله الناس، واعتبروا هذا الشخص عضواً في مؤتمر مجمع البحوث الذي ألحق بالأزهر، فجاء وأعلن إلغاء المشروع، ثم وبعد تبدّل الوزارة مرّة أخرى أو مرتين ندموا على الموضوع وأرادوا أن يستقدموني ولكنني كنت ارتبطت بالجامعة الأردنية ولم أرد أن أقطع الحبل بهم.

س: وما رأيكم بالموسوعة في إنتاجها الذي صدر؟

ج: ماشية الآن، ولكن بطريق آخر غير الطريق الذي كنت أنا أمشّيها فيه، وهو على كل حال طريق جيد.

س: تلك قضية القانون المدني والموسوعة، فماذا عن مشاركتكم في المجلس النيابي؟

ج: كانت أول مشاركة نيابية في انتخابات **١٩٥٤** وهذه أول مرّة أدخل فيها المجلس النيابي، وكنت في الوقت نفسه أستاذاً في كلية الحقوق بالجامعة السورية قبل أن تسمى جامعة دمشق (لأن التسمية حدثت لها أيام

الوحدة بين مصر وسوريا، ولما أنشئت جامعة حلب سُمّيت الجامعة السورية في دمشق بجامعة دمشق)، والدستور السوري أجاز أن يجمع أساتذة الجامعة بين أستاذيتهم والنيابة لكي يستفيد المجلس النيابي من خبرتهم، وبذلك بقيت محتفظاً بأستاذيتي في كلية الحقوق، وفي الوقت نفسه نجحت فكنت نائباً، وكونّا ضمن المجلس الكتلة «الكتلة الإسلامية».

س: ما هي ذكرياتكم عن الأستاذ السباعي وعن الأستاذ عصام العطار في المجلس النيابي؟

ج: طبعاً هما لم يجتمعا معاً في مجلس الأمة النيابي وإنما في دورتين مختلفتين، فالأستاذ العطار جاء في دورة عام ١٩٦١، أما الأستاذ السباعي ففي دورة عام ١٩٤٩ ـ ١٩٥٣ ولا شك أن كليهما رجل يحمل واجبات الدعوة خير الحمل. الأستاذ السباعي مواهبه جمّة، وهو أهل علم وفضل وخطابة وبيان وفكر، مستوعب لقضايا الزمن وشؤون العصر، وكذلك الأستاذ عصام العطار كان شاباً فهيماً ومتوجهاً اتجاهاً إسلامياً سليماً، وكانت له أيضاً مزيّة الخطابة، خطيباً وداعية إسلامياً بحق، ولكن الأستاذ السباعي كان أقدم منه وأرسخ في الموضوع.

س: كيف تقيّمون مواقف الأستاذ العطار السياسية؟

ج: مواهبه السياسية جيدة جداً، وعنده وعي تامّ بالقضايا السياسية، لا شكّ في ذلك.

س: عموماً ما هو تقييمك لجماعة الإخوان المسلمين وأدائها السياسي في سوريا وقت ذاك؟

ج: الجماعة في سوريا أداؤها السياسي كان ينحصر في الطرق القانونية، ولم يكن لهم أداء سياسي خارج نطاق القانون مثل المشاغبات وما إلى ذلك، وقد عملت الجماعة بالقدر الممكن، لأن وضع سوريا كان حساساً جداً بوجود نسبة كبيرة من المسيحيين ومن الأرمن ـ وهم مسيحيون أيضاً ـ ومن غيرهم من الفرق، فكانوا يمارسون دعوتهم وواجباتهم فيها بالطرق القانونية وضمن حدود الإمكان.

س: لكن وبعد أن حدثت الانقلابات العسكرية المتتالية بعد الاستقلال، ألم يفكر الإسلاميون في الاستعانة بالجيش أو التمكن من القوة الحاكمة؟

ج: لم تكن هناك إمكانية، إمكاناتهم من هذه النواحي التي ذكرتها كانت محدودة جداً، ولا شيء عندهم.

س: وما رأيكم فيما حدث أواخر السبعينات وأوائل الثمانينات من أعمل عنف ومقاومة عسكرية ضد النظام؟

ج: أنا أعتقد أنها تهورية لأنه لم يكن فيها تكافؤ أبداً، فوارق عظيمة بين أناس معزولين عن كل سلطة وبين أناس يملكون دولة تملك كل الوسائل، فكان شيئاً غير متكافىء، وأنا أعتقد أنه كان عملاً تهورياً.

س: يرى البعض أن المسلمين عموماً والحركة الإسلامية على وجه الخصوص قصّروا في دخول الجيش طوال فترة ما بعد الاستقلال، وهذا الذي أدّى إلى ابتعادهم بعد ذلك عن السلطة فما رأيك؟

ج: لا.. لا.. إذا كانوا مقصرين في دخولهم سلك الجيش فليسوا هم وحدهم، جميع العناصر الأخرى مقصّرة نفس التقصير، وما كان أحد يتوقع هذه الانقلابات المتتابعة التي سبقت الأحداث، وبعد أن أتضح تدخل الجيش وأصبح هناك من يرغب أن تكون له يد في الجيش، أصبح الإخوان المسلمون غير متمكنين من أن يدخلوه لأن السلطات بيد غيرهم.

س: كيف تقيّمون الوحدة التي قامت بين سوريا ومصر؟

ج: لا شك أننا أهلّلنا للوحدة لأنها خطوة في سبيل الوحدة العربية، ولكن وقائع الوحدة جعلتنا نعتقد أننا كنا في تصور خاطىء وذلك على يد عبدالناصر، والسبب أنه هو لم يكن يحمل هم توطيد الوحدة بل يريد النفوذ لنفسه فقط!

س: لكنه كان على صلة بكثير من علماء سوريا ورموز الدعوة فيها؟

ج: لا شك أن عبدالناصر اغترّ به كثير من العلماء ومنهم الأستاذ

السباعي ومحمد المبارك، وحتى الدكتور معروف الدواليبي مع دهائه السياسي وبصيرته، إلاّ أنا! وأذكر أن الأستاذ السباعي قال لي مرّة: يا أستاذ مصطفى تبيّن لنا أننا كلنا كنّا مخدوعين فيه إلاّ أنت! وأنا رأيي فيه أسوأ ما يكون، رجل أناني، جبار، لئيم، ودينه ضعيف؛ قد يكون على شيء من الدين في البداية ولكن الغرور بعد ذلك أفقده دينه، وأصبح همه التنكيل والاستئثار والطموح للسلطة العامة مضحياً في سبيلها بكل شيء وبكل مبدأ!

س: بعد انفصام الوحدة وقيام عهد ديموقراطي جديد، فزتم مرّة أخرى بانتخابات ١٩٦١، ومما لا يزال يذكر عن تلك المشاركة أنكم عارضتم رأي بعد أعضاء «الكتلة الإسلامية» أنفسهم عندما طرح موضوع إعطاء الفائدة على الأموال التي استدانها أصحاب الأراضي المصادرة بعد أن قررت الدولة إعادة الثمن إليهم، ماذا تذكرون عن هذا الموضوع؟

ج: أذكر ذلك، وكان هذا في المرحلة التي كان فيها الأستاذ زهير الشاويش نائباً، وأنا كنت كذلك فيها نائباً.

س: والشيخ محمد علي مشعل، والأستاذ عصام، والشيخ عبدالفتاح أبو غدة..؟

ج: نعم.. نعم.. وفيها تقرر إعادة الأملاك المصادرة في الإصلاح الزراعي لأصحابها، وكانت عليهم ديون للبنوك، وديون البنوك تخضع لفوائد، والقانون والدستور يحمي هذه الفوائد، فلذلك انشقّ الرأي هناك إلى رأيين: رأي يقول بوجوب أن تسدّد الديون بفوائدها لأننا لا نملك إسقاطها، والدستور يحميها! ورأي آخر يقول: لا، نحن ننادي بأن الإسلام هو المصدر الرئيسي للتشريع، فكيف نعيد إليهم ديوناً فيها ربا؟ وكان من هؤلاء الأخ زهير الشاويش، وأنا كنت من رأي الحكومة بأن هذه الديون لا سبيل للتخلص من فوائدها، وحتى تعاد الأراضي لأصحابها يجب أن تسدّد الديون بالفوائد التي عليها وفي ظل القانون، ونحن غير مسؤولين عن ذلك، إنما المسؤول عنه السابقون الذين وضعوا القانون، فلو أننا قرّرنا في الحكومة أن تعاد الديون بلا فوائد، فالبنوك تستطيع أن تقيم دعوى أمام القضاء وتأخذ

أحكاماً بالفوائد، وهذا محميّ بالدستور، وإذا قرّرنا خلافه فالقضاء يقضي علينا، وإذا قيل: أصدروا قانوناً يمنع القضاء من الحكم بهذه الفوائد، فإننا إذ ذاك لا نملك أكثرية في المجلس تستطيع أن تقرر مثل هذا القانون، وبالنتيجة ستكون الحكومة خاسرة أمام القضاء وتتكبّد نفقات الدعاوى والمحاماة التي ستقيمها البنوك فوق الفوائد؛ هذا كله تجاهله الفريق الآخر ولذلك نحن كنا أبصر بالأمر الواقع.

س: هذه القضية تقودنا للسؤال عن مدى حاجة الدعاة والعلماء إلى فهم الواقع وإلى فهم القوانين الوضعية والقوانين الإسلامية معاً، للتوفيق بين جوانب الموضوع المختلفة.

ج: التوفيق بين كل القوانين التي فيها الكثير من المخالفات للشريعة وبين الشريعة عمل واسع عظيم، وهذا لا يمكن أن يجري في يوم أو يومين أو أسبوع أو سنة، هذا غير ممكن؛ ومن جانب آخر فإن العالم اليوم يحتاج إلى أن يكون على علم كافٍ بمبادىء الشريعة الإسلامية وفقهها ومقاصدها، هذا في الدرجة الأولىً؛ وهو يحتاج ثانياً أن يكون ذا بصيرة ووعي سياسي فيعرف زمانه تماماً وأساليب السياسة ومقالبها! ويحتاج كذلك أن يعرف تطورات العصر وما آلت إليه اختلافات الحياة ومستجداتها؛ ورأس كل هذه الأمور أنه يحتاج إلى إخلاص لوجه الله في سلوكه وعمله.

س: يطرح الآن موضوع السلام مع إسرائيل كحل لكل القضايا العربية السياسية، وهو يسير سيراً حثيثاً يتبناه كل زعماء العرب أو غالبيتهم العظمى، ما هو تعليقكم على ذلك؟

ج: من وجهة نظري أنا أن كل نتيجة ضعفهم وإحساسهم بالضعف والعجز تجاه أميركا وإسرائيل، وأن كل الخطوات التي تمّت ليس فيها أي مصلحة إسلامية، والسلام سيكون سلاماً لإسرائيل على حساب المسلمين والعرب، هذه خلاصة الأمر، وكل ما يقال خلاف ذلك هو أكاذيب لخداع الشعوب، وإلاّ فما معنى الصلح مع إسرائيل إذا كانت ستحتفظ بكل ما أخذت؟ وما قيمة الحديث عن الدولة الفلسطينية أن الحكم الذاتي وهي

أضحوكة في يد إسرائيل، والشرطة الفلسطينية تحتاج إلى أن تأخذ بنادقها من إسرائيل! لكن العرب لشعورهم بهذا الذل والخضوع وبعدهم عن روح الجهاد في سبيل الله أصحبوا قانعين بهذه الأضحوكة ويخدعون أنفسهم بأنها مقبولة، هذه خلاصة الأمر، ومع الأسف فإن حكام العرب والمسلمين اليوم هم الذين يقومون بمهمة مكافحة الإسلام ودعاته، هم أخذوا المهمة على عاتقهم إلاَّ من رحم ربك!

أبو الحسن علي الحسني الندوي
(العالم المجدِّد، فخر الإسلام والمسلمين)

الترجمة:

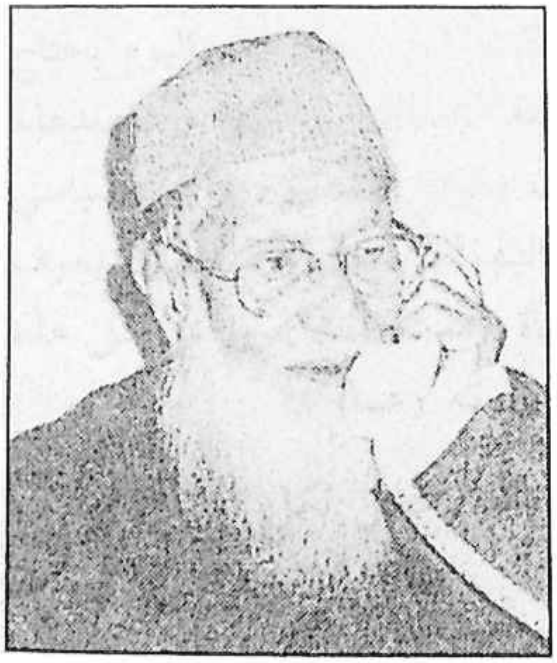

يصل نسبه إلى سيدنا الحسن بن علي رضي الله عنهما، التقى بأعلام هذه الأمة فاستفاد منهم وأفاد، عُيِّن أميناً عاماً لندوة العلماء منذ عام ١٣٨١هـ حتى آخر حياته، شارك في تأسيس جمعيات ومراكز وهيئات محلية وعالمية عديدة، وأنشأ رابطة الأدب الإسلامي واختير رئيساً لها، حياته حافلة بالدعوة وخدمة الإسلام، حكى طرفاً من ذكرياته في كتابه: «في مسيرة الحياة»، وكتب عنه كثيرون، ولعله يكفي فيه قول الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله: «بنى أمة من العلماء الصالحين والدعاة المخلصين».

وله مؤلفات عديدة، فهو من المكثرين في التصنيف، لعل أبرزها: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟.. وترجمت مؤلفات كثيرة له إلى لغات عالمية.

توفي يوم الجمعة (٢٣) رمضان سنة ١٤٢٠هـ. رحمه الله وجزاه عنا خير الجزاء.

هذا اللقاء:

أجرى هذا اللقاء معه الأستاذ حسن علي دبا، في آخر زيارة للشيخ إلى الدوحة، وكان قد فاز بجائزة الشخصية الإسلامية لعام ١٤١٩هـ التي تُمنح في دبي على هامش المسابقة الدولية للقرآن الكريم، وقد نُشر في حلقين بمجلة: «المجتمع»، ع١٣٣٨ (١٤١٩/١٠/٣٠هـ)، ص٥٠ ـ ٥١، وع١٣٣٩ (١٤١٩/١١/٧هـ)، ص٥٤ ـ ٥٥.

وقد توفي الشيخ بعد هذا بنحو عام، ولم أتكد من أن هذا هو اللقاء الأخير معه، لكني لم أقف على لقاء آخر له بعد هذا التاريخ. والله أعلم.

يذكر العلاَّمة الندوي رحمه الله في هذا اللقاء أكبر من تأثّر بهم، مع بيان مناهج العمل الدعوية، وندوة العلماء، والجماعات الإسلامية، ووحدة العمل الإسلامي، وقضية الإسلام والحكم، والسلام العالمي...

إنه لقاء مع شخصية إسلامية عالمية أنضجها علم عميق وخبرة طويلة وتجارب عديدة.

ويقول محاوره في تقديم للقائه معه:

رجل من أعظم مفكري الإسلام في العصر الراهن، هذا هو أبو الحسن الندوي، ثقافته أعطت للأجيال روحاً كبرى، تعيد قراءة أحداث الماضي وتضوغ رؤى الحاضر أملاً يتجدّد بالوعي الهادىء، أن تصحو تلك الأمة وتقود ولا تركن للواقع.

في كل مؤلف لأبي الحسن توجد فكرة تتربّى عليها الأجيال، ويقدم بالعربية والأردية ولغات الغرب زاداً.. وينادي كل الخلق ممن أسلم وجه لله: أنت القائد قد خسر العالم بذهابك، هيا عد لتقود العالم.. كان كتابه: «ماذا

خسر العالم بانحطاط المسلمين؟» إعادة لبناء الشخصية الإسلامية عن طريق قراءة التاريخ بعيون مؤمنة.

المؤثرون في هذا العالم، والمنهج في الدعوة والفكر، وقضايا التربية الإسلامية في العصر الحاضر، ومشكلات الفكر و رسالة الإنسانية وحكايتها وقضايا التغيير، والإسلاميون والحكم والتجربة الهندية لدى السرهندي، وقضايا السلام والديانة الضلالية لإسرائيل، وغير ذلك.

❋ ❋ ❋

نصّ الحوار

أستاذي الأول هو:

س: لكل مسيرة علمية، مثل مسيرة سماحتكم، وقفات تنبض أمام الجيل المعاصر ترى من هم الأساتذة الذين تركوا آثاراً قوية في شخصيتكم؟

ج: أستاذي الأول الذي تعلمت منه اللغة العربية وآدابها هو الشيخ خليل بن محمد الحسين اليماني، وكان صاحب ملكة راسخة، وصاحب ذوق، بل أصبح الذوق العربي الأدبي عنده ذائقة، فإذا ارتقى الذوق أصبح ذائقة يتذوق منه الإنسان، كما يتذوق من طعام شهي، فكان من أقوى المعلمين: يمثل الأدب العربي أنه شيء حي نامٍ موجود ومرئي.. كان من أنجح المدرسين، وأنا أدين له في ثقافتي العربية.

ثم استفدت من العلاَّمة د.سيد تقي الدين هلالي المراكشي، جاء عندنا، وتعيّن أستاذاً في ندوة العلماء، ومكث سنين، وأشار علينا بمطالعة كتب ما كنا نعرفها من قبل، وهو رجل يعتبر حجة في تسهيل الكلمات، كان أمير البيان الأمير شكيب أرسلان والعلاَّمة السيد رشيد رضا مع ما لهما من مكانتهما، إذا اختلفا في كلمة: هل هي كلمة عربية أصيلة أم هي دخيلة، تحاكما للشيخ تقي هلالي.. وجاء هذا مصرّحاً في كتاب الأمير شكيب أرسلان: «السيد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة» وفي حواشيه: رجعنا في هذه الكلمة إلى د.تقي هلالي.. فحكم بكذا.

س: في مجال الدعوة والفكر: من هم الأساتذة الذين أثروا في مسيرتك ورؤيتك الدعوية؟

ج: أكثر من تأثرت به هو إمام الدعوة إلى الله الشيخ محمد إلياس

الكاندهلوي «ابنه محمد يوسف الكاندهلوي هو صاحب كتاب حياة الصحابة»، كأن هذا الرجل مأمور من الله، لا أقول عن طريق الرسالة أو الوحي، ولكنه كان مقيضاً لهذا الأمر، وقد استولت عليه هذه الفكرة حتى ذاب فيها، ودعا إلى الاتصال بالشعب اتصالاً مباشراً وتوجيه الدعوة إليه ولفت نظره، واستقطابه إلى رسالة الله تبارك وتعالى والعمل بالإسلام وبشريعته وبأحكامه، وانتشرت هذه الدعوة لا في الهند فقط، ولكن في القارة الآسيوية، ثم انتقلت إلى أوروبا وأمريكا، ولا تزال هذه الدعوة قائمة، وهي من أكثر الدعوات تأثيراً وإنتاجاً.

منهج دار العلوم وندوة العلماء:

س: يمكن أن ننتقل الآن إلى منهج دار العلوم وندوة العلماء أي منهج سماحة الشيخ أبي الحسن الندوي في الدعوة والفكر فنسأل عن فلسفته وبنائه؟

ج: إن منهج ندوة العلماء هو الجمع بين القديم الصالح والجديد النافع، والاعتقاد بأن المناهج التعليمة ليست مناهج جامدة متحجرة واقفة عند حدّ، بل هي خاضعة لتأثيرات العصر ولحاجات العصر، تلبّي حاجة العصر، وتبلّغ رسالة الإسلام، وتنشر الدين بين الجيل الجديد على المبدأ الذي يؤثر عن سيدنا الإمام علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ: «كلّموا الناس على قدر عقولهم، أتريدون أن يُكذّب الله ورسوله»، فقد تأسست ندوة العلماء على مبدأ إقناع الجيل الجديد باللغة التي يفهمها ويسيغها، وبالدلائل والمواد العلمية التي تقنع وتبث اليقين بأن الإسلام هو الدين الخالد، وأن الإسلام صالح للقيادة في كل عصر.

ولأن المدارس العربية الدينية خصوصاً في شبه القارة الهندية كانت قد أصبحت جامدة، متمسكة بالمناهج الدراسية الأولى تمسكاً شديداً، عضت عليها بالنواجذ! كأنها مبدأ شرعي، لذا فإن المؤسسين لندوة العلماء هم الذين واجهوا الإرساليات النصرانية وواجهوا المتخرجين في الجامعات العصرية، فعرفوا أن نفسيتهم قد تغيرت، وأن أساليب فكرهم وأساليب

مناهج قبولهم قد تغيرت بتأثير التعليم العصري، والآداب العصرية، وبتأثير كتب المستشرقين.. فلا بدّ من الجمع بين القديم والجديد.. الأصل هو القديم ولكن التعبير عنه ومعاودة إفهامه والإقناع به يجب أن يكون ملائماً لعقلية الجيل الجديد ولمستواه.

مناهج العمل الدعوي:

س: برغم الخيرية التي تنبع منها مناهج العمل الدعوي والفكري الإسلامي، فإن هناك اختلافاً بين هذه المناهج، فمنهجكم في ندوة العلماء يختلف عن منهج الأستاذ أبي الأعلى المودودي في حركة التغيير وفقه الدعوة.. هل يمكن لنا أن نتبين ذلك؟

ج: ليس هناك اختلاف مبدئي، إنما هو اختلاف في الأسلوب، وفي التقديم والتأخير، وفي الترجيح.. فإن الأستاذ المودودي يتغلب على أسلوبه الدعوي الجانب السياسي، فهو يفسر الإسلام تفسيراً سياسياً، وكان هذا شيئاً طبيعياً لا نلومه عليه، ولكن يجب أن يكون تفهيم الدين الإسلامي كدين خالد صالح لكل جيل، وصالح لكل فترة زمنية، ولكل مجتمع، ولكل عصر.. يجب أن تتحكم فيه الأصول الدينية: الإيمان بالله والإيمان بالآخرة، والاجتهاد في إرضاء الله تبارك وتعالى والعمل بسنّة رسوله ﷺ، يجب أن يكون هذا هو الأساس.. أمام بسط الحكم، أما إقامة حكومة إسلامية، فهذا يأتي في الدور الثاني.. ولي كتاب يشرح هذا كله عنوانه: «التفسير السياسي للإسلام» كتب أصلاً باللغة العربية.. استلفت فيه النظر إلى أنه لا ينبغي أن يكون تفسير الإسلام خاضعاً لمصطلحات سياسية، ولأهداف سياسية فقط، لأنه كتاب محكم ثابت، خالد، عام للبشرية، والأساس فيه إرضاء الله تبارك وتعالى، وتنفيذ أحكامه والعمل بها والعمل بأحكام رسوله ﷺ ويأتي في نتيجة ذلك الحكم والقوة السياسية، فليس الحكم والقوة السياسية هو الهدف الأول والأساس، بل الهدف الأول والأساس: طاعة الله تبارك وتعالى وطاعة رسوله.

س: ولكن مهمة الأمة الإسلامية وطلائعها، وهي التمكين لدين الله في

الأرض وإقامة الحكم الإسلامي، قد تتأخر طبقاً لهذا المفهوم التربوي؟

ج: إذا تأخر قليلاً، لا ضير، لكنه يكون أثبت وأرسخ، إن كل شيء يأتي في وقته يكون راسخاً وثابتاً، فلا بدّ للتهيؤ لأمر «التمكين لدين الله» من الانقياد لله تبارك وتعالى وامتثال أوامره، وتفضيل أوامره وما ثبت من الكتاب والسنة على المبادىء الأصلية، وغير ذلك.

س: هل يمكن اعتبار هذا المنهج هو الأقرب لمنهج جماعة الإخوان المسلمين التي تأخذ بالتربية الإسلامية للأمة كمنهج للتغير؟

ج: نعم.. عندنا تقدير قديم لهم، لا أقول: إننا متفقون مائة في المائة، ولكنني أقدر كبير التقدير أني عرفت الإخوان المسلمين، ولي مقدمة لكتاب الإمام حسن البنا: «مذكرات الدعوة والداعية» فاتني أن أقابل مؤسس الجماعة الشيخ حسن البنا، ولكنني قابلت زملاءه وتلاميذه في مصر، وعشت معهم مدة، وفي ضوء ما درسته وما علمته كتبت كتابي: «أريد أن أتحدث إلى الإخوان» ففيه بعض ملاحظات، مع احترام وتقدير وتصديق وإعجاب.. لكنها ملاحظات.. ملاحظات أخ لإخوانه، ورفيق من رفقتهم.

منهج التبليغ والدعوة:

س: هناك جماعة التبليغ والدعوة وقد انطلقت من الهند كيف ترون المنهج والوسيلة؟

ج: هذا عمل مشكور جداً، وإن كان يجب أن يكون فيه بعض من السعة والإلمام بنفسية الشباب والمثقفين الجدد، ومراعاة فهمهم وتقديرهم، ومراعاة أساليب تفكيرهم، فنطاقُ العمل لديهم محدود وهو الاعتقاد الصحيح والعمل بالفرائض، أما تثقيف العقول وتهيئة الشباب والجيل الجديد للتأثير في المتعلمين المثقفين وفي القادة فهذا قد يُغفل عندهم.

س: في مجال الدعوة إلى الله تجتهد الأمة، وتبرز جماعات، كل جماعة تختط منهجاً للتغيير الإسلامي.. ترى ما منهج التغيير الأمثل في رؤيتكم؟

ج: هو إنشاء الجيل الجديد على الفهم للدين فهماً صحيحاً أصيلاً وواسعاً، وملائماً لهذا العصر، يكون البدء بالتثقيف العقلي، وبإنشاء العقلية والنفسية الإسلامية، لا نغفل العوامل المستودرة من الخارج والزاحفة من أوروبا التي تؤثر الآن، يجب ألا نتغافل عنها بل نعيرها شيئاً من العناية، ونعتقد أنها هي التي تصوغ الآن العقول والشباب والقيادات كذلك.

صورة التربية الإسلامية:

س: قدمتم منذ عشرات السنين صورة رائدة للتربية الإسلامية، وفي ضوء تغير العصر: كيف ترون ملامح التربية الإسلامية الآن، هل ما زالت تسير في إطار التلقي المباشر أم أن لها صورة أخرى؟

ج: هناك مؤثرات في التربية، مثل أن يكون التلميذ على صلة بأستاذه كأن يسافر معه ويقضي معه أياماً، ويرى كيف يحافظ على إيمانه وواجباته.. لا تكون الصلة بين التلميذ والأستاذ صلة كتاب فقط وتدريس فقط، بل كما كان في الزمن القديم، أكثر نفعاً وأجدى أن يكون التلاميذ على صلة دائمة ومباشرة بأساتذتهم، يقضون معهم أوقاتاً ويسافرون معهم يخدمونهم، يرونهم كيف يصلون، وكيف يقرأون القرآن، وكيف تكون آثار القراءة وآثار العبادة والعلم عليهم.

س: هل يمكن أن يكون ذلك في المدارس النظامية الآن؟

ج: يمكن أن يتم ذلك إذا كان هناك شيء من الاجتهاد والذكاء.. يجب ألا تكون صلة التلميذ بأستاذه محصورة ومحدودة في المدرسة.. يجب أن تكون هذه الصلة أوسع مما هي الآن.

س: في الماضي كان الأبوان يُنصّران أو يُمجّسان أو يُهودان أو يُسلّمان الأبناء، أما اليوم فربما كان لمؤثرات أخرى مثل التلفاز وغيره دور يقارب دور الأبوين.. كيف يمكن أن يقابل الجيل الجديد هذه التربية الجديدة؟

ج: يجب أن يكون الأساتذة في المدارس مؤثرين ومختارين، وعارفين بنفسية الشباب ونفسية الصغار، وحريصين على سبل الجيل الجديد وصوغه

صوغاً إسلامياً، فلا يعتمد فقط على الشهادات التي ينالها هؤلاء الأساتذة من الجامعات، بل يُلاحظ مدى اتصالهم بالدين اتصالاً عملياً، ومدى اقتناعهم بمبادىء الدين وأهدافه.. ويكون عندهم شيء من الامتحان العملي في عملهم بالسنّة، في أخلاقهم.. ويكون عندهم شيء من الزهد في حطام الدنيا، كما كان في السلف، حيث كان الأساتذة هم القدوة، وكانوا هم المثل الأعلى للسلوك والإيمان، وللعلم وللدراسة كذلك.

أما الآن فقد أصبح اتصال الأستاذ بالتلميذ في الجامعة ضيقاً، محصوراً في ساعات الدراسة.

س: خسر العالم كثيراً بانحطاط المسلمين.. وما طرحتموه في كتابكم الأشهر الذي تربّت عليه أجيال عدة غير خافٍ على أحد.. كيف ترون بعد مرور أكثر من ثلاثين عاماً على كتابكم: خسارة العالم بانحطاط المسلمين؟

ج: في الحقيقة هناك فكرة مسيطرة على المثقفين جميعاً، وهي أن المسلمين هم ممثلون فقط، هناك مسرحية تتمّ من غير استشارة المسلمين أو معرفة آرائهم واتجاهاتهم، مسرحية عالمية، يلعب فيها المسلمون دورهم كممثلين (ACTOR).

ولكني غيَّرت هذه الفكرة، وغيَّرت التاريخ.. ولعلي كان لي بعض السبق في هذا بعون الله تعالى، بأن المسلمين ليسوا (ACTOR)، بل هم (FACTOR) هم العاملون، وهم الذين يصوغون المسرحية، ويستطيعون صياغة المسرحية العالمية كلها، ولا يمثلون فيها كقطع الشطرنج مثلاً، بل المسلمون كانوا يصوغون الأحداث، كانوا صاغة لم يكونوا مصوغين.. يجب أن يكون المسلمون هكذا.. ولما أفلت زمام القيادة من المسلمين أصبح العالم منفلتاً، وأصبحت الأمم والشعوب دواب من غير راعٍ.

العملية التي قام بها هذا الكتاب ونجح فيها، وعذراً في ذلك، هي أنها غيَّرت مركز المسلم من كونه ممثلاً مقلداً تابعاً، محكوماً عليه مأموراً، إلى كونه صائغاً عاملاً وسابكاً ومغيراً للمصير، ومبشراً لجيل جديد.. فلما كان المسلمون هم القادة للعالم البشري ولرجال البشرية، كان العالم يسير

في طريق سوي، ولما عُزِل المسلمون عن قيادتهم العالمية أصبحت الأمم كالدواب السائمة.

لا لمفهوم المؤامرة!

س: في هذا النظر التاريخي المهم: ما رؤيتكم في المفهوم القائل إن المسلمين تفرض عليهم المؤامرات، وبالتالي يفسر عجزهم الحالي بأنه نتاج ما يحاك لهم من مؤامرات، دون محاولة تفسير الأمر على نحو آخر بأن تفهم الأمة أن الحرية لا تمنح، وإنما يتمّ الحصول عليها ويبذل في سبيلها الجهد؟

ج: الحقيقة أن المسلمين مصابون بمركب النقص، وبنتائج الانسحاب والانهزام، فالآن أصبحوا يرحبون بكونهم يتمتعون بشيء من الحرية، من غير أن يكون لهم تأثير عالمي في سبك الحياة وصياغتها، وفي صياغة المستقبل كذلك.. فالواجب الأول والكبير هو أن يُرفع تفكير المسلمين ومستواهم العقلي من كونهم تلاميذ وأتباعاً وسائبة إلىٰ كونهم قادة.

س: في كيفية وصول هذا المفهوم: المسلمون بين تفكيرين: تفكير ينظر للأمر على أن هناك مؤامرة عالمية ولن يستطيعوا الانفلات منها، يعلّلون بذلك قصورهم في النواحي العلمية كافة، ولكن تفكيراً آخر يرى أن الارتكان للمؤامرة التي تحاك يعطل العمل ويجب على المسلمين أن يحصلوا على حقهم في القيادة والعمل بجهدهم وزادهم؟

ج: أنا أوافق على هذا المفهوم الأخير، ولا أوافق على تفكير المؤامرة.

س: في الهند تبدو ملامح أندلس جديدة إذ غُيرت أسماء بعض المدن الإسلامية، إضافة لمظاهر أخرى معروفة.. ما الصورة التي ترونها في المستقبل للمسلمين في الهند، وربما تكررت هذه الصورة؟ ـ أعني: الاعتداء على المسلمين ـ في مناطق أخرى مثل البوسنة والهرسك والشيشان إلى آخر المآسي المعاصرة.. وهل يمكن لما تحملونه من «رسالة الإنسانية» أن يقاوم ذلك؟

ج: الطريق الوحيد لعودة المسلمين إلى حياة شريفة، وحياة تليق بهم

كخلفاء لرسل، وكمأمورين لإصلاح العالم، عليهم أن يملأوا الفراغ الذي يوجد في البلاد، وهو فراغ القيادة الصحيحة المخلصة الخاشعة لله تعالى والمحترمة للإنسانية، لذلك بدأ بعض إخواننا، وأنا من جملتهم، بحمل رسالة هي رسالة الإنسانية.. وقد قمنا لنملأ هذا الفراغ ونشعر ونبعث في نفوس الناس احترام الإنسانية.. فقد وصلت الآن الاستهانة بالإنسانية حداً كبيراً لدرجة أنهم يحرقون العرائس لأنها لم تأت بالجهاز المطلوب وبقدر من المال في الهند.. وقد جاء في بعض الصحف القومية الوطنية «ديلي»، في كل اثنتي عشرة ساعة تحرق عروس في «دهلي» لأنها ما جاءت بالمال المطلوب، بل جاءت بزاد زهيد وبحلي قليل.. الآن الطريق الوحيد للمسلمين هو أن يقوموا ويملأوا هذا الفراغ، فراغ القيادة، ويبعثوا في الناس احترام الإنسانية بصرف النظر عن الديانات، عن المذاهب الكثيرة، أي: أن يُحترم الإنسان كإنسان، فإذا وجد هذا، فإن المسلمين يتبوأون منصب القيادة، وهم يكسبون الودّ والاحترام.

س: هل يمكن أن يقابل المسلمون مخططاً للإبادة برسالة الإنسانية وهم يواجهون الأندلس الأخرى؟

ج: نعم.. عندهم مخطط لإبادة المسلمين.. ولكن هذا المخطط يقاوم بهذا الطريق.. لأن الإنسان مهما فسد، ومهما تردى، ومهما ابتلي بأمراض خلقية ونفسية، فإنه يقدر الشيء الطيب، ومهما وصل إلى العصبية الطائفية في مقت الإنسان ومقت الديانات، فإنه على كل حال يقدر ويعرف قيمة الإخلاص وقيمة التضحية، من يضحي له يقدره، فإذا وفّق المسلمون بإذن الله تعالى أن يضحوا بمصالحهم الشخصية ومصالحهم الطائفية ويرجحوا مصلحة الإنسانية فوق هذه المصالح، فإن الله تبارك وتعالى ينصر من يحتل المكان الفارغ في نفوس الشعوب.. بالتقدير والإجلال.

س: تبدو رؤيتكم في التغيير أبعد ما تكون عن أي مقاومة للحصول على ما يمكن أن يكون حقاً للمسلمين؟

ج: نعم.. أنا أميل إلى هذا.

الإسلام والتطرف:

س: يتجمع أعداء كثيرون لمحاربة الإسلام والكيد للمسلمين تحت اسم محاربة التطرف.. كيف ترون هذه الصورة؟

ج: التطرّف لا بدّ أن يشرح وأن تكون له حدود، التطرّف مطلقاً لا يُنكر ولا يُمدح، التطرّف: هذا شيء طبيعي، ولكن لا بدّ من أن يكون له حدود، فإذا لم تكن هذه الحدود فلا يمكن الحكم على التطرّف.

التطرّف في أي مجال، في العقيدة أم في المدنية، أم في أي شيء.

س: ربما يتحدّد هنا بعض الجماعات الإسلامية التي تتخذ الطريق المسلّح لإحداث التغيير في المجتمعات؟

ج: هذا يُزهد فيه قدر الإمكان، لأن النسبة العددية ـ مثلاً في الهند ـ بعيدة بين المسلمين وبين الهندوس، فإذا لجأ المسلمون إلى التطرّف ـ حمل السلاح ـ فإن الهندوس ـ الأكثرية ـ سيغلبون.

لا سبيل الآن إلا إلى الإخلاص واحترام الإنسانية، وحب الخير للجميع.

س: في الغرب يلتصق اسم المسلم بالتطرّف.. وتحت دعوى محاربة الأصولية يحارب الإسلام ويضيق على المسلمين.. بمَ تنصحون المسلمين في ذلك؟

ج: هذا من دعاية أوروبا، ومن دعاية أعداء الإسلام، وأنصح المسلمين برسوخ العقيدة الإسلامية والإخلاص لله تبارك وتعالى، وحب الخير للإنسانية.. والغيرة على مستقبل الإنسانية، والغيرة على الشرف الإنساني، هذا هو الذي يفتح الطريق، ويزيل العوائق.. وهكذا كان المسلمون خلال التاريخ.

وحدة الجماعات الإسلامية:

س: تتعدد في هذا العصر الجماعات الإسلامية التي تعمل لهذا الدين.. ما موقفكم من هذه الجماعات، وهل توجد لسماحتكم صلات مع

بعضها يمكن من خلالها أن توجهوها الوجهة الصحيحة؟

ج: نحن نشير عليهم بالطريق الصحيح القويم، ونبدي ملاحظاتنا، وهم يقدّرونها، وليس بين الجماعات الإسلامية في الهند منافسة.

أما في البلاد العربية فقلما يتفق لي أن أُراجع في هذه القضايا وأن أبدي رأيي فيها، وأما في شبه القارة الهندية فصلاتنا طيبة مع الجماعات الإسلامية كلها.. نتعاون مع هذه الجماعات كلها.

س: هل تبدو في رؤيتكم فرصة لتحقيق وحدة أو تنسيق بين هذه الجماعات الإسلامية مما يركّز الجهد ويوفر الطاقة ويصوبها نحو الاتجاه الصحيح؟

ج: نعم.. أرى أملاً في ذلك إذا كان هناك رجال مؤثرون، مخلصون، موثوق بهم، وليس لهم مآرب لا شخصية ولا جماعية كذلك.

س: يطالب بعض الجماعات ولي الأمر بإصلاحات وتغييرات، ويستهجن ذلك ولي الأمر، ويظل هذا سجالاً طويلاً بغير انتهاء، ويقوم بعض المشادات بين الجانبين.. إلى متى تستمر هذه الصورة؟

ج: هذا كله ليس له قاعدة مطردة.. وهذا يرجع إلى العقل السليم، والفطرة السليمة والإخلاص، واستهداف النجاح، وتحقيق هذا المطلوب بأي طريق كان.

س: ما صورة مشاركة الشباب المسلم في النشاط السياسي في الدول الإسلامية؟

ج: يرجع هذا إلى تربية الشباب وإلى إيضاح المنهج لهم في ضوء الكتاب والسنّة، وفي ضوء تاريخ القيادات، وفي ضوء التجارب العصرية كذلك.

يجب أن تكون للمشاركة السياسية للشباب المسلم حدود إسلامية، في نطاق ما يسمح به الإسلام، وما يدعو إليه الإسلام.. يجتهدون ويمارسون السياسة ولكن لا يتخطون الحدود الإسلامية.

س: ما تلك الحدود الإسلامية؟ وما علاقتهم بأولياء الأمور؟

ج: هذه الحدود يمكن أن تُرسم، ويمكن أن تُعيّن من قبل العلماء الدارسين.

الإسلاميون والحكم:

س: يُتهم بعض الإسلاميين الآن بأنهم يحرصون على الحكم.. ويرون أن حرص بعضهم على الحكم يضر بالدعوة الإسلامية.. ما رأيكم؟

ج: شاع عني في ذلك كلمة نقلت كثيراً، وهي أني أفضل المحاولة لوصول الإيمان إلى أصحاب الكراسي على المحاولة لوصول أصحاب الإيمان إلى الكراسي مباشرة، فبدل أن يحاول أصحاب الدعوة الإسلامية أن يصلوا بأنفسهم وأجسادهم إلى كراسي الحكم، يحاولون ويجتهدون أن يصل الإيمان والشعور الإيماني والغيرة الإيمانية إلى أصحاب الكراسي.. وهم يحمون الإسلام، ويتبنون الإسلام وهم يدافعون عنه.. بدل أن يصل أصحاب الدعوة الإسلامية إلى الكراسي ويستولوا عليها.. فبدل الاستيلاء على الحكم يجتهدون في دفع وتأهيل الحكام إلى الانتصار للإسلام وحمايته.

س: وهل يجدي هذا الطريق عبر التاريخ القديم والحديث، أعني عبر التجربة الحية؟

ج: نعم.. لقد أجدى، وهناك مثل رائع مع الشيخ أحمد السرهندي مجدّد الألف الثاني، وقد أدرك عصر السلطان جلال الدين أكبر الإمبراطور الأكبر في الهند وبدوافع سياسية وشخصية جاءت من إيران، كان هذا الإمبراطور ـ ونتيجة مؤامرة ذكية جداً ـ اعتقد أن الحكم المغولي لا يبقى في شبه القارة الهندية إلاّ إذا كان له أنصار من البراهمة، وإلاّ إذا كان متجهاً اتجاهاً محايداً لا يتحيز إلى دين من الأديان، ولا يرجّح ديناً من الأديان، بل ينتصر ويشايع البرهمية سياسياً وثقافياً ودينياً.. وتبنى فكرة وحدة الأديان، وإزالة كل الميزات للمسلمين، حتى إنه منع ذبح البقرة، ويقتل

الإنسان بها إذا ذبحها، وأباح لحم الخنزير، إلى غير ذلك من الأشياء التي شرحتها في كتابي: «رجال الفكر والدعوة في الإسلام»، «الجزء الرابع في الأوردية والثالث في العربية»، الشيخ أحمد السرهندي أقنع الحكام بأنه لا يريد الحكم، وأنه لو عرض عليه الحكم ما قبل، ولو رآه في المنام لفزع.. يريد أن يحكم الحكام المسلمون على رأسهم الإمبراطور، ويراعى الاحترام للشريعة الإسلامية، ويمنح المسلمون حرية عملهم بالأحكام الشرعية وبالحرية الدينية، لم يكن هناك اصطدام أبداً، وكان يسعى ويراسل رجال بلاط الإمبراطور ووزراءه، وكان نتيجة ذلك أنه لم يحدث الاصطدام.

وجاء جاهنجير ابن السلطان جلال الدين أكبر فاحترم الشيخ السرهندي، وأراد أن يرافقه في بعض دوراته السياسية وتأثر ببعض تعليماته.. ثم جاء بعده جانجيهان الذي بنى تاج محل، وكان أحسن منه ديناً، ثم جاء بعده أرمزية بارمجير الذي قال عنه صديقنا الأستاذ علي الطنطاوي ـ أحد كبار الأدباء والمؤرخين ـ يجب أن يعتبر أحد الخلفاء الراشدين.

وهذا كله نتيجة حكمة الشيخ السرهندي الذي تفادى الاصطدام وتجنبه، وصار يبذل نصيحته فقط ويراسل ويتصل بأركان الدولة يحثهم ويثير فيهم الغيرة الإسلامية، فنجح بالتدريج.. ومع أنه كان بالتدريج لكنه نجح نجاحاً كبيراً.

س: هل ترون أن هذه التجربة الثرية للشيخ السرهندي يمكن أن تتم مع الحكام المعاصرين مع أن المناخ الدولي بما يحتويه من ضغوط دولية قد تحمل تأثيراً جديداً في سياق العلاقة بين الحكام والرعية؟

ج: يمكن ذلك، ويمكن أن ينجح المسلمون في هذا.

س: ترتبط عملية التغيير عادةً ببعض الاختلافات بين أصحاب الدعوة الإسلامية، فمنهم من يرى منهجاً معيناً في الدعوة يجعله يتغاضى عن بعض البدع والخرافات في سبيل تحقيق مصلحة أكبر، وآخرون لا يرون ذلك.. كيف تبدو ملامح القضية والحلّ في رؤيتكم؟

ج: أرى أهمية في النهي عن البدع والخرافات وغير ذلك ولكن بحكمة ورفق.

س: يرى بعضهم أن ثمرة الجهاد الأفغاني قد ذهبت في الواقع الحالي.. فما رأيكم؟

ج: وأنا - وإن لم أقلّ ذلك صراحة - أرى ذلك، ولكني متردد في هذا!

دعوى السلام:

س: السلام العالمي يردده كثيرون، خاصة في الآونة الأخيرة.. وفي سياق صلح.. إسرائيل مع الدول العربية تأتي قضية السلام.. هل ترون العدو الإسرائيلي جاداً في دعوى السلام؟

ج: السلام العالمي لا ينكره أحد، ولكن الداعين إليه إذا كانوا مخلصين، وكانوا محايدين غير منحازين إلى فئة وإلى غاية سياسية، فإنهم يكسبون الثقة والاحترام، أما إسرائيل، فهي خطر على العالم الإسلامي كله، إنها مخطط دقيق ورهيب، إنها ديانة ضلالية تؤمن بأن بني إسرائيل هم الذين لهم الحق وحدهم ليحكموا العالم وليتصرفوا في العالم، ويصوغوا العالم صياغة إسرائيلية.. إنهم حرضوا على إفساد أخلاق الشعوب عن طريق الروايات وعن طريق الأدب وعن طريق المسرحيات، وعن طريق الإذاعة ووسائل أخرى.. وهم الآن قد حازوا ثقة أمريكا.. فهناك تعاون بين أمريكا وإسرائيل، فإن هدفهم واحد.

فأمريكا في مكانها وإسرائيل في مكانها إنما يحذران الإسلام فقط لأنه دعوة عالمية وقضية مبدئية خلقية.. فإنهم بعد أن انهارت الشيوعية في روسيا، ما بقي لهم خطر يخافونه ويحسبون له حساباً كبيراً إلاّ الإسلام فقط.

وهذه النقطة التقت عليها إسرائيل وأمريكا.. وعندهم الآن مخطط إبادة المسلمين معنوياً وخلقياً وعقائدياً.. إنهم يخافون الإسلام.

رشدي فكار
(مفكر إسلامي وعالم اجتماع عالمي)

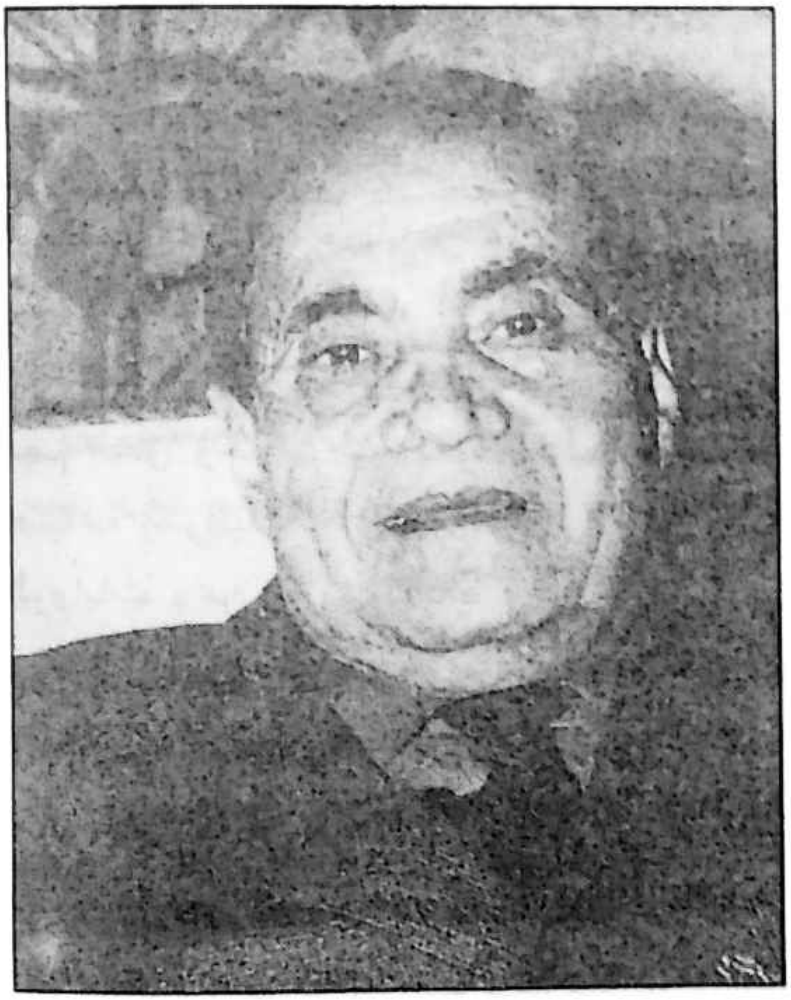

الترجمة:

أستاذ ومفكر اجتماعي عالمي من مصر، حصّل شهادات وخبرات كثيرة، تقلّد وظائف جامعية عديدة، أستاذ زائر في العديد من الجامعات الأوروبية والعربية، عضو في أكثر من (٢٤) جمعية دولية، رشح لجائزة نوبل مع إرجاء التحكيم.

كان تخصُّصه في «العصب» الذي تنطلق منه كل جراثيم الغزو الفكري المعاصر: النظريات الوضعية، كالماركسية والداروينية والتالسبنسرية والكونتيه، وعلاقة علم الإنسان بهذه النظريات بأبعاده الثلاثة: النفسية والاجتماعية والأنثربولوجية.

وله إنتاج غزير يتجاوز المائة والأربعين، بين مؤلفات ودراسات وأبحاث وترجمات وتعليقات بعدة لغات، منها: تأملات إسلامية في قضايا الإنسان والمجتمع، نحو نظرية حوارية إسلامية.. وغيرها. مات رحمه الله سنة ١٤٢١هـ (٢٠٠٠م).

هذا اللقاء:

كنت أتابع له لقاءات كثيرة أشغل بها الصحافة وأجهزة الإعلام المختلفة، مع قدرة حوارية وثقافة ومثابرة عالية، وقد أثرى بأفكاره وطروحاته الساحة الفكرية والثقافية عامة، وركّز في سنواته الأخيرة على الإسلام، الذي رأى فيه صفاء العقيدة وسلامة المنهج، مركّزاً على الحوار.

ولكن هذا الذي بين يدي القارىء لا يعتبر اللقاء الأخير معه، فقد نشر قبل وفاته بثلاث سنوات، ولم أعرف آخر لقاءاته.

وإنما أدرجته ضمن هذا الكتاب لمدرسته الحوارية: نقاشاً ومحادثةً، دعايةً وإعلاماً، عملاً وفكراً.. وليكون إلى جانب الأفكار العديدة المطروحة في الساحة الإسلامية.

وهذا لقاء قصير معه، ينطلق من اهتماماته المذكورة.. تحدَّث عن سقوط الشيوعية، وما رافق ذلك من انتعاش للرأسمالية، ثم موقع الصحوة الإسلامية من هذه التطورات العالمية.

أجرى هذا اللقاء معه في القاهرة محمود خليل، ونشر في مجلة: «المجتمع»، ع١٢٥٢ (١٤١٨/١/٢٧هـ)، ص٣٦ ـ ٣٧.

ومما قاله المحاور في تقديمه:

المفكر الإسلامي الكبير الدكتور رشدي فكار.. واحد من العقول الفاعلة على ساحة الفكر والحوار العالمي المعاصر.. له أطروحاته الأكاديمية الرصينة.. ومداخلاته الواعية.. في أكثر من منتدى.. وأكثر من جامعة أوروبية وعربية.

ينادي دائماً «بالحوار»، خاصة في عصر تشابك المصالح والقوى.. وتداخل الأهداف والخرائط.. ويحملنا بقناعاته وعقلانيته العالية.. إلى أن نردّد معه: «الحوار أو خراب الديار».

التقينا به وكانت لنا معه هذه المداخلة التي توصلنا من خلالها إلى أن أزمتنا هي أزمة «نخبة» وليست بأزمة «أمة»، وأزمة «جيل» وليست بأزمة «مصير».

نصّ الحوار

س: «أصول الماركسية» أحد الأضلاع الأساسية لتخصصكم العلمي.. فبماذا تفسرون هذا السقوط المروع للنظرية الماركسية، فكراً وتطبيقاً وبهذه الصورة المفاجئة.. وهل هو انتصار للرأسمالية الغربية؟

ج: لا يمكن تفسير الانهيار أو التلاشي للمنظومة الماركسية على أنه انتصار لليبرالية الرأسمالية الغربية، وأحب أن أقول: إن هذه القضية كانت تشغلني جداً منذ السبعينيات، فقد كنت ممن طرحوا في بداية السبعينات أن الاتحاد السوفييتي إن لم يعد النظر في سلوكياته وتوجهاته الفكرية، فسوف تؤول الأمور إلى ارتداد.. ولي في هذا الصدد دراسة تحمل نفس المسمى «الارتداد الماركسي» إلى جانب «الماركسية والدين» و«أصول الماركسية» وطرحت في هذه الثلاثية ـ وقبل جورباتشيف بربع قرن ـ قضية الماركسية، وأنها وقعت في قداسة ما كان يجب لها أن تضع نفسها فيها، فهي مذهب بشري.. بل وأصبح كل من يقترب منها يحكم عليه بالارتداد، وقد رأينا «كاوتسكي» مع «لينين» ورأينا «لوكاتشو».. ورأينا أن كل من يحاول أن يبدي حتى مجرد وجهة نظر في النظرية، فإنه يحكم عليه بأنه مرتد.. وهذا هو الذي دفع كاوتسكي إلى أن يقول: إن دكتاتورية البروليتاريا قد أصبحت دكتاتورية عليهم بدلاً من أن تكون لهم.

هذه القداسة أضعفت قدرة الخلق والتجديد وإعادة الصياغة للمذهب الماركسي اللينيني، فضلاً عن مجيء هذا المذهب سجيناً لفلسفة التاريخ.. بمعنى أنه قد حكم على ماضي البشرية ومستقبلها برمته من خلال منظور ضيق خلال المسيرة القصيرة لأواخر القرن التاسع عشر، ولنا أن نعلم أن عملية المصادرات التاريخية هذه.. ورؤية البشرية حسب هذا المنظار المعتم.. جعلت الماركسية ينقصها التكيف والتمثل والمواءمة مع مستجدات وديناميات المجتمعات البشرية..

ثالثاً: كذلك غيبة البناء السيكولوجي للنظرية الماركسية اللينينية.. بمعنى أن ماركس في تحاليله ـ وأنا متخصص في أصول الماركسية ـ وقف بالإنسان عند أوضاعه الاقتصادية والإنتاجية وإشباعاته، بمعنى أنه جعل منه «بطناً» فقط.. وكل الأمور تدور حولها، وكل ما هنالك هو الخروج بهذه «البطن وما حولها» من مستوى الكفاف.. ثم تركت الإنسان وهو يسأل: وماذا بعد هذا؟

هذه الأمور الثلاثة جعلت النظرية غير قادرة على المواكبة والسير بالمجتمع، وبخاصة حينما أصبحت في يد فئة هي صاحبة «الكارتة» أي: صاحبة كارت «الحزب».. انتهت هذه الأمور إلى مرحلة من التقنع والغموض و«الجلاسنوست» أو المكاشفة.. أن يحدث ما حدث، وكل هذا كان شيئاً منتظراً.....[1] في مؤلفاتي في بداية الستينيات.

س: وأين كانت هذه الكتابات.. من الجلسات الشيوعية الشهيرة بنقد الذات؟

ج: نقدنا آنذاك وبدأت المهاجمة الضارية.. ونظر إلينا نظرة الارتياب، وتمّ تصنيفنا على أننا من أعداء الثورة.. وأننا من أبناء الثورة المضادة.

س: نكرر السؤال.. هل ما حدث قد أتاح الفرصة لانتعاش النظرة الرأسمالية الليبرالية.. وسيادة اقتصاديات السوق؟

ج: أنا لا أعتقد أن ما حدث يعتبر انتصاراً بحال من الأحوال للنظرية الرأسمالية الليبرالية.. فهي بدورها تعاني.. ولا جدال في هذا.. ولكنها معاناة تحتوي بصورة أو أخرى.. وإنها تلجأ إلى المعالجات السريعة من خلال النقد الذاتي.. ولديها مدارس كبيرة.. وبالتالي فإنها تستطيع إلى حدّ ما التعايش.. يكفي مثلاً في أواخر القرن التاسع عشر استطاعت وهي نظرية رأسمالية أن تتحول إلى الإمبريالية.. أي أنها تجاوزت الأزمة بالانقضاض واليهمنة الكونية.

وأنا لا أعتقد أن المسألة بهذه البساطة.. ولكن مع كل الأحوال، فإن الرأسمالية الغربية حاولت على أنقاض الاتحاد السوفييتي أن تعطي نوعاً من

---

(١) بضع كلمات مطموسة في الأصل، هنا وقبله بكلمات.

المشروعية لسلوكياتها.. على أنها ليست بالسلوكيات المندحرة أو المنحدرة.

والمثال الواضح على ذلك هو الولايات المتحدة التي يلعب العامل الاقتصادي فيها دوراً رئيسياً في الانتخابات ومحاولة إعادة صياغة المجتمع الأمريكي اقتصادياً، بدلاً من الإشعاعات الخارجية والتداخل مع الآخرين، أما عن مسألة اقتصاديات السوق.. فهي «لعبة الأذكياء» التي علينا أن نجيدها وبسرعة وإلاّ.....!!!

س: هذا الانقضاض الذي تمارسه الرأسمالية العالمية، هل يعتبر تفريغاً لمشكلات داخلية يتمّ حلّها على حساب الآخرين؟

ج: النظام الرأسمالي.. تقوم فلسفته على حرية الربح وحرية المبادرة، وحركية واقتصاد السوق، والعرض والطلب، وعدم تدخل الدولة في قطاعات المجتمع، ومحاولة تجاوز الحماية الجمركية، أي: أنه نسق قائم على المنافسة والمبادرة، وغايته الربح والمردودية.. ولا بدّ أن نكون موضوعيين حين نعلم أن هذا النسق قائم على «النفعية».. وعدم التركيز كثيراً على المشكلات الجانبية.. ولعلّنا نلاحظ الآن المعدلات المخيفة للبطالة.. وعدم التركيز على سوق التشغيل.. لأن سوق التشغيل ليست بالضرورة أن تكون ذات ربحية فورية.. وإنما هي نوع من التعادل والتكافل الاجتماعي.. وهذا لا يهم اقتصاديات السوق في شيء، ومهما تمّ التسويق لها عالمياً، فهي منتقدة من داخلها بشدة.. أكثر حتى من انتقادها من خارجها.

س: هناك عدد من المنظومات والأنساق السياسية والاقتصادية يسوّق لها الآن في المنطقة العربية والإسلامية.. ما مدى ملاءمة هذه الأنساق لواقع ومستقبل المنطقة؟

ج: آن الأوان أن نعرف كيف نأخذ.. وإذا كان غيرنا يضع مخططاته ومقرراته ليستحوذ على الآخرين بأنواع معينة من تكتيكية العلاقات.. فأنت بدورك لا بدّ أن لديك الشيء نفسه، وهذا هو الذي يجعلني في مناسبات متعددة، أدعو إلى تأسيس مراكز بحث علمي لهذه القضايا التي نحاول

دائماً أن نحلّها بالجمل المفيدة، ونحلّها بالمبتدأ والخبر.

هذه قضايا تحتاج إلى بحث واستيعاب وتوثيق وإحاطة كاملة، ثم تحديد العوامل المؤثرة في ديناميكيتها وآليات التغيير فيها، وآليات المآل لها، ثم نستنتج.. بل ونستنتج بحذر.. ما بين استنتاجات راجحة ومرجوحة وفورية ومفاجئة.

ونحن الآن في أشدّ الحاجة إلى الاعتزاز بما لدينا من أصالة وانتماء وإمكانات يمكن أن تؤثر على المستوى العالمي.. خاصة «القدرات الطاقوية» كالبترول ومشتقاته، ولدينا مواقع تحكمية من النواحي الجغرافية، ولدينا مجتمعات فنية شابة.. يتجاوز نسبة الشباب فيها ٥٠٪ وهي مجتمعات الطموح والتطلع..

ونحن ننادي بالإنماء العقلي الذي نستطيع به أن نتواجه مع الآخر إذا أراد المواجهة، وأن نتحاور معه إذا أراد الحوار.. وأن نتنافس معه إذا أراد المنافسة.. وأنا متفائل جداً في هذا الجانب، لأن لدينا من الطاقات الذهنية ما يمكن معه أن نقول: إن لنا أرضية مطمئنة في المستقبل.. فقط لا نتسرع، ولا نقفز فوق الحواجز فنقع بين الحواجز.

أبجدية هادئة:

س: باعتباركم أحد المراقبين والمحللين والمشاركين في مسيرة الصحوة الإسلامية.. كيف تنظرون إلى هذه المرحلة غير المتكافئة من عمل الصحوة فيما يتعلق بالقطيعة الحوارية من قبل الحكومات.. وكيف تنظرون إلى مستقبل هذه العلاقة بين الصحوة والسلطة؟

ج: هناك شقان لهذا السؤال؛ **أحدهما**: ربما يستطيع السياسي القريب من السلطات أن يجيب بشيء من الصدق عليه، باعتباره ممارساً للسياسة والمواجهة، ولكن الشق **الثاني**: فباعتباري مفكراً مسلماً معتزاً بانتمائي وإسلامي، فإنني أقول بكل موضوعية، إننا الآن في أمسّ الحاجة إلى قراءة الأبجدية الإسلامية، قراءة هادئة ومتبصرة ومتزنة ومرحلية.

معنى ذلك أنه من الخطأ الفادح ـ اللّهم إلاّ لدى جهول أو جاحد ـ أن يتصور أن أبجدية الإسلام ستكون مستبعدة، اليوم أو غداً.

ولكن كيف تقرأ؟ هل تقرأ من الياء إلى الألف؟ وهل غاب عنّا أن لها ترتيباً لا تصحّ إلاّ به، وهذا هو ما جعلني أصرّ في نظريتي الحوارية الإسلامية على أن نأتي البيوت من أبوابها، لا داعي أن نأتيها من خلفها.

س: بمعنى؟!!

ج: بمعنى أن نعطي أولوية للأولويات.. فلدينا الآن ما يمكن أن نسميه الأساس الأول والثاني في ردّ الاعتبار لأمة الإسلام، وهو «التأصيل» و«الهيكلة».. تأصيل ماذا؟ وهيكلة ماذا؟ التأصيل ينصب على استعادة الركيزة الرابعة لديار الإسلام، التي لم تفتقدها إلا في العصور الأخيرة في العصر الحديث، فلدينا ركائز ثلاثة، لم يستطع الاستنزاف والتخريب والفتن والدسائس والتاريخ أن تنال منها.. وهي:

١ ـ ركيزة العقيدة.. فهي عقيدة متكاملة صحيحة، وبالتالي لدينا فرصة تآلف القلوب تحت هذه الراية.

٢ ـ والركيزة الثانية هي الأرض الممتدة من «طنجة» إلى «بحر الصين» والتي يعيش فوقها ما يتجاوز المليار ونصف المليار حسب الإحصاءات الإسلامية.

٣ ـ والركيزة الثالثة هي التاريخ المشترك.. فحتى وقتنا هذا ما زلنا نعيش في تاريخ مشترك من عهد النبوة إلى الخلافة الراشدة إلى الدول الإسلامية المتعاقبة من الأموية والعباسية إلى العثمانية.. إلخ.

كل هذه المسيرة التاريخية، تجمع ديار الإسلام إلى جانب العقيدة والأرض على أرضية مشتركة تقلّل إلى حدّ كبير جداً مساحات الخلاف، وكل الكيانات الكبرى الآن ليس لها هذه الركائز، وإنما لديها افتعال الركائز.

٤ ـ الركيزة الرابعة: هي لغة القرآن.. وهي التي يُضارب عليها الآن.. ونحن الآن في أمسّ الحاجة إلى أن نبحث عما يجمُعنا.. لا ما يفرقنا.

بدلاً من الافتعالات الموجودة الآن على الساحة ـ إذا صلحت النوايا ـ أن نعمل على أن تعود «لغة القرآن» مرة أخرى إلى ما كانت عليه، لا نطلب أن تعود بدلاً من الإنجليزية أو الفرنسية، حتى لا نتهم بالتحيز الضيق، مثلاً!! ولكننا نقول: مرحباً باللغة العربية لغة ثانية أو ثالثة.. إلى جانب اللغات الوطنية.. حتى تستطيع أجيال قادمة بعد ذلك أن تجعل منها لغة أولى.. أن يؤذن لها بدخول الباب.. ولا نطالب في البداية بالفرضية أو التربع.. وأتمنى أن يحدث هذا قبل دخولي إلى قبري، أن يعقد مؤتمر قمة إسلامي ويأخذ هذا القرار لتنفيذه.. وهو القرار الذي سيكون أعظم رصيد يقدم للأجيال القادمة بدلاً من كل هذه المهاترات.

محمد بن صالح العثيمين
(الفقيه المجتهد الغيور)

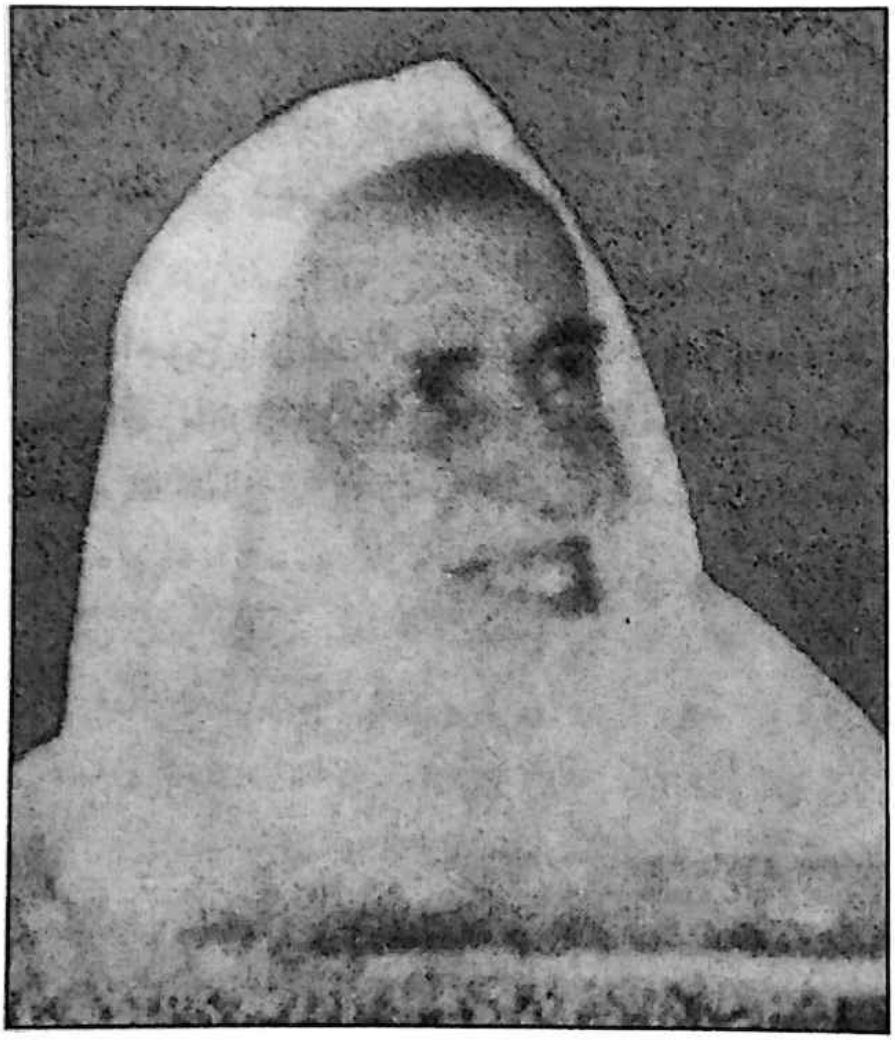

الترجمة:

عالم حنبلي سلفي جليل، نابغة في شرح المتون واستنباط الفوائد والأحكام، من مدينة عنيزة بالقصيم، تتلمذ على الشيخ عبدالعزيز بن باز ولازم عبدالرحمٰن بن سعدي وتأثر به، وتولّى إمامة الجامع الكبير بعد وفاته، درّس في جامعة الإمام، وكان عضواً في هيئة كبار العلماء، أبرز نشاطاً في الدعوة، وإلقاء الدروس، والإجابة عن الأسئلة، وإصدار الفتاوى، عُرف بالورع والزهد في الدنيا والنصح للمسلمين، فحظي بحب الناس واحترامهم،

وله تلامذة محبون، له أكثر من (٢٠٠) رسالة وكتاب، معظمها من جمع تلامذته وناشرين، منها: أصول التفسير، الأصول من علم الأصول، الإلمام ببعض آيات الأحكام، تفسير أجزاء من القرآن الكريم، شرح رياض الصالحين.

مات يوم الأربعاء (١٥) شوال ١٤٢١هـ.

هذا اللقاء:

أجري هذا اللقاء مع الشيخ قُبيل شهر رمضان المبارك، وكان يتعالج من مرض عضال، بيَّن فيه رأيه في «الفتاوى الفضائية»، وركّز على دور الإعلام في توجيه الأمة وخطورته في التأثير على الأمم، ودعا وسائل الإعلام إلى مراقبة الله سبحانه وتعالى في كل ما ينشرونه، وعن واجب المسلمين في شهر رمضان، ومنزلة الزكاة من الدين، وتكرير العمرة في هذا الشهر..

أجرى اللقاء الأستاذ متعب المالكي، ونشر في مجلة: «اليمامة» بالرياض، ع١٦٣٣ (١٤٢٥/٨/٢٩هـ)، قبل وفاته بشهر ونصف الشهر، رحمه الله تعالى.

❁ ❁ ❁

نصّ الحوار

س: فضيلة الشيخ، بمناسبة قرب دخول شهر رمضان المبارك نأمل منكم بيان شعور المسلمين بهذا، وماذا ينبغي أن يشغلوا هذا الشهر المبارك من الأعمال؟

ج: الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

فإنني أنتهز هذه الفرصة في المقابلة مع مجلة اليمامة لأوجه نصيحة لجميع الصحف والمجلات وجميع وسائل الإعلام أن يتقوا الله تبارك وتعالى في توجيه الأمة إلى ما فيه الخير والصلاح، ولا يخفى ما لوسائل الإعلام من التأثير على الأمم، حتى إن بعض البلاد تُقلب فيها الحقائق بواسطة وسائل الإعلام وتنطلي على كثير من الناس، لا يميزون بين الحق والباطل والصدق والكذب، ولذلك أنصح أصحاب وسائل الإعلام بنصيحة أرجو الله عزَّ وجلّ أن ينفعني وإيّاهم بها، فليعلموا أنهم لن يقولوا كلمة إلاّ حوسبوا عليها، ولن يكتبوا حرفاً إلاّ حوسبوا عليه، قال الله عزَّ وجل: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾.. وقال عزَّ وجل: ﴿فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾.

فليعلموا هذه الحقائق وليستعدوا للجواب عنها إذا وقفوا بين يدي الله وليعلموا أن مدى الدنيا قصير، وأنهم يوشكون أن يرتحلوا عن الدنيا بين لحظة وأخرى فكم، من إنسان مات وهو يقود سيارته، وكم من إنسان مات وهو يحرر كلمة، وكم من إنسان مات وهو على فراشه نائماً، إلى غير ذلك من الأمور الظاهرة التي تدلّ على أن الآخرة قريبة من الدنيا، فليحذر أصحاب وسائل الإعلام من محاسبة الله تعالى لهم يوم القيامة، وليعلموا

أنهم ما أضلوا قوماً إلاّ كان عليهم نصيب من إضلالهم، كما أن من وسائل الإعلام والحمد لله ما هو خير وموجه توجيهاً سليماً طيباً تنتفع به الأمة في دينها ودنياها، وهؤلاء لهم أجر الفاعل، أي: فاعل الخير الذي اهتدى على أيديهم فإن من دلَّ على الخير فله مثل أجر فاعله.

ثم إن على وسائل الإعلام أن تتجنب نشر الصور الفاتنة من نساء أو مردان، لأن ذلك يوجب الفتنة ويوقع في الفحشاء ويهون على الناظر مثل هذه الوسيلة الداعية إلى الفحشاء والمنكر. أسأل الله تعالى أن ينفع بهذه الكلمة، وأن يهدي أصحاب وسائل الإعلام لما فيه خير الأمة في معاشها ومعادها، في دينها ودنياها، إنه على كل شيء قدير.

أما الجواب على ألسؤال؛ فأقول: شعور المسلمين بهذا الشهر المبارك أعني شهر رمضان شعور طيب، كل إنسان مسلم يتلقاه بالفرح والسرور، لما جعل الله تعالى فيه من الخير والبركات، فقد قال النبيّ ﷺ: «**من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر الله له ما تقدم من ذنبه**»، وقال: «**من قام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدَّم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر الله له ما تقدم من ذنبه**» وفي هذا الشهر المبارك نزل القرآن الكريم على محمد ﷺ، هذا القرآن الذي فيه سعادة الأمة ورقيها وظهورها على جميع الأمم، كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾، وهذا يعني أن من تمسك به غلب على غيره، والواقع شاهد بذلك، كما كانت الأمة الإسلامية في أول عهدها هي الغالبة وهي المنصورة، ولا يزال في هذه الأمة طائفة على الحق منصورة لا يضرها من خالفها إلى أن تقوم الساعة.

يستقبل المسلمون هذا الشهر المبارك بالفرح والسرور لما فيه من نشاط على العبادة، فإن الإنسان يأتيه من نفسه نشاط في هذا الشهر، أعني: شهر رمضان، أكثر من غيره، فتجد كثيراً من المسلمين يتلون كتاب الله آناء الليل والنهار ويتصدّقون ويذكرون الله، ويحصل لهم من الخير والبركة ما لم يكن في غيره.

أما أولئك القوم الآخرون الذين يستقبلون هذا الشهر بالفرح غير الديني وبالمرح، وبالإسراف في الإنفاق، وفي إضاعة الأوقات في غير فائدة،

فهؤلاء قد خسروا أنفسهم وأموالهم وأزمانهم، فنصيحتي لهم أن يعدلوا سلوكهم، وأن يستقبلوا هذا الشهر استقبال السلف الصالح من النشاط على العمل الصالح، فلعلّ الإنسان لا يدركه بعد عامه.

أذان بلال:

س: هل يجوز للصائم أن يأكل ويشرب بعد سماع أذان الفجر؟

ج: إذا كان المؤذن يؤذن بعد أن يتبيّن الفجر وجب الإمساك عند الأذان، ولا يجوز أن يأكل أو يشرب؛ لقول النبيّ ﷺ: **«إن بلالاً** - وهو أحد المؤذنين - **يؤذن بليل، فكلوا واشربوا حتى تسمعوا أذان ابن أم مكتوم، فإنه لا يؤذن حتى يطلع الفجر»**.. وقد بيّن النبيّ عليه الصلاة والسلام الحكمة في أذان بلال قبل الفجر فقال: **«ليوقظ نائمكم ويرجع قائمكم»**. أما إذا كان المؤذن لا يؤذن إلاّ ظناً وتخميناً فإنه لا يجب الإمساك، ولكن نصيحتي لإخواني أن يمسكوا ولو لم يكن ذلك واجباً عليهم، لأن الاحتياط للعبادة أولى وأحسن.

س: لو سمع أذان المغرب ثم أفطر وتبيّن بعد ذلك أن الأذان كان لبلد سابق على بلده فهل يلزمه قضاء ذلك اليوم؟

ج: خلاصة هذا السؤال أنه أفطر ظناً منه أن الليل قد دخل لسماع أذان من الراديو في بلد يسبق بلده في غروب الشمس أو لغير ذلك من الأسباب، المهم أنه أفطر ظناً منه أن الشمس قد غربت ثم تبيّن أنها لم تغرب فلا قضاء عليه، لكن متى تبيّن له أن الشمس لم تغرب وجب عليه الإمساك. هذا هو القول الراجح في هذه المسألة، ودليله ما ثبت في صحيح البخاري عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: أفطرنا في يوم غيم على عهد النبيّ ﷺ ثم طلعت الشمس ولم يأمرهم النبيّ عليه الصلاة والسلام بالقضاء. ولو كان القضاء واجباً لأمرهم به؛ لأنه من دين الله الذي يجب على النبيّ عليه الصلاة والسلام إبلاغه، ولو أمرهم به لنقل؛ لأنه دين، والدين محفوظ كما قال الله عزَّ وجلّ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾.. وقال بعض أهل العلم: إنه يجب عليه القضاء لأنه تبيّن أنه

أكل في النهار، لكن هذا القول مرجوح، لأن حديث أسماء بنت أبي بكر نص في الموضوع، ولأن الذي أفطر يظن غروب الشمس ثم تبيّن له أنها لم تغرب داخل ضمن قول الله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ فقال الله تعالى: قد فعلت.

شجاع أقرع:

س: ما منزلة الزكاة من الدين الإسلامي، وما الواجب على المسلم تجاه إخراج الزكاة؟

ج: منزلة الزكاة من الدين الإسلامي منزلة عظيمة، فهي الركن الثالث من أركان الإسلام، وهي قرينة الصلاة في كتاب الله عزَّ وجلّ في مواضع كثيرة، حتى إن بعض أهل العلم قال: إن من منعها تهاوناً وبخلاً فهو كافر كمن ترك الصلاة، ولكن القول الراجح أنه لا يكفر، إنما هو على خطر عظيم أن يمنع الزكاة، وقد وردت النصوص في الكتاب والسنّة بالوعيد الشديد على مانع الزكاة، أي: الذين يبخلون بها، كما في قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾﴾.

وجاء الحديث في تفسير هذه الآية أن: **من آتاه الله مالاً فلم يؤدّ الزكاة يمثل له يوم القيامة شجاعاً أقرع**، قال العلماء: الشجاع: الحية العظيمة، والأقرع: الذي ليس في رأسه زغب، وذلك لأنه تمزق من كثرة السم، له زبيبتان، أي: غدتان مملوءتان بالسم.. يأخذ بلهزمتيه، يعني: هذا الشجاع يأخذ بلهزمتي مانع الزكاة، أي: شدقيه، فيعضهما ويقول: أنا مالك، أنا كنزك.

قال عزَّ وجلّ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

وجاء الحديث في هذا: «**ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها زكاتها إلاّ إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار، وأحمي عليها في نار جهنم، فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره، كلما بردت أعيدت، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يُقضى بين العباد، ثم يرى سبيله: إما إلى الجنة وإما إلى النار**»، ثم إن كثيراً من العلماء يقول: إذا امتنع الإنسان عن الزكاة بخلاً وتكاسلاً ومات فإنه لا ينفعه أن يؤدي ورثته زكاته من تركته، لأنه هو بنفسه لم يتعبد الله بها، فلا ينفع أن يتعبد بذلك غيره، لكن هل يلزم الورثة أن يخرجوا الزكاة من المال أو لا يلزمهم، لأنه لا ينفع الميت شيء؟! الذي نرى أنه يلزمهم إخراج الزكاة، لأن الزكاة حق لمستحقيها فلا بدّ أن يؤدّى إليهم، لكنها لا تبرأ بذلك ذمة الميت ولا ينتفي عنه العذاب إلاّ أن يشاء الله.

والواجب على المسلم تجاه إخراج الزكاة أن يحاسب نفسه محاسبة دقيقة، لأن أهل الزكاة شركاء له في ماله، فيسأل أولاً عن الأموال التي تجب فيها الزكاة من ديون أو أعيان.

ثانياً: ما مقدار الواجب في الزكاة، لأن ذلك يختلف، ففي الذهب والفضة وعروض التجارة ربع العشر، أي: في أربعين ألفاً ألف ريال، وفي الحبوب والثمار نصف العشر مما يسقى بمؤنة، والعشر كاملاً مما يسقى بلا مؤنة.. وفي المواشي تختلف، ثم الواجب على المسلم إذا أدّى الزكاة أن يضعها في أهلها، إذاً المسألة ليست اختيارية، بل الواجب أن يسأل من المستحقون، وما شروط الاستحقاق، وما الموانع لإعطاء الفقير من الزكاة، وما أشبه ذلك، وعليه ألا يحابي أحداً في هذا، بل يعطي المستحق أيّاً كان، لكن لو اجتمع شخصان كلاهما مستحق لكن أحدهما قريب والثاني قريب القريب، فالقريب أولى، لأن الصدقة على القريب صدقة وصلة.

س: فضيلة الشيخ.. في الآونة الأخيرة كثر ذهاب الناس في رمضان لأداء العمرة، فما مدى مشروعيتها في هذا الشهر المبارك؟

ج: قال النبيّ ﷺ: «**عمرة في رمضان تعدل حجة**» هذا أعلى ما سمعت في هذه المسألة، ولكن ليس من السنّة أن يكرر الإنسان العمرة، إذا

اعتمر العمرة الأولى، فإن ذلك لم يكن معهوداً في عهد الرسول ﷺ ولا في عهد الصحابة رضي الله عنهم، وما يفعله بعض الناس الآن من كونهم يعتمرون أول ما يعتمرون، ثم يعتمرون في اليوم الثاني أو الثالث أو الرابع فيكررون العمرة عدة مرات في سفر واحد فهذا لا أصل له، وعمل السلف الصالح رضي الله عنهم يقيد النصوص العامة.. يعني: لو أن أحداً قال: إن النبيّ قال: «**عمرة في رمضان تعدل حجة**» ولم يقيد بالعمرة الأولى، قلنا: نعم، هو قال هذا لا شكّ، لكن عمل السلف الصالح يدلّ على أنها العمرة الأولى فقط وأنها لا تكرر، والسلف الصالح أعلم منا بمراد النبيّ ﷺ وأحرص منّا على الخير، ومع ذلك لا يكررون العمرة في رمضان، وها هو النبيّ ﷺ أحرص الناس على الخير، وهو المبلّغ عن الله عزَّ وجلّ، وهو المبيّن لشريعة الله، فتح مكة في رمضان في العشرين من رمضان أو الثامن عشر، المهم أن بقي ثلث الشهر في مكة ولم يأت بعمرة، فدلّ هذا على أن العمرة من مكة لا أصل لها.

ولا يردّ على هذا قصة عائشة رضي الله عنها حيث أذن لها النبيّ ﷺ أن تخرج من مكة إلى التنعيم لتأتي بعمرة لأن قضية عائشة قضية خاصة، بمعنى أنه إن وجدت القضية على نحو ما جاء عن عائشة، قلنا: لا بأس، وإلاَّ فلا.. كيف هي قضية خاصة؟! عائشة رضي الله عنها حجّت مع النبيّ عليه الصلاة والسلام هي ونساؤه، وفي أثناء الطريق حاضت، فدخل عليها النبيّ ﷺ وهي تبكي فقال: «**ما لك لعلك نفست**»، قالت: نعم، فقال لها النبيّ عليه الصلاة والسلام: «**أحرمي بالحج**»، يعني: أدخلي الحج على العمرة، ففعلت وصارت بذلك قارنة بعدما كانت متمتعة، والقارنة لا تأتي بعمرة، القارنة فعلها كفعل المفردة تماماً.. انتهى الحج فألحت على النبيّ ﷺ، وقالت: يرجع الناس بعمرة وحجة وأرجع بحج، فلما رآها قد ألحت أذن لها أن تخرج إلى التنعيم، وقال لأخيها عبدالرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما: «**اخرج بأختك إلى التنعيم فلتأتي بعمرة**» ولم يرشد النبيّ ﷺ عبدالرحمٰن بن أبي بكر إلى أن يأت بعمرة، وعبدالرحمٰن لم يأت بعمرة، لعلمهم بأن هذا ليس بمشروع، فإن وجدت حالة كحالة أم المؤمنين

عائشة رضي الله عنها، قلنا: لا بأس، أما إذا قلنا: إن هذا مشروع على كل حال ونستدل بحديث عائشة، فليس بصواب، لأن الدليل أخصّ من المدلول، ولا يمكن أن يكون الدليل الأخص دالاً على ما هو أعمّ، وهذه مسألة يجب على طلبة العلم أن ينتبهوا لها، وهم إذا بيّنوا الحق للناس بان الحق واتضح وسلكنا طريق السابقين والسلف الصالح.. ثم استرحنا من شيء آخر وهو كثرة المعتمرين الذين يترددون على التنعيم ويأتون بعمرة فيضيقون على من أتوا بعمرة جديدة من بلادهم، فيضيق هؤلاء الذين يفعلون ما لم يكن مشروعاً على أولئك القوم الذين يفعلون مشروعاً.. فليتنبه إخواني طلبة العلم لهذه المسألة.

مضيعة الأمانة:

س: نرى بعض الناس يذهب للعمرة ويدع أهله من زوجات وبنات وبنين فيضيعون في هذا الشهر إلاّ من شاء الله، فما نصيحتكم لهؤلاء؟

ج: نصيحتي لهؤلاء أن يتقوا الله عزَّ وجلّ وألاَّ يضيعوا الأمانة التي أمنّهم الله إيّاها وأن يعلموا أنهم آثمون بتركهم أهليهم يضيعون، بتقصير في الواجب أو انتهاك للمحرم، وليعلم هؤلاء أنهم ليسوا مسؤولين عن أنفسهم فحسب، بل هم مسؤولون عن أنفسهم وأهليهم، قال الله عزَّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۝٦﴾، وقال النبيّ عليه الصلاة والسلام: «**الرجل راعٍ في أهله ومسؤول عن رعيته**» وهذا الذي يقع من بعض الناس يقع عن جهل وعدم بصيرة، لأنهم في الواقع يفعلون شيئاً مستحباً ويتركون شيئاً واجباً، وهذا خلاف المعقول وخلاف الشرع.. فلا يحلّ لهم أن يسافروا ويدعوا أهلهم لا يقومون على واجب رعايتهم، بل الواجب أن يبقوا عند أهليهم ولا يهملوهم، لأن هذه المسؤولية عظيمة وكبيرة، فلا بدّ أن يعتني بها الإنسان.

ثم إنه من الممكن أن يذهب إلى العمرة لمدة يوم واحد في الطائرة، أو في السيارة لمدة يومين أو ثلاثة، ثم يرجع، أما أن يبقى كل الشهر أو أكثره في

مكة ويهمل أولاده من بنين وبنات، ويهمل أهله من زوجات وغيرهن، فهذا لا يحلّ ولا يجوز، أقول هذا لا عن فراغ بل عن بصيرة، فإن رعاية الأهل والأولاد واجبة، والعمرة سنّة، ثم إنه ليس هناك حاجة في أن يبقى الإنسان الشهر أو أكثره في مكة..

ثم إن بعض الناس يذهب إلى العمرة بأهله ويهملهم فيعيث بعضهم، أي: بعض أهله، فساداً في هذه الأرض المباركة، وفي هذا الشهر المبارك والليلة المباركة.

ثم إن بعض الناس ينفق في ذلك نفقات باهظة لو صرفها أو بعضها في أمور أخرى نافعة لكان خيراً له، وربما يثقل كاهله بالدين والاقتراض من غيره ليقوم بهذا العمل، فالواجب النظر في الأمور في مبادئها وغاياتها ليكون على بصيرة فيما يفعل وفيما يترك، نسأل الله أن يرزقنا البصيرة في دينه والحكمة في اتّباعه، إنه على كل شيء قدير.

س: فضيلة الشيخ.. المستجدات العلمية والطبية كيف يمكن الحكم عليها وما رأي الدين فيها؟

ج: **أولاً**: أنصح هذا السائل في أن لا يعبر في السؤال بهذا اللفظ: (ما رأي الدين؟) لأن كل إنسان منا يخطىء ويصيب، فليس ما يقوله العالم هو الدين.. فقد يكون هو الدين وقد يكون خلاف الدين، لكن العالم إذا اجتهد وتحرّى الحق وبذل ما يستطيع من معرفة الأحكام الشرعية بأدلتها فهو معذور، ولهذا أقول: ينبغي لمن صاغ هذا السؤال أن يقول: ما رأي الدين في نظركم، حتى لا يزلّ العالم فتنسب زلته إلى دين الله عزَّ وجلّ، أما المستجدات العلمية والطبية فالدين والحمد لله واسع، تعرض هذه المستجدات على الشريعة الإسلامية، ثم لا تخلو من ثلاث أحوال: إما أن تخالفها فتلغى ولا يلتفت إليها، وإما أن توافقها فتكون الشريعة شاهدة لها بالصحة، وإما أن نبقى شاكين فنرجع إلى الأصل، والأصل في الأشياء: الإباحة والحلّ إلاّ العبادات، فالأصل فيها: المنع حتى يقوم دليل على مشروعيتها.

من المفتي:

س: ما هو رأي فضيلتكم فيما يذاع من فتاوى فضائية؟

ج: الذي يذاع من فتاوى فضائية كغيره مما يذاع وينشر، إن كان صواباً فهو خير ونافع ونفعه عام، وإن كان مبنياً على باطل أو تخرصات أو مجرد آراء فإنه لا يجوز اعتباره، ولا العمل به، ويجب التحذير منه.. لكن لا يعين من تكلّم به إلاّ إذا دعت الضرورة أو الحاجة لذكر اسمه، فلا بدّ من ذكر اسمه، وذلك مثل أن نعرف أن هذا المفتي كثير الأخطاء، فنحتاج إلى ذكر اسمه لئلا يغترَّ الناس بما يفتي به في المستقبل، فإن كثيراً من الناس أعطاه الله تعالى بياناً وفصاحة وقدرة على الإقناع، والواجب الرجوع إلى الحق أينما كان، وأما ما يوحي به بعضهم إلى بعض من زخرف القول غروراً فلا يجوز الاغترار به.

نسأل الله للجميع الهداية والتوفيق.. جزاكم الله خيراً.

محمد صفوت نور الدين
(العالم السلفي الجليل)

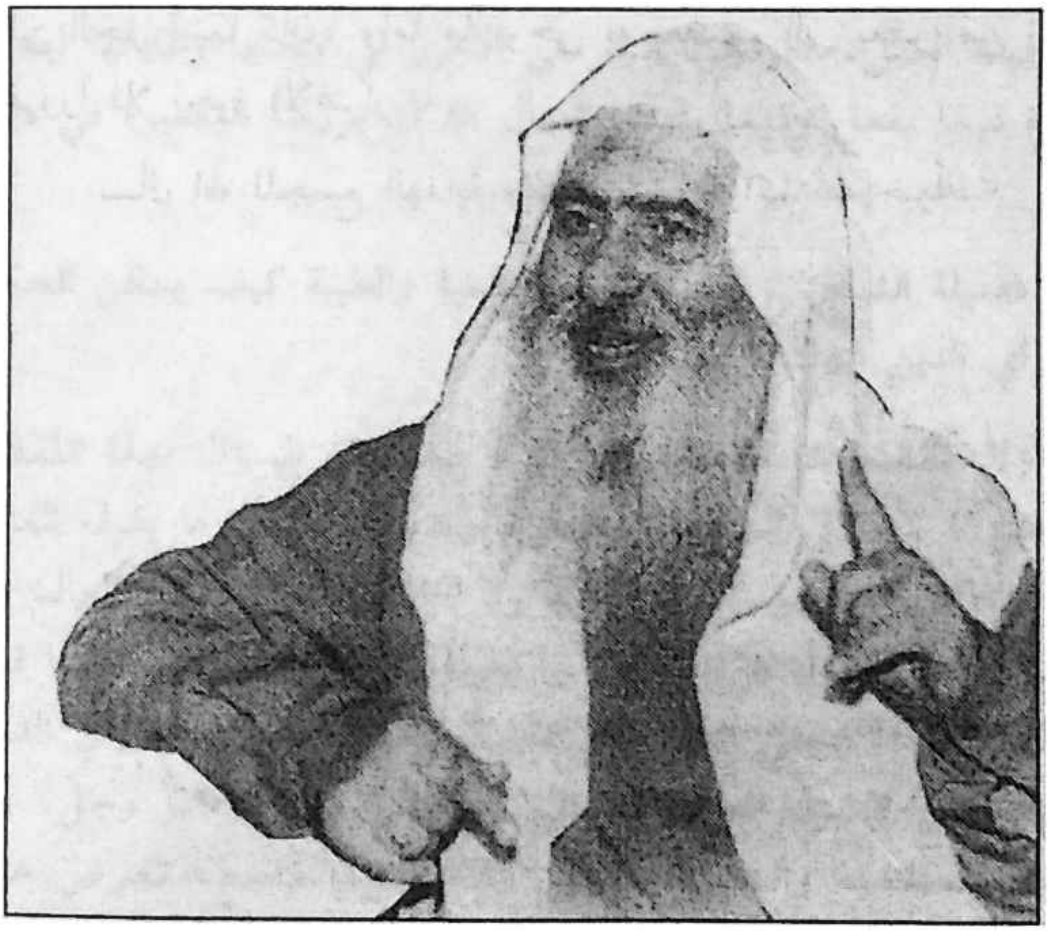

الترجمة:

من بلدة بلبيس بمصر، تخرَّج من كلية دار العلوم، درَّس الكيمياء، تدرَّج في مناصب جماعة: «أنصار السنة المحمدية» حتى صار رئيسها، بالإضافة إلى رئاسة تحرير مجلة التوحيد، وقد تطوَّرت الجماعة في عهده إلى (١٢٠) فرعاً، جاب محافظات مصر جميعها يلقي المحاضرات ويبيّن مزايا السلفية ومنهجها التوحيدي.. شارك في مؤتمرات وأجريت معه مقابلات..

له مؤلفات، منها: التبرك المشروع والممنوع، القدس مسرى النبيّ ﷺ وقبلة القلب الأبي، موقف أهل الإيمان من صفات عباد الرحمٰن.. وغيرها.

مات يوم الجمعة (١٣) رجب سنة ١٤٢٢هـ بمكة المكرمة.

هذا اللقاء:

لقاء طويل لكنه مفيد، يظهر فيه اطلاعه على ثقافة العصر وأحابيل أعداء الإسلام، وأنهم لا يريدون أن يصل صوت علماء المسلمين إلى الناس، وعن الغرب وإثارة قضية صراع الحضارات، وتغذية العقول بالكذب والغش والخداع، وتشويه صورة الإسلام، وأهمية التربية الإسلامية، وموقع المرأة المهم في ذلك والتركيز عليها.. ثم الجهاد، وأنه ماض إلى يوم القيامة.. وغيرها.

حاوره الأستاذ علاء الدين مصطفى في مجلة: «الفرقان» الكويتية، ع١٧٩ (١٤٢٢/١١/٨هـ)، وفيه أنه آخر لقاء معه، وقد اطلعت عليه من خلال موقع جماعة أنصار في الإنترنت، ولم يتوضح لي نهاية اللقاء، فإما أن يكون نشر في حلقتين، أو أنه أدرج في آخره لقاء آخر معه؟

❋ ❋ ❋

نصّ الحوار

س: هل هناك تأصيل شرعي لما يسمى بصراع الحضارات؟

ج: الحقيقة أن مسائل الجري وراء الاصطلاحات التي يضعها الغرب أمرٌ لا بدّ منه لتأصيل المعاني التي وراءه، فماذا يعني صراع الحضارات؟ هل الإسلام عندما جاء صارع الحضارات؟ أم علَّم الإنسان موضعه؟ الله عزَّ وجلّ عندما أنزل القرآن قال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤﴾، عرّف الإنسبان بنفسه، وعرَّف الإنسان بربه، وعرَّف الإنسان بمنهجه وطريقة الاهتداء إليه، خلق الإنسان من علق، أي: ربك الذي أنزل هذا المنهج هو الذي خلق الإنسان، وهو الذي يعلّمه، إذاً يوجد أمر اعتقادي، فكل الرسل وكل دين بعثه الله عزَّ وجلّ يعرّف الناس بأن الخالق هو الله وأن هناك ميعاداً ليوم الآخرة.

فعندما لا يجد الغرب حجة مقنعة، فيقولون: هذا صراع، أي: ليست هناك عقول، أي: أننا نريد أن نفرض الفكر على الناس بالقوة، وربّ العزّة يقول: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾، يقول: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾، فالموضوع موضوع إقناع وليس صراعاً كما يقولون.

س: كيف يمكن لنا إيجاد مرجعية إسلامية معتمدة؟

ج: المرجعية الإسلامية موجودة منذ أن قال الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ فأصول المسائل متفق عليها، وهناك كثير من الناس يقولون: إن معظم المسائل الشرعية مختلف فيها، وهذا خطأ، فالجزء الأكبر من المسائل الشرعية متفق عليه، والخلاف في أجزاء أقلّ ومسائل ثانوية وليست أصلية، ولكن كلُّ إنسان ينظر إلى صفحات الفقه المتفق عليها والمختلف فيها،

فيجد المختلف كثيراً، لماذا؟ لأن هناك فرقاً بين الأقوال والترجيح بالأدلة، أما المتفق عليه فلا يأخذ صفحات كبيرة.

فالمرجعية الشرعية موجودة عندنا، والرسول ﷺ يقول: «**إنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنّتي وسنّة الخلفاء الراشدين من بعدي**»، أما المجامع الفقهية فما هي إلاّ للمستحدثات من الأمور، ويمكن للكثير من المسلمين الاستغناء عنها.

س: إذاً ما الحلّ في الأزمة التي نحن فيها الآن؟

ج: أمريكا وأوربا فيها أكثر من ٥٠ مليون مسلم، بالإضافة إلى ٥ ملايين طفل، جميعهم يريدون أن يربّوا أبناءهم على الإسلام، وفي أوربا لا يمكن أن يتربّى الإنسان على الإسلام.

والحلّ أن تبنى مدراس ومعاهد تستوعب أبناء المسلمين المهاجرين حتى على مستوى المراحل الأولى، حتى يحصل على المتوسطة والثانوية من مدارس بلاد عربية إسلامية يتعلمون فيها لغة العرب ويتعلمون فيها الإسلام، ثم إذا شاء الرجوع إلى أوربا لاستكمال دراسته فلا مانع، لأنه قد تحصّن وعرف أموراً كثيرة عن دينه تساعده في الحياة في أوربا، فهذه المدارس ستحمي الأبناء من أمور كثيرة، وسوف تربي أبناء المسلمين على النظام الذي يحتاجونه.

س: هل قضية جهاد الطلب ألغيت أم هي قائمة إلى يوم القيامة؟

ج: إن الجهاد ماضٍ إلى يوم القيامة، لا يمنعه عدل عادل ولا ظلم ظالم، أما فيما يتعلق بالتقسيم إلى جهاد طلب وجهاد دفع، فهذه تقسيمات نظرية فقط.

س: نريد أن نعرف جذور التعددية السياسية والمذهبية والدينية؟

ج: الإسلام يقسم الخلاف بين المسلمين إلى ثلاثة أقسام:

الأول: خلاف يخرج من الملة: وهذه تكون فرقة كافرة.

والثاني: الخلاف الذي يخرج من أهل السنّة: وهذا يخرج من الفرقة الناجية إلى فرق الضلال.

والثالث: هو خلاف في مسائل فرعية عملية، مثل الأحكام والطهارة[1].

فإذا كانت التعددية المذهبية المقصود منها ما سبق، فهي مدارس لها شيوخها وتلاميذها، ولها منهجها، وكلهم متفقون في الأصول، وكلهم من أهل السنّة والجماعة، فهذه الظاهرة لم يرفضها المجتمع المسلم في أي وقت من الأوقات، بل المجامع الفقهية تستفيد هذه الأيام من التراث الفقهي والاختلاف فيه، وتضع الحلول من خلال أقوال فقهاء المسلمين بين راجح ومرجوح.

أما فيما يتعلق بالتعددية الدينية، فالإسلام يَسَعُ غيرَهُ من الديانات الأخرى، ويضع له حقوقاً وواجبات، والمسألة مبنية على سماحة الإسلام ويسر اعتقاده، وليطمئن الجميع أن الإسلام منهج واضح لا يخافُ من وجود الآخرين بينه، لأنه منهج يخاطب العقل.

س: هل يعدُّ كره الكفار والمشركين من الإرهاب؟

ج: أكره الكافر لاعتقاده، أي: أكرهُ هذه العقيدة، فإذا أسلم أصبح أحب الناس إلي، وهناك فرق بين الكره والظلم، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾، فالكراهية لا تجعلك تظلم، وتاريخ الإسلام مليء بالعدل للمخالفين لهذا الدين، فالمطلوب ألاَّ نركز على الكراهية، ولكن نركّز على الظلم، وإذا كرهت فلا بدّ أن أعدل ولا تخرجني الكراهية إلى الظلم، وهذا هو المستوى الرفيع الذي لا يستطيع أن يبلغ إليه إلاَّ مسلم اعتقدَ أن الله عليه رقيب.

وإذا نظرنا إلى أسرى المسلمين أثناء الحروب وكيف كانوا يعاملون، حتى أصبحوا بعد أعوام قليلة علماء، مثل: نافع مولى ابن عمر، مجاهد مولى ابن عباس، عمران بن أبان الذي كان مجوسياً ودخل إلى بيت عثمان فتعلّم في بيته الإسلام.

---

(١) هكذا... ولعلها «أحكام الطهارة».

فالإسلام نظام من أرقى النظم. والكفار يأخذون الأسرى ويضعونهم في السجون، لكن الإسلام يرى السجن للحيوان، فالإسلام يأخذ أسرى الحروب ويضعهم في البيوت للخدمة، وعمل الخدمة عمل بشري يقوم به إنسان، فكان المولى يأكل من يد عبده وهو يؤمن بأن العبد لا يدسّ له السمّ في الأكل، لأنه أحسن إليه في المعاملة ـ وهو رقيق في بلد المسلمين ـ خيراً من معاملته في بلده، فالحقيقة أن الفهم في أمر الإسلام مغيب عن الناس.

س: ما نظرة الغرب للإسلام هذه الأيام؟

ج: نظرة الغرب للإسلام هي نظرة أهل مكة والطائف إلى الإسلام في بعثة الرسول ﷺ عندما قالوا: ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾ [الأحقاف: ١١].

فأوربا وأمريكا يعتقدون أنهم وصلوا إلى أقصى التقدّم الفكري، والواضح جيداً أنهم يُزوِّرون العقول مثل تزوير الانتخابات في بلاد المسلمين، ويعتمدون على أن شعوبهم تصدقهم، وإذا أخذنا القضية الفلسطينية مثالاً فسنجد أن غالبية الأوربيين لا يؤيدون القضية الفلسطينية، لماذا؟ لأنهم زوَّروا العقول وأقنعوهم أن الصهيوني مسالم ويدافع عن أرضه، حتى إن أمريكا نفسها تقول هذا الكلام، فمسألة تزوير العقول عندهم منهج، فهم ينظرون إلى الإسلام من خلال وسائل الإعلام التي تعرض عليه.

وأمريكا وأوربا يعتمدون على هدم الأسرة ومنع التأثير من الوالدين على الأبناء، فالرجل والمرأة منشغلان بالعمل ويتركان الأولاد لوسائل الإعلام تبثّ لهم الأفكار الكاذبة عن الإسلام والمسلمين، وهذا هو المنهج الذي فعله إبليس عندما وسوس إلى آدم وحواء، فنسي آدم أن هذه هي الشجرة المحرَّمة من كثرة الوسوسة والتدليس، فهم ينظرون إلى الإسلام من هذا المنظار، ولذلك تتعجب عندما يأتي السائح الأمريكي إلى مصر بالطائرة ويركب مترو الأنفاق ويتحرك بوسائل المواصلات المختلفة بكل حرية وأمان، ثم يرجع إلى بلده ويقول: أهل القاهرة يتنقلون في شوارعها بالإبل، لأن وسائل الإعلام غذته بذلك، حتى ما رآه بعينه ينطق بضده.

فنظرتهم للحياة نظرة خالية من العقل والشرع، لأن وسائل الإعلام لديهم تدخل كل بيت وتغذي عقول أبنائهم بالكذب، ولهذا تعودوا على الكذب والخداع.

س: ما رأي فضيلتكم في اتّهام بعض الجماعات الإسلامية بالإرهاب؟ ولماذا الجماعات الإسلامية تكون مستهدفة عند إثارة أي قضية في العالم؟

ج: من المؤسف لدينا طوائف يعملون في الإعلام من طوائف العلمانية، فبعد انهيار الشيوعية ضاقت عليهم الدائرة، فتحصنوا جميعاً وأصبحوا يضربون في الإسلام عدوهم الأول.

ومن هنا أقول: إن الإرهاب وليد العلمانية، والسبب في هذا أن ربَّ العزَّة حفظ القرآن وحفظ السنّة، فهي موجودة باقية، والحافظ لهما هو الله وليس الجماعات الإسلامية ولا غيرها.

فالعلماني يريد ألا يصل صوت علماء المسلمين إلى الناس، فالعلمانيون هم أول المسؤولين عن الإرهاب[1].

س: بدايةً.. في اعتقادك ما أهم أولويات العمل الدعوي في المرحلة الراهنة؟

ج: الأولويات في العمل الدعوي كثيرة، منها: العناية بالتربية، بالطفل والمرأة والرجل، والعناية بإعداد جيل يحمل أمر الدعوة إلى الله عزَّ وجلّ، حيث يفهم الفهم الصحيح، جيل يعرف السلوك الصحيح، جيل يكون انتماؤه دعوياً وليس انتماءً حزبياً، جيل يجب أن يقتدي بالرسول ﷺ وبالصحابة والتابعين ممن بعده، جيل لا يتعصب لأفراده[2]، ولا يكون انتماؤه إلاَّ للإسلام الذي جاء به الرسول ﷺ ومصادره القرآن والسنّة والمنهج الذي كان عليه صحابة الرسول ﷺ ومن سار على دربه.

---

(١) لعلّ اللقاء الأخير ينتهي هنا.

(٢) في الأصل: لا لأفراده.

س: ما أهم العقبات التي يمكن أن تواجه الدعوة اليوم؟

ج: الكثير من غير المسؤولين عن أفعالهم وحركاتهم يوقعون جماعات الدعوة في صراعات هي في غنى عنها وفي الدخول فيها، إذ إن جماعات الدعوة قامت لخدمة المجتمع، ولخدمة أهله والعمل على استقراره، فإيقاع بعض الأعمال غير المسؤولة ممن يسمّون أنفسهم منتسبين للدعوة، هذا يؤخر العمل الدعوي في مزالق نحن في غنى عنها.

س: هل هناك مخاطر على هؤلاء المسلمين الذين يعيشون في تلك الديار؟

ج: إن العالم الغربي بقيادة اليهود وأفكارهم المدمرة استطاع تذويب أصحاب الديانات في الغرب، فأخرجوا منهم شخصيات منسوخة لا هوية لها ولا دين، واستطاعوا أن يسيطروا عليها ويوجهوها حيث أرادوا، وهم يريدون أن يتوسعوا في ذلك ليستحلّوا كافة بلاد الدنيا، لذا فإنهم يستغلون النجاح المادي في سهولة الاتصال بين بلاد الأرض كافة، فيبثّون برامجهم لتنفذَ لكل بيت، ويركّزون على المرأة، لأنها محور التربية الأساسي، ويدفعون في ذلك ما يستطيعون لجذب المرأة المسلمة نحو برامجهم، لأنهم يعلمون أثر ذلك في تفتيت الأسرة وتحويل القيادة إلى أيديهم.

لذلك لا بدّ للمسلمين أن يستيقظوا لذلك ويعتنوا بالبرامج التربوية من خلال الأسرة، وأن يهتموا بدور المسجد وجمعيات الدعوة الإسلامية، وعلى الداعية المسلم أن يكون على وعي بحاجة الأمة، وأن يوجه دعوته لفهم القرآن والسنّة، وييسّر للناس التعرّف على الأحكام الشرعية لكل ما يحيط بهم من قضايا مختلفة، فإن تحصين المسلم ضد هذه الأخطار الوافدة، إنما يكون بدراسة الإسلام والتعرّف على القضايا التي عالجها القرآن الكريم، فالقضايا المعاصرة لها نظائر فيما عرضه القرآن الكريم من أحوال الأمم السابقة، وتعلُّمُ هذه الأحكام يحمي من الانزلاق في مخاطر كثيرة.. والله أعلم.

س: كيف ترى العلمانية التي يريدون فرضها على المسلمين الآن؟

ج: العلمانية باختصار شديد هي وليدة ونبتة الشيوعية، فلما انحسرت

وماتت الشيوعية في منابتها، أراد رجالها أن يدافعوا عن أنفسهم، فقالوا: نحن أصحاب منهج فكر، فترابطوا وأصبحوا يرفعون الأصوات، إذ تجد أن أصواتهم علت حتى يبقوا على أنفسهم أحياء، وذلك لما انهارت الشيوعية، وهؤلاء يكثرون من جلب المتعاونين معهم والأصدقاء، حتى يبقوا أحياء، لكننا نقول: إنهم سيلقون المصير نفسه الذي لقيه الشيوعيون، فهم إلى موت، وهذه صرخات الموت، فالعلمانية إلحاد، لأنهم يؤمنون بأن الذي يدير الكون ليس هو الله عزَّ وجلّ، وإنما الذي تديره نظريات علمية كما هو الفكر الشيوعي، فهو الذي عندهم.

والعلمانية ليست من الإسلام في شيء، فنحن نؤمن بالله ربّاً يسيّر الكون، أنزل شرعاً نعمل به، فإذا جاؤوا إلى هذه الكلمة فهم مسلمون، فالإسلام واضح في أمر تعبده، لكن سبيل المنافق أن يقول: أنا مؤمن ولكنني علماني، هذا تمسح بالقضاء، فالعلمانية إلحاد.

وعند الحديث عن حرية الفكر المسموح به في الشريعة الإسلامية نقول: إن حرية الفكر لا حرية الكفر، فالأصول العقدية في أركان الإيمان الستة في القرآن الكريم، هذه هي الحرية التي ضمنها الشرع، والمشكلة للصحافة، وهذا واضح حتى إذا جاء الناشر يتكلم منعوه، أين صوت الدعاة في الصحف؟ أبواب الصحف التي تفتح للدعاة؟ إذا تكلم علماني فتحت له هذه الصحف، وإذا أراد أحد الردّ فهذا ممنوع له، يفتح مثلاً لمن يتكلم عن الشفاعة وينكرها، ولا يُفتح وعلى الصفحات نفسها للعلماء الذين يتكلمون ويردون عليه، حتى يظن الكثير أن العلماء صامتون ولا يتكلمون، الصحف نشرت، لكنها تنشر لنشر العلمانية، لكن الله عزَّ وجلّ خاذلهم وإن ظنوا أنهم أصحاب أصوات عالية.. والله أعلم[1].

كما ينبغي أن نقف في وجه أولئك الذين يرفعون أسماء العلمانيين ويرددون كلماتهم ثم يطلبون مواقف الأمة فيها، لأن هؤلاء العلمانيين

---

(١) هكذا وردت العبارات في هذه الفقرة وربما الفقرة التالية، ولعل هناك تداخلاً في كلمات أو جمل والمعنى مفهوم.

بالمحاضرات، إنما تسعى إذا قلّ الضوء وانتشر الظلام، فإذا نشرنا العلم وعرّفنا الناس بالصواب لم تصل لأقوالهم من ميدان، لأن هذه الأقوال قديمة وموجودة، يقول بها كثيرون لكن لا يستمع إليهم أحد، لكن لما صار إلى هؤلاء ويرددون أسماءهم جعلوا العلمانيين يتكلمون وكأن هذه الأقوال لها رجال ولها منتسبون ولها أعداد كبيرة، فمن هو سلمان رشدي الذي هزَّ العالم الإسلامي كله حتى يدفع (٢) مليون لمن يأتي برأسه، وهذا جعل العالم الغربي يقول: إن المسلمين عالم تافه، لدرجة أن رجلاً يكتب رواية في ديار الغرب تهزّ كراسي المسلمين في بلادهم، هذه المسألة يجب أن ننتبه إليها، فخالد محمد يوم أن كان كاتباً علمانياً مبتدعاً كتب كتاباً يهاجم فيه الإسلام ولم يجد له قراء، ولم يجد أحداً لهذا الكتاب ينشره أو يقرأه، فكتب هو بنفسه ردّاً عليه وبيّن عواره، وأرسل به أحد الشباب إلى صحيفة من الصحف الإسلامية لينشروه، فلما قرأه رئيس تحرير الصحيفة وجد كلاماً باطلاً! والرجل يردُّ عليه بحماس شديد، فجعل الكتاب ينتشر.

وحيدر حيدر إنسان تافه، ألّف رواية وهو في جحر من الجحور وصارت له كتب، ولما نشرت هذه الكتب أصبحت المكتبات تتلقف كتب حيدر حيدر وتنشرها، لذلك يجب أن يكون عندنا الوعي في مسألتين:

المسألة الأولى: أن نعلم الصواب، حتى إذا جاء الخطأ عرف أنه خطأ من غير لبس.

المسألة الثانية: ألاَّ نروِّج لهؤلاء الذين يروِّجون الباطل.

س: ما أهم السبل التي توصل إلى طريق العلم الشرعي في حياتنا المعاصرة؟

ج: تعلّم العلم الشرعي ينقسم إلى درجات:

فالأطفال: يجب أن نعدَّهم لتعلم لغة العرب حتى يحفظوا القرآن الكريم في سنّ صغيرة تمكنهم بعد ذلك من مواصلة طلب العلم.

ولعوام المسلمين: فبالمحاضرات والخطب التي تدعوهم إلى التعرّف إلى أمور الشرع وإلى الالتزام به، وللتحاكم لشرع الله ولدينه، ولتطبيق شرعه في بيوتهم وفي أبنائهم وفي أزواجهم، وفي أسواقهم وفي معاملاتهم وفي

أموالهم، ويحثّهم على الطاعة ويحذرهم من المعاصي ويخوفهم من المخالفات الشرعية، ويرغبهم بالجنة، فهذه هي طريقة الدعوة في العوام.

وللنساء في البيوت: فإن تحبيبهن بالمسجد عن طريق ذلك الولد الصغير الذي يأتي إلى المسجد، فيتعلّم الخُلق، فيرجع لأمه به، فترقُّ الأم ويلين قلبها، وتحب ذلك المسجد وهذه الدعوة.

وفيما يتعلق بمن يعد أن يكون من طلبة العلم وأهله، فعلى هؤلاء أنْ يتعلموا العلم عن طريق الطلب، فأولاً علوم الأدوات، ثم يتعلمون بعدها العلم بترتيبه خلافاً للعوام.

وهنا يجب أن ننبه إلى أن كثيراً من المهيجين ينظرون إلى أن إعداد طلبة العلم بهذه الصورة نظرة معطلة، وهذه النظرة لا ينبغي أن نقف عندها ولا نلتفت لها، ولا ننخدع بها.

س: هل يذكر لنا فضيلة الشيخ برنامجه اليومي حتى يتسنى لطلاب العلم التعلّم منه؟ ومن هم أهم المشايخ الذين تعلّمت على أيديهم؟

ج: نحن نتعاون في أمر الدعوة إلى الله عزَّ وجلّ في مصر بدءاً بدرس نقيمه بعد صلاة الفجر في مسجد التوحيد ببلبيس المدينة التي أسكنها، ويتكون هذا الدرس من ثلاثة أقسام:

القسم الأول: شرح حديث من أحاديث صحيح البخاري، تندرج في الأبواب، ويكون شرحاً مختصراً في حدود دقائق عشر، ثم قراءة تفسير آية أو أكثر والتعليق عليها من كتاب: «تيسير الكريم الرحمٰن» للشيخ عبدالرحمٰن بن ناصر السعدي، ثم يقوم بعض الإخوة بعد ذلك بذكر فائدة لغوية أو تدريس برنامج في النحو، ويدرس بين الحين والآخر فوائد من علم التجويد ويقوم به أيضاً بعض الإخوة، ونتخذ في هذه الأيام توجيه بعض الشباب على إلقاء الدروس، فيطلب من بعضهم بدءاً من هذا البرنامج أن يعدّ كلمة تأخذ في حدود ربع ساعة إلى ٢٠ دقيقة يقولها على الحاضرين بعد صلاة الفجر، ثم نرجع إلى البيت.. بيتي ومكتبتي شيء واحد، يعني: المكتبة في بعض حجرات البيت، فأقوم فيها بمراجعة

المقالات والكتب والردّ على الرسائل والاتصالات الهاتفية، ولي دروسٌ أسبوعية منتظمة.

أما مشايخي فهم مشايخ جماعة أنصار السنّة المحمدية إن كانوا في الفروع القريبة، فمنهم عمي عبدالله أحمد مرسي رحمه الله، الذي بعث الدعوة من رقادها من المكان الذي كنا نسكن فيه، والشيخ محمد علي حسين وهو من الشيوخ القريبين منّا، ولما انتقلت إلى الجامعة في القاهرة كنت أحضر الدروس التي كان يقيمها محمد خليل هراس والشيخ عبدالرحمٰن الوكيل والشيخ عبدالفتاح سلامة وشيوخ جماعة أنصار السنّة المحمدية، وكان يتردد علينا الكثير من هؤلاء الشيوخ، منهم: الشيخ إبراهيم سلامة، وقد استفدنا منهم فوائد كثيرة، وكذلك رافقت الشيخ محمد علي عبدالرحيم في الفترة التي كان فيها رئيساً للجماعة، وكنت أجلس إليه جلوساً طويلاً أستفيد فيها بالفوائد العلمية الكثيرة.

س: ماذا عن تلاميذك؟

ج: نحن نتحرك في مختلف الفروع، ويأتينا بعض أبنائنا، قد يأتي بعضهم ليقرأ رسالةً أو كتاباً، أو يستنصح بمسألة، أو سائل يسأل، فنحن نساهم في أمر الدعوة، أما أن نقول هؤلاء تلاميذنا، فالشيخ صفوت الشوادفي رحمه الله كان من تلامذتنا، ولكن الله عزَّ وجلّ فتح عليه، فكنت أنظر إليه في أيامه التي يعمل بها، أنه أستاذ أتعلّم منه، وإن كان هو في بادىء الأمر من تلامذتنا، المسألة أن التلميذ والأستاذ كلاهما من طلبة العلم يتعلّم كل منهم من الآخر، ومن يحضر لي دروساً كثر، وهم في صفوف الأساتذة، أذكر منهم: أكثر الناس ملازمةً لي في دروس السبت: الشيخ عبدالحميد عبدالمطلب - إمام في وزارة الأوقاف في الكويت - وكان من الملازمين في كثير من الدروس، والشيخ أحمد زكي - وهو إمام في وزارة الأوقاف أيضاً - وممن يحضرون الدروس أيضاً الدكتور جمال المراكبي - والذي هو الآن رئيس تحرير مجلة التوحيد - والدكتور إبراهيم الشربيني - وهو صاحب دار ابن كثير - والشيخ أحمد رجب - من المحررين في المجلة

وهو الآن مدرس في مدينة الرياض - والشيخ حمد سليمان - وله جهود طيبة علمية - والشيخ محمد بن عبدالعزيز - ويعمل باحثاً في إدارة الدعوة - لجماعة أنصار السنة المحمدية، وهو الآن مدرس في الرياض.

والتلامذة بفضل الله في الأيام الأخيرة أعدادهم كبيرة، وهم ينظرون إلينا بوصفنا مدرسيهم ومعلميهم وإن كان الله قد فتح عليهم فتوحاً علمية نحتاج نحن إلى كثير من آرائهم وأقوالهم، ونسعد إذا برزت هذه الآراء وتلك الأقوال.

س: لو طلبنا من فضيلتك رسالة توجهها للشباب، فماذا تقول لهم؟

ج: الكلمة التي أريد أن أتوجه بها إلى إخواننا المسلمين: أن الله لم يتركنا هملاً، بل أرسل إلينا رسالة، وهو الذي قدّر وجودنا ورزقنا ومنحنا كل النعم، فلا ينبغي أن نغفل رسالته التي أرسلها إلينا، ونحن نهتم برسالات بعض الخلق إلينا، فلو أن عزيزاً أرسل إليّ رسالة لقرأتها وتدبرت ما فيها، فرسالة ربّ العالمين إلينا أولى[1].

س: ما هي رسالتك إلى المرأة المسلمة؟

ج: ينبغي أن تعلم أنها أصل كل خير، وأصل كل شرّ في الأمة، وأن الشيطان يستخدمها لإغواء الأمة، فإن هي انحرفت عنها فلا ينبغي أن تخدع بهذه الأقوال، مثل ما خدع به النساء اليوم من دعاوى تحرير المرأة، كمثل ثعلب مرّ على قفص الدجاج، وقال: ظالم ذلك الذي حبسكم في هذا القفص، اخرجوا.. اخرجوا من القفص، فما أحلى طعم الحرية، قالوا: كيف ذلك؟ - وظنوه واعظاً - قال لهم: حطموا الأسوار، وأخذ بعض دعاتهم يقول: هذا لا يريد بكم إلاّ الشر، ولكن صوت هذا الداعي لم يصل إليهم، ولم ينتبهوا إليه، ولم يسمعوه، فلم يطيعوه، ولم يُنصتوا إليه، لحلاوة كلام الثعلب، فحطموا الأسوار، فمن خرج من قفصه أكله الثعلب، فكذلك المرأة تسمع هذه الأصوات، فهؤلاء ثعالب فلا تستجيبي لهم.

---

(١) في الأصل: أولها.

أنور الجندي
(عملاق الفكر الإسلامي)

الترجمة:

مفكر وكاتب وداعية إسلامي كبير، من صعيد مصر، درس الاقتصاد وإدارة الأعمال، التحق بالجامعة الأمريكية ليتمكن من إجادة معرفة الشبهات التي تُحاك ضد الإسلام والمسلمين، و ليتمكن من الردُ عليها، وكان دائم البحث والقراءة، قرأ من بطاقات دار الكتب المصرية ما يربو على مليوني بطاقة، راجع فهارس المجلات الكبرى، شجعه الإمام حسن البنا على الكتابة بأسلوبه التربوي الممتع، فتابع الكتابة، وصار من عمالقة الفكر الإسلامي في العصر الحديث، وأبرز المدافعين عنه، خاض الكثير من المعارك ضد دعاة التغريب، وكتب في أسلمة العلوم والمناهج وتأصيل الفكر الإسلامي وبناء البدائل.. حتى آخر لحظة من حياته..

وكان خاشعاً لربّه متبتلاً، لا يأكل إلاّ وهو على وضوء، ولا يمشي ولا ينام ولا يكتب ولا يقضي أي مصلحة من مصالحه إلاّ وهو متوضىء، كان ربّانياً في حياته، صادقاً في نفسه ومع الآخرين، له مؤلفات كثيرة منتشرة بين شباب الإسلام خاصة، منها: الاستشراق، الإسلام والدعوات الهدامة، أعلام الإسلام، تصحيح المفاهيم الإسلامية.. وغيرها.

توفي إلى رحمة الله يوم الثلاثاء (١٥) ذي القعدة سنة ١٤٢٢هـ.

هذا اللقاء:

وقفت على ثلاثة لقاءات نشرت بعد وفاته، وفي الثاني والثالث ما يفيد أنهما آخر حوار له قبل وفاته.

أما الأول فقد أجراه الأستاذ السيد عبدالمحكم السيد، ونشر في مجلة: «الأدب الإسلامي»، ع٣٣ (١٤٢٣هـ)، ص٣٢ ـ ٣٤. وفي أعلاه: «أنور الجندي في حوار لم ينشر».

وأوردتهُ للفائدة، وأبدأ بالأول لفائدة تسلسله الموضوعي.

قال محاوره:

الأستاذ أنور الجندي، الكاتب الإسلامي والمفكر الرائد، من الجواهر التي لا تزال تلمع وتسطع في ذكريات جميع الذين عرفوه، وبالنسبة لي ـ فوق ما تقدم ـ الجار القريب الذي أتفاءل برؤيته كل صباح عندما نلتقي عند بائع الصحف القريب من منزله بالجيزة، وهو عندي ذكرى عزيزة غالية تترنم بها نفسي.. ولذا كان هذا الحوار.

❋ ❋ ❋

نص الحوار الأول

س: نودّ أن نعرف شيئاً عن مطالع حياة الكاتب «أنور الجندي» وتاريخ الميلاد، ومكانه، وأثر ذلك حياته وفكره؟

ج: ولدت في الخامس من ربيع الأول سنة ١٣٣٥هـ الموافق ديسمبر سنة ١٩١٦م في مدينة ديروط من أعمال محافظة أسيوط بمصر.

واسمي كاملاً هو: «أنور سيد أحمد الجندي فرغلي فارس الشاعر».

وأصول الأسرة أساساً من اليمن ـ منطقة الحديدة ـ هاجرت إلى مصر، وكان والدي من رجال الأعمال وتجار الأقطان، وكان من محبي أهل العلم والفضل، عودنا على صلاة الفجر في مسجد البلدة، فكان يوقظنا لننادي للصلاة في طرق المدينة، ولنهرع إلى المسجد حيث ندير حلقات «الكراكة» ـ البكرة ـ القائمة على البئر لترفع الماء إلى صنابير المياه في المسجد، حتى إذا انتهينا من ذلك صعدنا إلى المنارة ـ المئذنة ـ نسبق المؤذنين لنؤدي ما يسمى: (المبادرة).

وقد ربّانا رحمة الله عليه على الإيمان العميق وحب الناس ومساعدتهم، ورعاية الجار والاتصال بالعلماء وحضور مجالس العلم التي كانت تعقد في المساجد من صلاة العصر إلى صلاة المغرب.

وكنا نذهب إلى منزل جدنا للوالدة، القاضي الشرعي، فنجد عنده كتب التراث التي كان يحبها، فنعجب لكتابتها بالخط الأسود الشيني في براويز أنيقة، وكانت العناوين تكتب بالحبر الأحمر.

وكان يأتي بالصحيفة اليومية ويدعونا إلى قراءتها، ونتنافس على قراءة عناوينها، وفهم موضوعاتها، ونشأنا وفي بيتنا مكتبة حافلة، فقرأنا في مطالع

الحياة في مقدمة ابن خلدون، والإحياء للغزالي، وتفسير الجلالين، والبخاري، وقصص الأنبياء، فنفهم قليلاً ولكنّا نحسّ بأن هناك جوّاً عطراً مونقاً من رحمات الله، خاصة عندما بنى الوالد مسجداً أمام منزلنا، فكنّا ننتقل من مجالس الذّكر إلى حلقات العلم، وكان يجمعنا لنقرأ معاً آيات القرآن وأسماء الله الحسنى، كل هذا كان أرضية حقيقية لما جاء بعد ذلك حين قرأنا «الرسالة»، و«الهلال»، و«المقتطف».

س: عملتم بالقرب من الأستاذين: «حسن البنا» و«أحمد حسن الزيات»، فما أثر كل منهما على الخط الفكري والأدبي في مؤلفاتكم؟

ج: الحقيقة أنني عايشت جيلاً ضخماً من المفكرين والأدباء في دائرة أوسع مما ذكرتم في سؤالكم، فإني قد قابلت آخر من قابل الشيخ «جمال الدين الأفغاني» من الأحياء: الشيخ «عبدالقادر المغربي»، وآخر من قابل السلطان «عبدالحميد»، فامتد وجودي الفكري إلى أكثر من أربعين عاماً، وعرفت من عرف الشيخ الإمام «محمد عبده»، و«شكيب أرسلان»، و«رشيد رضا»، و«الكواكبي»، وسمعت منهم أخبارهم، وعرفت جذور حركة اليقظة الإسلامية المعاصرة، التي جاء الأستاذ «البنا» بعد ذلك مجدداً لها، كما عرفت على الطريق الآخر: «محمد حسين هيكل»، و«عباس محمود العقاد»، و«أحمد حسن الزيات»، و«الدكتور طه حسين»، وعرفت وجهتهم وغايتهم، وقد كتبت عن أكثر من ثلاثمئة من أعلام الإسلام والفكر الإسلامي والأدب العربي من المحيط إلى الخليج، ما تركت مجدداً أو مصلحاً في المغرب أو الجزائر أو بلاد الشام أو العراق أو الجزيرة العربية إلاّ نوهت بفضله وأثره، وفق منهج أصيل جامع للإسلام.

س: حظي الأستاذ الدكتور «طه حسين» بأكثر من كتاب منكم، فما هو السرّ في ذلك على الرغم من وجود أمثال «طه حسين» على الساحة الإسلامية والعربية؟

ج: لو أنكم درستم مخطط الغزو الثقافي والتغريب، فمثلاً من مؤامرات الاستشراق والتبشير والشعوبية التي عملت منذ وقت بعيد لتزييف

مفهوم الإسلام الحقيقي، لعرفتم إلى أي حدّ استطاعت هذه القوى المبثوثة في الجامعات الغربية والراصدة لكل الشباب المسلم المثقف المهاجر للتعليم في الغرب لاحتوائه واصطناعه لخدمة الثقافة الغربية والفكر الأوربي في بلاد المسلمين، ولقد سافر إلى الغرب كثيرون، منهم من كان يملك رصيداً ثقافياً إسلامياً حماه وحفظه من الاحتواء، أمثال: «محمد المبارك»، و«مالك بن نبي»، ومنهم من عجز عن أن يحقق شيئاً هناك لأنهم فرضوا عليهم مفاهيمهم، فرفض وعاد، أمثال الدكتور «ضياء الدين الريس»، ومنهم من جامل مكبلاً، ومنهم من صدع فكتب رسالة في مضادة مفهوم الإسلام كالدكتور «منصور فهمي» الذي عاد عن آرائه، والدكتور «محمد حسين هيكل» الذي كشف زيفهم، والدكتور «زكي مبارك» الذي أطاعهم في شيء ورفض أشياء، فأسلموه لمن انتقم منه، أما الدكتور «طه حسين» فهو الرجل الوحيد الذي اصطنعوه وهو طالب في الجامعة المصرية القديمة، وحبسوه في خانة مغلقة بين سكرتيره وزوجه الفرنسية، فظل إلى نهاية حياته خادماً للفكر الوافد، لم يترك مجالاً من مجالات الفكر الإسلامي إلاّ أثار فيه الشبهات.

حول سيرة الرسول ﷺ في «على هامش السيرة»، حول سيرة الصحابة في «الفتنة الكبرى»، حول مفهوم الأدب العربي كجزء من الفكر الإسلامي في «الشعر الجاهلي»، ووصم عصر الصحابة بالمجون والانحلال في «حديث الأربعاء»، حول إلقاء زعامة الفكر العالمي لليونان في «مادة الفكر»، حول تدمير «ابن خلدون»، و«أبي الطيب المتنبي» في كتابيه عنهما.. وهكذا.

ومن هنا كان لا بدّ إذا أردنا مواجهة حملة التغريب والغزو الثقافي على الساحة الإسلامية والعربية أن تكون نقطة البدء هي كشف مخططات طه حسين التي من شأنها أن تكشف كل التغريبيين ممن كونهم وممن جاؤوا بعده.

س: هل فِكْرُ الدكتور «طه حسين» يشكل خطراً على الإسلام

والمسلمين، وما رأيكم في توبته وإنابته بعد شطحاته في كتاب «الشعر الجاهلي»؟

ج: لعلك عرفت مما فصلته في الإجابة السابقة مدى ما قدم «طه حسين» من شبهات حين زيف سيرة الرسول ﷺ بإدخال الأساطير إليها، وحين قال لطلبته: إن القرآن هو كتاب أدبي..! فقولوا فيه كما تقولون في كتب الأدب، هذا كذا.. وهذا كذا.. فهو يؤمن ببشرية القرآن وينتقده.

ويقولون: إنه ـ أي: القرآن ـ في مكة كانت عباراته جافة، وفي المدينة عندما اتصل باليهود رقت عباراته، وهو الذي قال: إن الدين خرج من الأرض كما خرجت الجماعة ولم ينزل من السماء.

وأما أنه ـ طه حسين ـ قد تاب وأناب فذلك أمر قد خفي عنا، ونحن نسأل: إذا كان قد تاب فما رأيه فيما نثره من سموم، ما تزال منثورة في كتب تطبع ويقرؤها الناس، ما هي مسؤوليته أمام الأجيال، أما كان عليه أن يعترف كما اعترف الذين غيّروا آراءهم، والحقيقة أن «طه حسين» في آخر حديث له قبل وفاته مع فؤاد دوارة، قال بصريح العبارة: إنه لم يغيّر رأياً من آرائه التي قالها طوال حياته، وهذا مسجل لا ريب فيه، وإن كنا نسأل الله له المغفرة، فإننا بما نكتب نحذّر أبناءنا من نبع سمومه المنثورة في كتبه، ولقد استعرضت كتبه واحداً واحداً في مجلة: «منار الإسلام».

س: لكم كتب رائدة في الفكر والأدب: فهل يمكن تحديد المحاور الأساسية وحصر القضايا التي تتناولها هذه الكتب المتعددة؟

ج: الحقيقة أنني عملت في عدة ميادين:

أولاً: ميدان تصحيح المفاهيم:

وذلك في مواجهة الأطروحات التغريبية التي قدمها الاستشراق من سموم في مجال القرآن والسنّة والسيرة، والشريعة الإسلامية، واللغة العربية، والأخلاق، والنفس، والاجتماع، والتربية، وهو أكبر ميادين العمل في الحقيقة، وفي نطاقه قدمت «معلمة الإسلام».

ثانياً: ميدان التراجم:

وقد قدمت دراسة شاملة لأعلام الإسلام في العصر الحديث من خلال الدراسات القومية والوطنية، وفي مجال العقائد والتاريخ والأدب العربي.

ثالثاً: ميدان الأدب العربي:

في مواجهة مذاهب تأريخ الأدب العربي ونقده الوافدة، وتحرير الأدب العربي في مختلف مجالاته من هذه المطروحات، وخاصة فيما يتعلق بالشعر الحر، والقصة، والأساطير التي تسمى «الفلكلور».

وللإسلام في مختلف مجالات الأدب مفهوم أصيل، ويرفض الأدب العربي المفهوم المادي الذي طرح في الجامعات وكليات الآداب ليكون مصدراً لدراسة الأدب العربي.

رابعاً: في مجال التاريخ الإسلامي:

بهدف تحريره من التفسير المادي ومناهج التفسير الوافدة، سواء أكانت غربية أم ماركسية، وكشف زيف الشبهات التي قدمت في مجال التاريخ الإسلامي.

وفي هذه المجالات جميعها قدم الكاتب دراسات متعددة، من أهمها موسوعة صغيرة تحت عنوان: «الشبهات والأخطاء الشائعة».

ولما كان الفكر الإسلامي فكراً جامعاً، فإن الباحث المسلم يجب أن يكون ملماً بجميع عناصره، فإذا كان له تخصص في واحد منها بعد ذلك فلا مانع.

س: هل يمكن وضع ما تمثلونه من فكر في إطار مدرسة أدبية وفكرية؟ ومن يمثل هذه المدرسة معكم على مستوى العالم الإسلامي؟

ج: الحقيقة أن عملي كله يعدّ جزءاً من مدرسة الأصالة الإسلامية التي حمل لواءها الأبرار الذين سبقوا على الطريق، والذين حملوا لواء مفهوم الإسلام الجامع بوصفه منهج حياة ونظام مجتمع، وقد قام كثير من أعلام

هذه المدرسة كل منهم بدوره، وأعتقد أن عملي كان أقرب ما يكون إلى دعم وإرساء مفهوم «المنهج الإسلامي الجامع المتكامل» الذي إذا توافر تحقق منه إيمان بأن الإسلام له نظام متكامل جامع في مواجهة الأنظمة والمناهج الغربية المطروحة الآن في ساحة الفكر العالمي، ويتميز نظام الإسلام بأنه قادر على مقابلة العصور والبيئات لسعته ومرونته وقدرته على العطاء دون أن يقع فيما تقع فيه المناهج البشرية، أعني: عجزها عن التجاوب مع أصناف البيئات والعصور مما يلجىء أصحابها إلى تعديلها بالإضافة والحذف، أما الإسلام فلأنه رباني المصدر، فقد امتاز بعالميته وإنسانيته وقدرته الممتدة في العطاء إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ونحن مطالبون بتطبيقه على أنفسنا وأن نبلّغه للعالمين، وندعو إليه الناس الذين يتطلعون الآن بعد أزماتهم المتصلة إلى ضوء جديد يسعد حياتهم ويحقق أشواقهم، ولن يكون غير الإسلام.

س: في أحاديث أذيعت في ذكرى الدكتور «طه حسين» سمعنا أن البعض يتهمونكم بالوقوف ضد الأفكار الحديثة التي تحارب الرجعية والتخلف، والتفكير بعقلية القرون الوسطى.. فما رأيكم؟

ج: لم تعد كلمات الرجعية والتخلف والتفكير بعقلية القرون الوسطى تخيف أحداً، فقد فهم الناس جميعاً أن الحملة على القديم إنما يقصد بها الإسلام والقرآن، ولكن أصحابها لا يستطيعون التصريح بذلك، وماذا في كتابات «طه حسين» والعلمانيين والليبراليين والماركسيين يمكن أن يكون عملاً إيجابياً يحارب التخلف؟ لقد جرب المسلمون خلال أكثر من مئة عام تجربتين: تجربة النظام الغربي الليبرالي، والنظام الماركسي الشيوعي، وأسفرت التجربتان عن الهزيمة والنكبة والنكسة وضياع القدس وفلسطين، وسيطرة مفاسد الحضارة الغربية وإباحيتها وتدميرها للأسر والجماعات، وقد تبيّن بما لا يدع مجالاً للشك اليوم أن الطريق الصحيح الذي يؤدي إلى امتلاك المسلمين لإرادتهم وإقامة مجتمعهم، واقتعاد مكانهم الحق فوق هذا الكوكب، إنما هو مستمد من منهجهم الأصيل الذي ربّاهم وكوّن أجيالهم،

جيلاً بعد جيل منذ أربعة عشر قرناً، وأن تجارب الآخرين لا يمكن أن تنفع المسلمين إلاّ على أساس أنها تنظيمات لا نظم، وأساليب عمل لا مناهج حياة، ولما كان المسلمون يملكون أصفى منهج وأعظم نظام بشهادة الغربيين المنصفين من رجال القانون والعلماء التجريديين، فإن ما يقوله الماديون والعلمانيون لا يمثل شيئاً ذا بال، وقد أفسد «طه حسين» الحياة الفكرية زماناً طويلاً، وتابعه في ذلك جماعة التغريبيين الذين انكشف أمرهم حين خدعوا المسلمين بالدولة العصرية، فكانت النتيجة هذه الهزيمة، ولو استلهم المسلمون منهجهم الأصيل لحققوا ما حققه المسلمون السابقون، وهو الطريق الوحيد الذي لن ينفعهم شيئاً غيره مهما جربوا وغيّروا وبدلوا.

س: ما هي الكتب التي تحب أن تخطها في الأيام القادمة لتتم بها رسالتك في سبيل الإسلام، وما عدد المطبوعات من مؤلفاتكم حتى الآن؟

ج: لا حرج على فضل الله، والحمد لله الذي هدانا لهذا، وآمل أن أوفق إلى إتمام «معلمة الإسلام»، والعبرة ليست بالكم ولكن بالكيف، والله الموفق.

❊ ❊ ❊

نصّ الحوار الثاني

أجرى هذا الحوار الأستاذ محمد عبدالشافي القوصي، ونُشر في مجلة: «المستقبل الإسلامي» التي تصدرها الندوة العالمية للشباب الإسلامي في عددها رقم (١٢٩) (محرم ١٤٢٣هـ)، ص١٦ ـ ١٧.

قال المحرر:

حتى آخر لحظة من حياته، كان المفكر الإسلامي الكبير أنور الجندي رحمه الله مهموماً بهموم أمته، وقضايا وطنه، وعلى رغم ظروفه الصعبة، والأمراض التي تكالبت عليه آخر أيام حياته فإنه ظلّ متقد الذهن، حاضر البديهة، يرجع الأمور إلى أصولها، ويحلل الأحداث في إطار سياقها التاريخي، وكان التغريب جلّ همه، والأفكار المستوردة التي بدأت تتسلل إلى ثقافتنا من خلال الرموز العلمانية شغله الشاغل، ولا يملّ الحديث عن هؤلاء وتفنيد آرائهم، ويرى ضرورة التصدي لهم بكل قوة.

وقال المحاور في مناسبة هذا اللقاء:

في آخر أيام حياته التقت «المستقبل الإسلامي» بالأستاذ أنور الجندي في مسكنه البسيط الذي يتكوّن من طابقين، بحي الطالبية الشعبي في منطقة الهرم بالجيزة، ويقطن هو في شقة متواضعة بالدور الثاني من المبنى مع ابنته الوحيدة فائزة أنور الجندي.

وفي هذا الحوار تعرض الأستاذ الجندي للتحديات التي تواجه الأمة الإسلامية، وأكد أن أخطرها قضية التغريب، والسوس الذي بدأ ينخر في عظام الأمة، وطالب بضرورة التأصيل للقضايا التي تواجه الأمة، وقال: إن أقوى سلاح في أيدينا هو سلاح الإيمان بالله تعالى، الإيمان الصحيح لا

المغشوش، أو الذي يتستر وراء شعارات زائفة، وأكد الجندي أن الإسلام رسم لنا طريق النجاح، فلماذا لم نسلك هذا الطريق؟

وفيما يلي نصّ الحوار مع الأستاذ أنور الجندي.

س: في البداية قلنا له: لقد استطعت خلال رحلتك الطويلة في مجالات الفكر والثقافة تعرية رموز العلمانية، وكشف مخططاتهم، وفضح أساليبهم في اختراق الأمة، فهل تشعر أنك حققت ما تريد؟

ج: الحمد لله، لقد أديت دوري في حدود الاستطاعة، والإمكانات المتاحة، ولقد أوليت هذا الجانب جلّ الاهتمام كما ظهر في الدراسات والكتب والموسوعات التي ألفتها، ولقد سلكت في ذلك نهج المفكرين الإسلاميين الأوائل الذين كافحوا أكثر من ثلاثة قرون في سبيل تحرير الفكر الإسلامي من هيمنة الفلسفة الهيلينية والهندية والفارسية القديمة، ولذا كان علينا أن نواجه هذه التحديات، ونواصل المسيرة، ونكافح من أجل تحرير القيم الإسلامية من المفاهيم الغربية التي تحاول أن تفرض نفسها بقوة، لذا فقد واجهت هذه الحملة بردود قوية وتقديم مزيد من الأدلة والأسانيد والبراهين والحجج التي تكشف عن جوهر الفكر الإسلامي في إيجابياته وتطوره وحيويته وقدرته على مسايرة الحضارات والانفتاح على الثقافات.

وأعتقد أن الفكر الإسلامي والثقافة العربية ـ الآن ـ تتقدم نحو مرحلة جديدة هي مرحلة «الرشد الفكري» والنظرة الثاقبة الرصينة القادرة على أن تجعل من مقوماتها وقيمتها الأساسية قاعدة عريضة للبناء، والفكر الإسلامي المعاصر قادر على أن يعارض ما يختلف مع مفاهيمه وقيمه، وقادر على أن يبدع نظرية كاملة في الفكر والأدب والسياسة والاجتماع تقوم على أساس جوهر الفكر الإسلامي والثقافة العربية الأصيلة.

س: في ظلّ التحديات التي تواجه المسلمين اليوم، هل افتقدنا أسلحتنا؟

ج: أقوى سلاح في أيدينا اليوم هو سلاح اليقظة والثقة والإيمان العميق بأمتنا ومقوماتنا وقيم فكرنا التي بنت أمتنا وتاريخنا طوال أربعة عشر

قرناً، فاستطاعت بهذه المقومات أن تتصدى للعواصف الهوجاء والأعاصير الفكرية والمؤامرات والدسائس والحملات الضارية والشبهات والأكاذيب.

وقد علّمتنا الأحداث على مرّ العصور والأزمان الصلابة والصمود والقدرة، وقد تكونت نفسيتنا وعقليتنا في ظلّ الدين على نحو حرّ لا يخضع إلاّ لله ولا يذل أبداً للمعتدي.

تلك هي القاعدة الراسخة الثابتة التي يجب أن نقف عليها جميعاً اليوم ونثبتها في عقول أبنائنا ونفوسهم، حتى تكون حصنهم الأول الذي يحتمون فيه من سهام العدو، ويقودون من خلاله المعركة التي لم ولن تتوقف يوماً في التاريخ.

س: حملتم هم كشف أصحاب الأسماء اللامعة من المفكرين والأدباء العرب الذين نهلوا من معين الثقافة الغربية، ويريدوننا أن نقتدي بالغرب فكيف ترى خطر هؤلاء الآن؟

ج: علينا أن نعرف أن المرحلة التي مرّت بنا خلال احتلال القوى الأجنبية لبلادنا كانت فترة غير طبيعية، وأن عوامل خفية كثيرة كانت تصنع الأسماء وتلقي عليها لمعان الشهرة الخاطفة لتجعلها مسموعة الكلمة، مرهوبة الجانب، فلنحذر هذا البريق، ولنحذر من الأسماء اللامعة والكلمات الغامضة، يجب أن نضع هؤلاء الكتاب على مقاييس علم الجرح والتعديل ولا ننظر في آرائهم حتى نتأكد من أن شخصياتهم كانت مثلاً عالياً في الخلق والكرامة، وأنها كانت مؤمنة بأمتها ووطنها إيماناً صادقاً.

إذن فلا يكفي أن نقرأ لأحد الباحثين ثم نستسلم لآرائه وكأنها قضية مسلم بها مهما بلغ من الشهرة وذيوع الصيت، علينا أن نعرف هؤلاء الكتاب الذين تقلبوا بين الأحزاب وغيّروا آراءهم كما يغيّرون ثيابهم، والذين ألقوا أنفسهم في أحضان هذه الهيئة أو تلك، خاصة أولئك الذي تلقفتهم هيئات أجنبية وأتاحت لهم من فرص الشهرة والمناصب ما لم يتح لمن هم أعمق منهم علماً، وأقوى شخصية وأكثر ثقافة.

س: على رغم امتلاك العلمانيين ناصية الوسائل الإعلامية في معظم

الدول العربية وإغلاق هذه الوسائل أمام المفكرين الإسلاميين للردّ على العلمانيين، فإن العلمانية فشلت في اختراق العالم الإسلامي على المستوى الشعبي، لماذا؟

ج: الإنسان العربي المسلم لم يقتنع بالعلمانية أو الفلسفات الغربية، لأنه لم يزل مخلصاً لمفهوم الوحدة الفكرية الإسلامية الجامعة ولم يفصل بين العروبة والإسلام، والعرب يؤمنون إيماناً صادقاً بأن الإسلام هو الذي صنعهم ووحدهم وأعطاهم شريعتهم وثقافتهم وعالميتهم، ومن ثم فإن العرب لن يجدوا طريقهم الحق إلاّ في مفهوم الأصالة الإسلامية، ناهيك عن أن الوجدان العربي المسلم لم تقنعه فكرة العلمانية حتى في أحسن صورها وأشكالها.

س: لماذا يهاجم العلمانيون العرب تراثنا العربي والإسلامي؟

ج: هؤلاء الذين يدعون إلى إزاحة التراث الإسلامي عن الطريق يفعلون ذلك لتكون لهم الحرية في تشكيل الحاضر العربي وحاضر المسلمين تشكيلاً مضطرباً وفق ما يشاؤون، ولو فعلنا هذا لكان أمرنا هو أمر رجل فقد شهادة الميلاد، فهو مقطوع عن أهله وأصله ونسبه، أشبه بأن يكون لقيطاً.

إنهم يريدون اقتلاع ماضينا ووجداننا وانتمائنا إلى الآباء بعد أن ارتبط هذا الانتماء أربعة عشر قرناً متصلاً، وتشكل من خلال القرآن والسنّة وتراث عريض خصب يحمل كل عوامل السمو والكرامة والسماحة والفضل والخير والوفاء، فإذا كانوا يفعلون ذلك مخدوعين بما فعل الغرب بتراثه فإن الأمر يختلف عن موقفنا من تراثنا وعن موقف الغرب من تراثه، وإذا كانوا يفعلون ذلك خادعين فنحن المسلمين لا ننخدع ونعرف أبعاد الأمور.

س: العلمانيون والشيوعيون ينتقدون بشدة شعار الصحوة الإسلامية في مخاطبة الشعوب «الإسلام هو الحل»، لماذا؟

ج: نعم، لقد رسم الإسلام للدنيا سبل النجاح والفلاح والأمن والاستقرار، فأوجد العقيدة أولاً، ثم وحّد النظم والأعمال بعد ذلك، وظهر

هذا المعنى الساحر النبيل في كل فروعه العملية، فربُّ الناس وإلٰههم واحد، ومصدر التدين واحد، والأنبياء جميعاً مقدسون معظمون، والكتب السماوية كلها من عند الله، والغاية المنشودة اجتماع القلوب.

وهكذا فهم المسلمون الأوائل الإسلام فهماً صافياً نقياً وسهلاً شاملاً كافياً وافياً يفي بحاجات الأمم، بعيداً عن جمود الجامدين وتحلل الإباحيين وتعقيد المتفلسفين، لا غلوَّ فيه ولا تفريط، فعرفوه عقيدة ونظاماً، ووطناً وجنسية، وخلقاً ومادة، وسماحة وقوة، وثقافة وقانوناً، واعتقدوه على حقيقته ديناً ودولةً، ومصحفاً وسيفاً، وخلافةً من الله للمسلمين في أمم الأرض أجمعين.

وقد تعرض الإسلام لشؤون الحياة الدنيوية العملية بأكثر مما تعرض للأعمال التعبدية، وإن كان قد أقام الشطرين معاً على دعامة من سلامة القلب وحياة الوجدان ومراقبة الله وطهر النفس، فالدين على هذا جزء من نظام الإسلام، والإسلام ينظم الدنيا تماماً، ونحن بصفتنا مسلمين مطالبون بأن نقيم ديننا و دنيانا على أساس القواعد الإسلامية: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.

❋ ❋ ❋

نص الحوار الثالث

استخرجته من موقع «الشبكة الإسلامية» بالإنترنت[1]، ولم يذكر اسم معدّ اللقاء، وقدم له مقدمة طويلة، نقطتف منها قوله:

كان العلاَّمة الراحل في أخريات أيامه لا يستطيع الحديث فترة طويلة، ولكن قبل أن يشتد عليه المرض أجريت معه هذا الحوار، وكان حوار قصيراً لا يتناسب مع عمق وامتداد فكر العلاَّمة أنور الجندي، ولكن ظروفه الصحية حالت دون أن يكون الحوار في مستوى فكر الموسوعة الراحل ولا مستوى طموحي.

إنه حوار لم ينشر مع الأستاذ أنور الجندي، لغله يفسح الطريق لمعرفة قدر هذا الرجل بعد موته.

حاولت أن أجعل الحوار عميقاً ولكن الشخصية أعمق، والقضايا الجوهرية تتلمس موضع الداء في جسد الأمة العربية، فتضمده بمهارة وخدمة وكياسة.

اجعلوا اللغة العربية قضيتكم:

س: قلت له في البداية: ما هي أهم القضايا الثقافية التي ينبغي أن تكون هي الشغل الشاغل لأدبائنا ومثقفينا في الوقت الراهن؟

ج: فقال: على الأدباء والمثقفين عامة أن يدركوا أنهم على برّ الأمان، ولا خوف عليكم، ما تمسكوا بالعربية «لغة القرآن» لغة أكثر من ألف مليون مسلم، وليس مائة مليون هم العرب[2] وحدهم؛ لأنه ما تزال

---

(١) (بتاريخ ١٤٢٥/٦/٢٣هـ).

(٢) في الأصل: الغرب.

قوي التخريب وفلول الاستعمار والأحقاد والغزو الثقافي تطارد اللغة العربية الفصحى مطاردة شديدة، وهناك اتجاه تغريبي يرمي إلى هدم الفصحى وعزلها، والمبالغة في أهمية اللهجات العامية والعناية بدراستها واعتبارها اللغة المستعملة، ولقد اعتقد المسلمون على مدى القرون ـ واعتقادهم حق ـ أن لغتهم جزء من حقيقة الإسلام؛ لأنها كانت ترجماناً لوحي الله ولغةً لكتابته، ومعجزةً لرسوله ولساناً لدعوته، ثم هذبها الدين بانتشاره وخلدها القرآن بخلوده، والقرآن لا يسمى قرآناً إلاَّ بها، والصلاة لا تكون إلاَّ بها، فلكل لغة منهجها الفكري القائم على معانيها ومضامينها.

س: هناك دعوى إلى إقليمية الأدب، أي: تقسيم الأدب حسب الإقليم المكاني، فنقول: أدب مصري، وأدب سوري، وأدب عراقي، فما رأيكم في ذلك؟

ج: لا شكّ أن هذه الدعوة غير عربية الفكر أصلاً، ولا منبعثة من صميم تفكيرنا الذي يجري في طريقه الواسع العميق مرتبطاً بالثقافة العربية التي تشكّلت خلال أكثر من خمسة عشر قرناً، ونحن نعلم أن الدعوات التغريبية حريصة على أن تمزق وحدة هذا الفكر، بأن تؤجج دعوات إقليمية ضيقة النظرة تتصل بالإقليم أو العنصر أو النحلة القديمة «القطر»، وقد حاول المغرضون إبراز هذه النظرية في إقليمية الأدب على أساس أن لكل إقليم طابعه الخاص، وأن الأمة العربية هي خلق غير تام التجانس، لكن هذه الدعاوى دائماً تبوء بالفشل والاندثار؛ لأنها دعاوى مستوردة ودخيلة وليست نابعة من الوجدان العربي، كما أن وحدة الأدب العربي متمثلة في المشاعر والأهداف والمعاني ومواجهة الأحداث، وأنه ليست هناك فروق أساس بين الأقطار العربية، وإن كانت هناك فروق في الفروع، والأدب العربي قد حافظ على وحدته، وطابعه الشامل في مختلف العصور في أحلك فترات الضعف.

سقوط الحداثة:

س: بماذا تفسرون تراجع أو سقوط نظرية الحداثة برغم الصخب

والضجيج الهائل الذي صاحبها منذ ولادتها، برغم كتائب الحداثيين المدججة بالمال والرواج الإعلامي؟

ج: لعلّ أخطر ما لجأ إليه دعاة التغريب في بلادنا هذه المحاولة اليائسة والمكشوفة ـ أيضاً ـ إنهم يريدون هدم اللغة العربية بدعوتهم إلى الحداثة، وما يتصل بها من نظريات كالبنيوية والدادية والتفكيكية، وغيرها من النظريات التي ترمي إلى القضاء على الجذور والثوابت اللغوية، في محاولة لهدم قوانين النظم العربي، وذلك بالدعوة إلى أساليب مدمرة تستوحي آثار الفلسفة اليونانية القديمة في شعر شعراء ذلك العصر مثل: بشار وأبي نواس وغيرهم من الشعوبيين.

وكان للصحوة الإسلامية الواعدة دور كبير في كشف نظرية الحداثة وتعقب أصحابها، وكشف زيفهم ومغالطاتهم، حيث قامت هذه المؤامرة (الحداثة) على أكتاف عصابة من أدعياء الأدب حاولوا تضمين الشعر الحر والقصص بتلك الأساطير الزائفة ونشرها وإعطائها مكانة الأصل الغائب المهجور، فمثلاً فيما يسمونه إحياء التراث من خروج على الأسلوب العربي الأصيل، وهدم لقيم البلاغة العربية وأصولها، وتغليب لجانب الفلكلور الذي يمثل طفولة الثقافة البشرية على البيان العربي الأصيل، في محاولة لإعطاء الفن القصصي حرية غير محسوبة تحت اسم حرية الإبداع لتقديم إباحيات جديدة تحت صور قديمة من التاريخ.

الكبار يتعرضون للتشويه:

س: لماذا كانت شخصية «الخليل بن أحمد الفراهيدي» عالم اللغة المسلم هدفاً للتشويه والتدمير، خاصة من جانب أصحاب المذاهب الغربية عامة؟

ج: لأن الخليل الفراهيدي أعطى الشعر وأعطى النحو وأعطى الموسيقى قانوناً عجيباً ما يزال موضع كراهية وحقد من خصوم اللغة العربية الذين يدعون إلى ما يسمونه «كسر النصّ»! فهم من أجل ذلك يحملون عليه

ويسخرون منه، وهو سامق المكانة؛ لا تهزه هذه الكتابات المنحرفة، وليس هذا شأن الخليل بن أحمد وحده، ولكن سهام التغريب والغزو الثقافي لم تدع أديباً صحيحاً، أو شخصية ممتازة في الفكر الإسلامي والأدب العربي إلاّ حاولت النيل منه، فعلت ذلك في المتنبي والغزالي وابن تيمية، في ذات الوقت الذي حاولت فيه أن تعلي من شأن الشعوبيين والمارقين أمثال بشار والحلاج وأبي نواس وابن الراوندي، وكذلك فهي قد نسبت إلى عمر الخيام العلاَّمة التجريبي الكبير شعراً يحضّ على الفساد والخمر، ومن أجل هذا فإن علينا أن نكون حريصين أشدّ الحرص على حماية هذه الشخصيات الكريمة من هذا الاتهام، وأن نحرر فكرها وحياتها ونكشف عن وجه الحق فيها.

تجاهل باكثير:

س: ألاَّ تتفق معنا في أن الأديب الكبير على أحمد باكثير تجاهله الأدباء والنقاد عمداً، وأنه ظلم حياً وميتاً، فما تزال بعض أعماله لم تطبع بعد، ومنها ما تعرض بالفعل للضياع؟

ج: الحق أن باكثير عايش أزمات أمته وتحدياتها المختلفة، سواء الاستعمار أو الغزو الفكري أو الصهيوني، واستطاع أن يعالج القضايا العربية كلها، وأن يتفاعل معها، خاصة قضية فلسطين؛ لأنها القضية الكبرى، فكتب «شعب الله المختار ـ إلٰه إسرائيل» وبعد نكسة يونيو كتب «التوراة الضائعة»، وفي آخر حياته اتجه بقوة إلى تاريخ الإسلام، وأنشأ «ملحمة عمر» وحارب الماركسية، وهاجم الماركسيين في مسرحياته، مثل مسرحية «حبل الغسيل» لذلك عامله الماركسيون والشيوعيون معاملة سيئة للغاية، خاصة عندما سيطروا على مجال المسرح والقصة، ومنعوا إنتاجه ومسرحياته، إذاً لا ريب أن باكثير ذهب ضحية هذا الجوّ الخانق، ونسأل الله أن يقيض من ينشر إنتاجه المتنوع من الشعر والقصة والمسرحية.

فقاعات طه حسين:

س: أستاذنا الكاتب الكبير: ألا تعتقد أن حملاتك المتتابعة على

الدكتور طه حسين أثارت، وأدهشت كثيراً من المثقفين المعجبين به، كما أن تعقبك لجميع مواقفه ومؤلفاته لقى بلبلة وفتوراً واسعاً على المستويات الأدبية، نظراً لما حققه الدكتور طه حسين من الشهرة الواسعة؟

ج: إن هؤلاء الذين لم يشهدوا هذا التاريخ ولم يعايشوا هذه الوقائع معذورون، فقد سمعوا باسم رنان وشهرة مدوية وطبل قوي الرنين، دون أن يعرفوا ما وراء ذلك، فأردت أن أكشف لهم هذه الخلفيات وهذه المواقف بالحق، ليتعرفوا على من أطلق عليه «عميد الأدب العربي»، ولهم في ضوء هذه الوقائع أن يحكموا، إنني مؤمن تماماً أنه من أشقّ الأمور أن يقبل الناس الرأي الآخر في إنسان، عاشوا السنوات الطويلة يسمعون اسمه مقترناً بالإكبار والإجلال والدوي، دون أن يكون من شأن عملهم وظروفهم أو دراساتهم الكشف عن خلفيات هذه الشخصية، ومعرفة الخيوط الاستعمارية التي تحرك بعض الممثلين في المسرح الكبير، وتلقي عليهم الأضواء، وتستطيع بالجهد والإلحاح المستمر أن تثبت في النفوس والعقول مسلمات كاذبة، إنني أعذر الذين يزعجهم كشف خبيئة الرجل، ولكني كنت أرجو منهم إذا كانوا يطلبون الحقيقة أن يسألوا عن البراهين والأدلة والوثائق على ما يظنون أننا ندعيه، فإذا ثبت لهم ذلك كان عليكم الإقرار بالحق والإذعان لأمر الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨].

ولقد هوجم طه حسين منذ اليوم الأول إلى آخر يوم في حياته، لم تتوقف حركة اليقظة عن متابعته وكشف شبهاته ودحر مخططه، وجاءت هذه الردود الصاعقة على ألسنة أناس - لا يزال منهم أحياء - لهم مكانتهم في عالم الفكر والأدب، فضلاً عن معاصريه أمثال الرافعي ومحمود شاكر وزكي مبارك وغيرهم، فهل يمكن أن يكون طه حسين عميداً للأدب، وهو يزدري الأدب والأدباء، أو قائداً لثقافة أمة، وهو منكر لمفاهيمها، ولا يدين لها بالولاء، أو مفكر لا يثبت أي شيء ويثير من حوله الشكوك والسخريات والأحقاد؟ كيف يمكن أن يكون موضع القيادة وموضع الثقة من يقول: «إن الإنسان يستطيع أن يكون مؤمناً وكافراً في وقت واحد، مؤمناً بضميره وكافراً

بعقله»؟ هذا مفهوم كنسي غربي مسيحي يرفضه الإسلام وينفر منه، ذلك أن الإسلام هو دعوة التوازن بين الروح والمادة، والعقل والقلب، دين الطمأنينة والسكينة الروحية، والالتقاء بين القيم على هدى وبصيرة.

الحقيقة والوهم:

س: لكن هناك من يقول: إن طه حسين غيّر آراءه وأفكاره أو تاب عن هذه المعتقدات، مثل التشكيك في القرآن والسنّة قبل أن يموت، فما هي مصداقية هذا الرأي؟

ج: هؤلاء المدافعون عن طه حسين يقولون: إنه كتب كتابه: «على هامش السيرة» وبه كفَّر ورجع عن كتاب: «الشعر الجاهلي»، وكتب كتابه: «الشيخان» وبه كفَّر عن كتاب: «مستقبل الثقافة» وذلك كله خداع وباطل، فإن الدكتور طه حسين لم يغيّر آراءه مطلقاً، فقد كان هناك حارس وديدبان يحول بينه وبين ذلك، هذا الحارس كان مقيماً في بيته، يلفت نظره دائماً إلى الخط المتفق عليه، ولكن الدكتور طه غيّر أساليبه ووسائله في سبيل أن يصل إلى قلب القارىء المسلم، وبعد أن كانت أساليبه هي الهجوم على الإسلام أصبحت تقوم على ترضي الإسلام داخلياً، ودسّ السمّ على مراحل خلال البحث، ولا يقلّ السمّ المدسوس في كتاب: «الشيخان» عن السمّ المدسوس في: «هامش السيرة»، أو «مستقبل الثقافة»، فقال لهم: لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما كتبت الشعر الجاهلي، أو قوله: اكتم عني، أو قوله للسفير المسلم أحمد رمزي عن كتاب: «مستقبل الثقافة»: إنني متفق معك على أن في الكتاب أخطاء كثيرة، ذلك هو أسلوب طه حسين المرن الماكر الخادع الذي لا يواجه صاحبه بالمعارضة، ولكن يلين، حيث يرى أن صاحبه واع لسمومه، فإذا وجد من يجهل لم يمتنع عن خداعه، وقصته مع اللواء محمود شيت خطاب معروفة، إذ أفضى إليه برأي له في القراءات، فواجهه اللواء خطاب قائلاً: هذا كلام أعداء الإسلام.

أما القول بالتراجع فإن هناك من الأدلة الكثيرة التي تكذبه:

أولاً: إن أسلوب التراجع معروف، وهو أن يعلن الكاتب أنه كان

يقول كذا، ثم تبيّن له سوى ذلك، وأن يوقف على الفور ماله من مؤلفات في هذا الصدد، مثلما فعل الإمام الأشعري في تراجعه عن آرائه.

ثانياً: أن يعلن أنه اتخذ هذا الأسلوب كوسيلة للعمل، ثم تبيّن له أنه لا ينتج، وأنه تحول عنه، مثلما فعل الدكتور محمد حسين هيكل، الذي غيّر اتجاهه من الثقافة الغربية إلى التراث الإسلامي والثقافة الإسلامية، فهل تراجع طه حسين حقاً عن رأي من آرائه وهو حي، وأعلن ذلك؟ «إن هذا لم يحدث» ولا يكفي أن يتراجع طه حسين عن رأي أو آخر في مرة خاصة مع صديق دون أن يعلن ذلك على الملأ، بل إن الأسلوب يدلّ على إصرار الدكتور طه حسين على الرأي وحرصه أن يذيعه في الناس فيفسد به مزيداً من العقول والقلوب، وقد أشار كثيرون إلى وقائع له مع الدكتور أحمد الحوفي، ومحمد بهجت الأثري، وسعيد الأفغاني، ولكن هل توقف طه حسين عن آرائه؟

س: هل حدّث تلاميذه بشيء من هذا التراجع؟

ج: إن ذلك الأمر ظلّ قاصراً على مسمع عدد قليل من أصدقائه، وليس على الملأ العام من قرائه ومحبي فكره.

مانع الجهني

(من أعلام الدعوة وروّاد العمل الخيري)

الترجمة:

وُلِد في قرية تقع شمال غرب ينبع النخل بالسعودية، حصل على الدكتوراه في الأدب الإنجليزي من أمريكا، أول أمين عام لرابطة الشباب المسلم العربي في أمريكا الشمالية، أستاذ مشارك في جامعة الملك سعود، عضو مجلس الشورى، الأمين العام للندوة العالمية للشباب الإسلامي منذ عام ١٤٠٣هـ وحتى وفاته، كان العمل الإسلامي ملك عليه حياته، فأحبه

وتفانى في خدمته، وصار علماً من أعلام الدعوة في أمة محمد ﷺ، كرَّس جلَّ وقته وجهده لخدمة هذا الدين والدفاع عنه، داعية، وأكاديمياً، وخطيباً، وكاتباً، ومفكراً، وجال معظم أرجاء العالم لأجل ذلك، أعدَّ وأشرف على عدد من الكتب والرسائل التعريفية التي تقدِّم الإسلام لغير المسلمين، وتُرجم معظمها إلى أكثر من خمسين لغة من لغات العالم، وكان جمَّ التواضع، يتقرَّب من الضعفاء والمساكين ويقضي حوائجهم أو يرفعها إلى المسؤولين، ويخدم نفسه بنفسه، بعيداً عن المظاهر والرسميات..

وله مؤلفات قيمة، منها: الصحوة الإسلامية: نظرة مستقبلية، التضامن الإسلامي، الأربعون الشاملة.. وهو الذي أشرف وخطط وراجع: «الموسوعة الميسرة في الأديان والأحزاب والمذاهب المعاصرة».

مات صباح يوم الأحد (٢٥) جمادى الأولى سنة ١٤٢٣هـ في حادث مروري.

هذا اللقاء:

حاوره في هذا اللقاء بالرياض الأستاذ عارف البركاني، ونشر في مجلة: «المجتمع»، ع١٥٠٩ (٣/٥/١٤٢٣هـ)، ص٣٥ ـ ٣٦. وعرفت أنه آخر لقاء معه عن طريق الندوة.

أجري معه اللقاء لمنصبه المميَّز وخبرته الدعوية والسياسية، وخاصة بعد المتغيرات الجديدة التي أعقبت أحداث (١١) أيلول (سبتمبر)، من حيث التأثير على برامج المؤسسات الخيرية الإسلامية وسياساتها، لاستطلاع آرائه حول مستقبل العمل الخيري والدعوي في ضوء هذه المتغيرات، ومدى تأثير الادِّعاءات الأمريكية على طبيعة ونشاط العمل الإغاثي، وغير ذلك في ثنايا هذا الحوار القصير.

❋ ❋ ❋

نص الحوار

س: من المستفيد من ربط العرب والمسلمين بما يسمى بالإرهاب؟

ج: إذا رأيت مصيبة تقع فابحث عن المستفيد من ورائها لتعرف من قام بها، هذه حقيقة تصدق في كثير من الأحيان، وما يجري في كثير من وسائل الإعلام الغربية من ربط آلي بين العرب والمسلمين وما يسمى بالإرهاب، أمر تقف وراءه وتذكيه الدوائر الصهيونية المعادية في عقيدتها الدينية والسياسية للعرب والمسلمين، وتدعمه تعصبات تاريخية أفرزتها الحروب الصليبية على الشرق الإسلامي، والواقع أنْ المستفيد من كل هذا هو «إسرائيل» والصليبية الحديثة التي ركبتها الصهيونية العالمية، وكلاهما يهمه تعميق الشرخ بين الإسلام والغرب وتأجيج صراع الحضارات، لتستطيع الصهيونية أن تركب الموجة وتتنفس وتعيش وتنفذ مخططاتها الاستعمارية التوسعية على حساب المنطقة العربية وشعوبها، وذلك في مسعى لكسب الدعم الغربي وتبرئة اليهود مما عرف عنهم من كراهية لشعوب الأرض وعداء للإنسانية وحب لإشاعة الفساد.

لكن الحقيقة التاريخية تقول: إن الإرهاب هو بضاعة يهودية وغربية، وإن الحروب العالمية الكبرى التي أبادت ملايين البشر ودمرت مدناً بأكمرها كان الغربيون هم دعاتها وهم وقودها.. كما أن الكيان الإسرائيلي نشأ على أعمال القتل والعنف وسفك الدماء، وجيش الاحتلال ما هو في الأصل إلاّ تطوير في الشكل لعصابات صهيونية إرهابية عرفت باسم شتيرن والهاجانا والأرجون قامت بمذابح جماعية لسكان فلسطين لإرهابهم وتفريغ الأرض منهم.

س: هل الدفاع عن العقيدة والوطن يستحق أن يوصم بالإرهاب؟

ج: الإرهاب ـ كما نعرف ـ مصطلح حديث ظهر مع الاستعمار الغربي للدول العربية والإسلامية، وكانت سلطات الاستعمار تستخدمه ـ في الواقع ـ لإرهاب المواطنين من أهالي البلاد المستعمرة عن مقاومة الاستعمار والمطالبة بالتحرر والاستقلال، وهناك حوادث كثيرة نصبت فيها المحاكمات للوطنيين المسلمين وتمّ إعدامهم من قبل سلطات الاحتلال بتهمة الإرهاب، كان يحدث هذا في مصر والهند وإندونيسيا والجزائر والمغرب وليبيا والشام، وما زال هذا المطلح ـ الاتهام ـ يشهر كسيف مُصلَّت في وجه المجاهدين في فلسطين المحتلة وكشمير والشيشان وغيرها على رقاب من لا يخضع لأمريكا ويستسلم لرْغباتها، ونحن المسلمين قد بيّن لنا الإسلام أن العدوان وقتل النفس وترويع الآمنين سلوك محرم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠]، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الإسراء: ٢٣]، ولكن سمح لنا بردّ العدوان والدفاع عن النفس، قال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٩٤].

لكن دعونا نتساءل: كيف احتلت العصابات الصهيونية الأرض وأقامت عليها الكيان الغاصب؟ ألم يكن ذلك بالعدوان وقتل الأنفس وترويع الآمنين؟

أليست هذه الجريمة لا تزال قائمة ومستمرة حتى الآن؟ إن الإسلام يفرض على المسلم التضحية بنفسه وماله وولده في سبيل الله وردّ العدوان ودفع الظلم.. فالدفاع عن الوطن والعقيدة لا يسمى عدواناً ولا إرهاباً بأي حال من الأحوال، ولن تكون هذه الاتهامات الغربية التي نعرف دوافعها ومراميها دافعاً للاستكانة والاستسلام والتفريط في الحقوق والمقدسات.

س: هناك في فلسطين المحتلة والهند وغيرهما عدوان يمارس على المسلمين رغم مخالفته للقرارات والقوانين الدولية فضلاً عن القيم والأعراف الإنسانية.. فمن يحاسب هذه الدول على ما تمارسه من إرهاب بحق المسلمين الآمنين؟

س: هل الدفاع عن العقيدة والوطن يستحق أن يوصم بالإرهاب؟

ج: الإرهاب ـ كما نعرف ـ مصطلح حديث ظهر مع الاستعمار الغربي للدول العربية والإسلامية، وكانت سلطات الاستعمار تستخدمه ـ في الواقع ـ لإرهاب المواطنين من أهالي البلاد المستعمرة عن مقاومة الاستعمار والمطالبة بالتحرر والاستقلال، وهناك حوادث كثيرة نصبت فيها المحاكمات للوطنيين المسلمين وتمّ إعدامهم من قبل سلطات الاحتلال بتهمة الإرهاب، كان يحدث هذا في مصر والهند وإندونيسيا والجزائر والمغرب وليبيا والشام، وما زال هذا المطلح ـ الاتهام ـ يشهر كسيف مُصلّت في وجه المجاهدين في فلسطين المحتلة وكشمير والشيشان وغيرها على رقاب من لا يخضع لأمريكا ويستسلم لرغباتها، ونحن المسلمين قد بيّن لنا الإسلام أن العدوان وقتل النفس وترويع الآمنين سلوك محرم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠]، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الإسراء: ٢٣]، ولكن سمح لنا بردّ العدوان والدفاع عن النفس، قال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٩٤].

لكن دعونا نتساءل: كيف احتلت العصابات الصهيونية الأرض وأقامت عليها الكيان الغاصب؟ ألم يكن ذلك بالعدوان وقتل الأنفس وترويع الآمنين؟

أليست هذه الجريمة لا تزال قائمة ومستمرة حتى الآن؟ إن الإسلام يفرض على المسلم التضحية بنفسه وماله وولده في سبيل الله وردّ العدوان ودفع الظلم.. فالدفاع عن الوطن والعقيدة لا يسمى عدواناً ولا إرهاباً بأي حال من الأحوال، ولن تكون هذه الاتهامات الغربية التي نعرف دوافعها ومراميها دافعاً للاستكانة والاستسلام والتفريط في الحقوق والمقدسات.

س: هناك في فلسطين المحتلة والهند وغيرهما عدوان يمارس على المسلمين رغم مخالفته للقرارات والقوانين الدولية فضلاً عن القيم والأعراف الإنسانية.. فمن يحاسب هذه الدول على ما تمارسه من إرهاب بحق المسلمين الآمنين؟

ج: في الواقع.. هذه القضايا وأشباهها تحتاج إلى مواقف صريحة وصادقة من الجهات الدولية، وعلى رأسها مجلس الأمن الدولي والجمعية العامة للأمم المتحدة، وتحتاج إلى تنفيذ حازم للقرارات التي أصدرت بشأنها كما هو الحال في قضايا أخرى مشابهة كان القرار فيها نافذاً بالقوة الدولية، كما حدث في انفصال تيمور الشرقية عن إندونيسيا، وغيرها من الأحداث التي كان للغرب فيها مصلحة.

لكن الحقيقة أن المعايير المزدوجة والكيل بمكيالين في القانون الدولي أصاب مصداقية الهيئات الدولية بكثير من الشكّ، وأوهن الثقة بها في نفوس المسلمين، ولهذا فنحن نطالب بتطبيق القرارات الدولية في حق تلك الدول الإسلامية بالتضامن والتعاون بل والاتحاد، ليستطيعوا أن يمارسوا ثقلهم الحقيقي على الأرض، وحلّ قضاياهم العادلة بشكل حازم وصارم، (فالمسلمون تتكافأ دماؤهم، وهم يد على من سواهم، يسعى بذمتهم أدناهم».

س: يواجه المسلمون والعرب في الغرب اعتداءات عنصرية في ظلّ هجمة إعلامية تلصق تهمة الإرهاب بالإسلام والمسلمين.. فما موقفكم من هذا؟ وكيف ترون حلّ هذه المشكلة؟

ج: ما يمارس ضد المسلمين في بلاد الغرب من اعتداءات هو تعبير عن روح عنصرية بغيضة تساهم في إشعالها وسائل الإعلام المدفوعة بدوافع مغرضة ومريبة ليس من بينها تحري الصدق والحقيقة والموضوعية.

وهنا أقول: إن المسلمين في تلك البلاد مواطنون مثل غيرهم، لهم نفس الحقوق وعليهم نفس الواجبات تجاه أوطانهم، ومن حقهم أن يتمتعوا بحقوق المواطنة التي تتفق والشرائع والمواثيق الإنسانية والدولية.. ومن هذه الحقوق الأمن والعمل.. ومن هنا فإنني أطالب سلطات تلك الدول التي يتعرض مسلموها لاعتداءات إرهابية عنصرية أن تتدخل بشكل صادق وحازم لحمايتهم من تلك الاعتداءات، والإرهاب يمارس بحق المسلمين في تلك الدول التي تدعي رعايتها لحقوق الإنسان والمساواة بين مواطنيها.

س: على خلفية اعتداءات ١١ سبتمبر الماضي، أصدرت الإدارة الإمريكية قوائم بأسماء المنظمات التي تسميها إرهابية، كما قامت ـ والدول الحليفة معها ـ بتجميد الأصول المالية لكثير من تلك المنظمات التي منها منظمات دعوية وإغاثية ومؤسسات اقتصادية.. فما تعليقكم على هذا الوضع؟ وكيف ترون حجم المخاطر التي يجرها على العمل الإغاثي والدعوي؟

ج: نحن لا نتفق لا في المفهوم ولا في التفسير لمصطلح الإرهاب وما استتبعه من إجراءات مع الإدارة الأمريكية.. والواقع أن الممارسات الأمريكية التي أعقبت أحداث سبتمبر قد جافت روح العدالة والموضوعية في كثير من جوانبها.. فقد ساوت في قوائمها بين المنظمات التي تمارس العمل السلمي في مجال الدعوة والإغاثة في ضوء النهار وتلك التي تجاهد من أجل تحرير أوطانها من نير العدوان والاحتلال كما في فلسطين ولبنان وكشمير وروسيا، وبين تلك التي تقوم بالعدوان والإرهاب في أنحاء كثيرة من العالم.

وهي في حربها ضد أفغانستان تركت من تزعم أنه الجاني وقتل المئات من الأبرياء من نساء وشيوخ وأطفال، وشردت الآلاف.. فأي عدالة في هذه التصرفات؟ إن كثيراً من هذه الممارسات والتصرفات لا تتفق وروح العدالة والمواثيق والأعراف الدولية.. كما أن حكاية تجميد الأموال ما هي إلاّ بدعة غربية هي في الواقع عملية سطو وإرهاب اقتصادي شبيه بالإرهاب المسلح.. وهل صحيح أن الأموال تتجمد وتتوقف كما يتوقف الماء المتجمد عن الجريان، أم أنها تصادر لتعمل في حساب جهات أخرى؟

أحمد ياسين
(الزعيم القيادي الشهيد)

الترجمة:

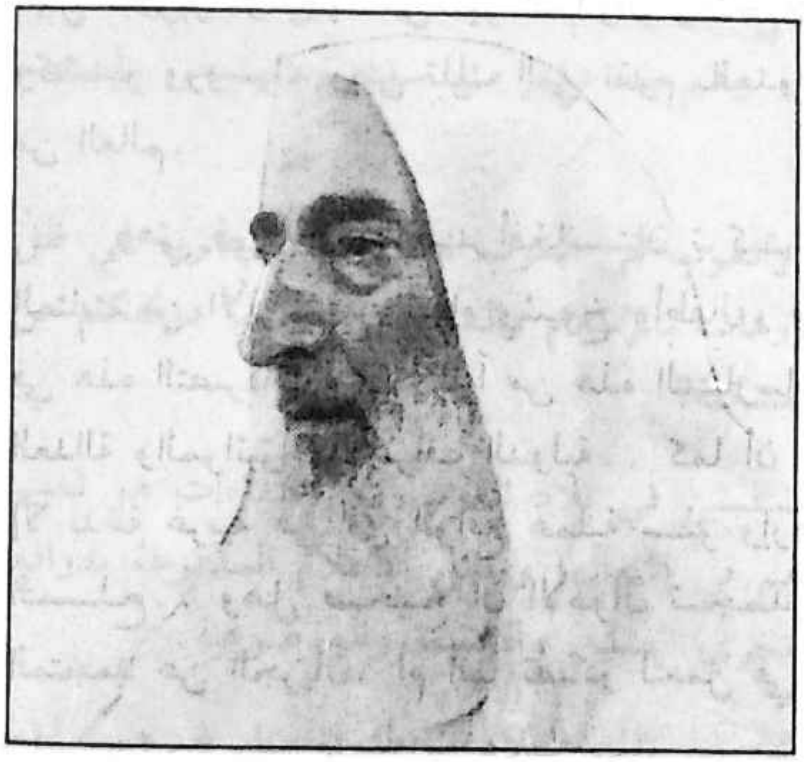

من قطاع غزة.. عانت أسرته مرارة الفقر والجوع والحرمان، وترك الدراسة مدة لإعالتها.. أصيب بكسر في فقرات العنق وهو فتى يافع فأصيب بشلل تامّ مدى حياته.. كان خطيباً حماسياً يلهب المشاعر.. وداعية نشيطاً يخطط ويجمع القوى، اعتقله اليهود وحكموا عليه بالسجن (١٣) عاماً بتهمة تشكيل تنظيم عسكري وحيازة أسلحة.. اتفق عام ١٤٠٧هـ مع مجموعة من قادة العمل الإسلامي من الإخوان المسلمين على تكوين تنظيم إسلامي لمحاربة اليهود وتحرير فلسطين، أطلقوا عليه «حركة المقاومة الإسلامية» المعروفة اختصاراً بـ: «حماس»، وكان الزعيم الروحي للحركة التي أقضَّت مضاجع اليهود وأخذت

شهرة عالمية لجهادها وتخطيطها وانتقامها من العدو، قاد شبكة للرعاية الاجتماعية استفاد منها الفلسطينيون الذين ضاقت بهم السبل في ظل فساد السلطة الفلسطينية.. كان زعيماً باسلاً رابط الجأش، يقول: ضربونا فارتفعنا وضربناهم فارتفعنا!

من مؤلفاته: رسالة من السجن الكبير، وله غيرها.

اغتاله اليهود بعد أدائه صلاة الفجر يوم الاثنين (١) صفر سنة ١٤٢٥هـ.

هذا اللقاء:

أُجري معه هذا اللقاء عقب صلاة الجمعة (٢٨) محرم، واستشهد هو يوم الاثنين، ونشرته بعد وفاته مجلة: «السبيل» الإسلامية الأردنية، حيث تمكن مراسلها في قطاع غزة من إجراء هذه المقابلة معه على الرغم من الإجراءات الأمنية المشدَّدة التي كانت تحيط به بعد أن أدرجته قوات الاحتلال اليهودية على رأس قائمة المستهدفين، وكانت آخر مقابلة معه، وقد حصَّلتها من الإنترنت، ونشرت قسماً كبيراً منه جريدة: «الرياض»، ع١٣٠٥٦ (٢/٢/١٤٢٥هـ)، وذكرت أن الحديث سينشر في اليوم نفسه.

وقبل اغتياله كان قد كتب رسالة إلى القادة والملوك والزعماء العرب وقد تجهَّزوا للاجتماع في القمة العربية بتونس، وننشر تلك الرسالة أيضاً في آخر الحوار.

❋ ❋ ❋

نصّ الحوار

س: الشيخ أحمد ياسين.. كيف تنظرون للتهديدات الإسرائيلية الأخيرة المتمثلة في إدراجكم على قائمة التصفية بعد عملية ميناء (أسدود) الاستشهادية؟

ج: العدو الإسرائيلي يهدف إلى كسر إرادة الشعب الفلسطيني ويجعله مهزوماً في المعركة، إلاّ أنه استطاع الثبات والصبر، ويقاتل ويقتل ويضرب وسيضرب حتى ينهزم العدو الذي انكسرت إرادته، وهو يفكر الآن بالهروب من غزة.

وهذه التهديدات الإسرائيلية لتصفية قيادات حماس وقوى المقاومة الفلسطينية ليست جديدة، وتتجدد مع كل عملية تنكأ هذا العدو فيتوعد ويثور، وهو يحاول بذلك تهدئة الشارع الإسرائيلي ليقول له: نحن سنرد، وهذه التهديدات هي للتعبير عن حال الفشل والإفلاس التي يعيشها.

س: ولكن ألا ترون أن هذه العمليات العسكرية تأتي في ظل تطورات سياسية وحديث عن الانسحاب من غزة.. فهل تأتي في سياق محاولة لإفشال خطة شارون أحادية الجانب أم لدعم فكرة الانسحاب؟

ج: العمل العسكري ليس له علاقة بالتطورات السياسية، والعمل العسكري هو الذي سيجبر العدو على الرحيل عن الأراضي الفلسطينية، والإسرائيلون ليسوا بحاجة إلى مبرر لارتكاب المجازر، ولا يحتاجون إلى مبررات للاستمرار في القتل والتدمير، فهو لا يعيش إلاّ على القتل والدماء، نحن ندفع العدو إلى التحلّل من احتلاله للأراضي الفلسطينية، وإذا أعلن أنه سيتخلى عن غزة، فهذه خطوة في الطريق الصحيح، لنعيش على أرضنا أحراراً.

س: هل ما زلتم تعدون خطة للتعامل مع الوضع الجديد في قطاع غزة بعد الانسحاب الإسرائيلي؟

ج: التعامل مع الوضع الجديد تحدّثنا عنه في خطتنا التي نطلق عليها (ميثاق شرف فلسطيني)، وهي تهدف إلى وضع تصور لشعبنا حول كيفية التعامل مع هذا الانسحاب، وكيف سيكون عليه الوضع في قطاع غزة.

س: هناك جولات لمسؤولين مصريين بمستويات مختلفة.. كيف تنظرون لهذه الجولات وللدور المصري والمرحلة القادمة.. وهل التقييم يأتي من المصريين؟

ج: لم نلتق بأي مستوى من الجانب المصري، ونحن لم نتقدم بطلبات إلى أي جهة عربية، ولكن هم بدورهم يقومون بدور الوسيط بين العدو الصهيوني والسلطة والشعب الفلسطيني وقواه، ونأمل أن يكون الدور المصري في جانبنا، فنحن في معركة، وفلسطين هي للأمة العربية والإسلامية، ومصر من حقها أن تضمن حدودها آمنة وهي تسعى إلى تأمين الوضع الفلسطيني لعدم حدوث صراع داخلي.

ومصر ترفض تحمل مسؤولية الأمن في قطاع غزة، وهذا ما أكده الرئيس المصري حسني مبارك، وهذا مؤشر جيد، وذلك لأن الشعب الفلسطيني قادر على إدارة نفسه، ولن يكون هناك وجود أمني مصري في قطاع غزة، فهذا شيء بعيد، والشعب الفلسطيني الذي قدم آلاف الشهداء والجرحى والأسرى، لا يمكن أن يبقى تحت الوصاية.

س: ولكن العمليات العسكرية التي تقودها المقاومة ربما تفسد عملية الانسحاب، وهناك من يطالب بوقف هذه العمليات؟

ج: الوضع الصحيح أن يكون الطلب في حدود المعقول، العدو يطالبنا بوقف المقاومة، لكننا نتساءل: لماذا لا يطالب العالم بوقف الاحتلال الإسرائيلي، من الذي يجب أن يتوقف؟ من يدافع عن نفسه أم من يحتل الأرض، وقف المقاومة عن الدفاع عن نفسها يعني الهزيمة، ولكن عندما يزول الاحتلال سنوقف المقاومة.

س: شهدت الساحة الفلسطينية قبل يومين حدثاً مؤسفاً بين حركتكم وعناصر الأمن الفلسطيني.. ألا يعطي هذا مؤشراً خطيراً إلى طبيعة المرحلة القادمة؟

ج: نحن أعلنا ونعلن أننا ضد أي صراع فلسطيني داخلي، وإن ما يحدث هو ناتج عن خلل في أجهزة السلطة، أنا مقاتل ومطلوب للعدو الصهيوني ومطارد من العملاء والطائرات الصهيونية، وأريد الاختفاء من العدو وأضع السواتر وغيرها على زجاج سيارتي للاختفاء عن أعين العملاء، ولكن هناك من يريد إزالة هذه السواتر ليكشفهم للعملاء.. الخلل موجود في السلطة.. نحن مع الأمن ولكن ليس ضد المجاهدين، هذه الإجراءات يجب أن تكون ضد المتجاوزين وتجار المخدرات والمجرمين.

إن ما حدث هو حادث فردي ناتج عن عدم إدراك المسؤول الفلسطيني أن هدفه يجب أن يكون الجريمة والمجرمين وليس المقاومة وسلاح المقاومة.

س: كيف تنظرون لمبادرة (الشرق الأوسط الكبير) التي تطرحها الولايات المتحدة الأمريكية وتطالب فيها بتغييرات ديمقراطية كبيرة في الدول العربية؟

ج: كل المبادرات التي تطرح من الخارج مهمتها أن تنزل من السقف الفلسطيني وتسعى لكي يتنازل عن حقه، هذه المبادرات ليست لخدمة الشعب الفلسطيني، وهذه المبادرات الهدف منها خدمة مصالح «إسرائيل» والتي تأخذ منها ما تشاء، وتترك ما لم يكن في خدمة مصالحها.

س: الجيش الإسرائيلي يحاول دائماً تدمير الأنفاق التي تستخدم في نقل الأسلحة للمقاومة.. كيف ستدير المقاومة نفسها؟

ج: لا شك أن المقاومة بحاجة إلى السلاح، وهذا واجب الأمة العربية والإسلامية، ومحاولات الشعب الفلسطيني في الحصول على السلاح مختلفة، والأنفاق جزء منها قد تستخدم لنقل السلاح وتزويد المقاومة، ولكن هناك أنفاق كبيرة يستخدمها التجار لتهريب ما يريدون ومن ضمنها

السلاح، وعملية تزويد المقاومة بالسلاح يجب أن تستمر بأي شكل من الأشكال.

س: شيخ أحمد ياسين.. هل لكم تعاون مع المقاومة في العراق[1] وكافة القوى الإسلامية في العالمين العربي والإسلامي كحزب الله مثلاً؟

ج: نحن نعمل على أرض فلسطين وليس لنا عمل خارج فلسطين، ولكننا نؤيد ونثمن هذه المقاومة لأنها تخدم الشعب الفلسطيني.

س: كيف تصفون علاقتكم بالقوى والهيئات العربية والإسلامية الرسمية والشعبية؟

ج: نحن نعمل على بناء علاقة محترمة مع كل الهيئات والأحزاب في الدول العربية والإسلامية من أجل دعم القضية الفلسطينية ومستقبل المقاومة، لذلك علاقتنا حسنة ونتعاون معهم، إلاَّ أننا لا نتدخل في شؤون أي دولة، نحن نريد علاقات حسنة مع كل الشعوب من أجل قضيتنا.

س: تتعرض سوريا لضغط كبير بهدف إبعاد قيادات الفصائل والتنظيمات الفلسطينية، كيف تنظرون إلى ذلك؟ وهل سيستمر هذا الصمود السوري، وأين ستذهب هذه القيادات؟

ج: سوريا وقفت أمام الضغوط ولم تنكسر، والعقوبات التي يتحدثون عنها قديمة، وقيادتنا طردت من الأردن، إلاَّ أن كل الوطن العربي والإسلامي أرض لهم، ونحن نرفض أن تركع أي دولة عربية من أجل مصالح «إسرائيل» وأمريكا وتقف ضد المقاومة، فهم جميعاً شركاء لنا وليسوا وسطاء، وحتى الآن ما نراه أن سوريا ثبتت أمام الضغوطات الأمريكية ونم تنكسر ونأمل أن تبقى ذلك، لأن غير ذلك هزيمة.

(١) يعني أثناء الاحتلال الأمريكي لها.

رسالة الشيخ أحمد ياسين إلى القمة العربية المنعقدة بتونس عام ١٤٢٥هـ

(الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين..

أصحاب الجلالة والفخامة والسمو..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

ما من شك أنه إذا عزّ العرب عزّ الإسلام، وإن دلّت هذه المقولة على شيء فإنما تدلّ على عظم الأمانة التي تحملون وأنتم ـ وفقكم الله لخير الأمة ـ من استرعاه الله حاضر الأمة ومستقبلها، ورسول الله ﷺ يقول: **«إن الله سائل كل راعٍ عما استرعى حفظ أم ضيع»**، فالله الله في أمة الإسلام وقد رماها أعداء الله وأعداؤها عن قوس واحدة.

وإن أمامكم اليوم تحديات جسام، وشعوبكم تنظر ما ستتمخض عنه القمة من قرارات، وكلها أمل أن تكون قرارات القمة على مستوى ما نواجه من تحديات، ولا يخفى أن على رأس تلك التحديات قضية العرب والمسلمين المركزية، قضية فلسطين، وكلي أمل أن تثمر هذه القمة عما يشكل رافعة لشعب فلسطين وقد أبوا إلاّ أن يواصلوا مسيرتهم الجهادية حتى يحقق الله النصر الذي نحب، والذي يرفع الله به شأن أمتنا بإذنه تعالى.

وإني أناشدكم أن تأخذ القمة بعين الاعتبار القضايا التالية التي تخدم القضية الفلسطينية:

أولاً: أرض فلسطين أرض عربية إسلامية اغتصبت بقوة السلاح من قبل اليهود الصهاينة، ولن تعود إلاّ بقوة السلاح، وهي أرض وقف إسلامي

لا يجوز التنازل عن شبر منها، حتى وإن كنا لا نملك الآن القوة اللازمة لتحريرها.

ثانياً: الجهاد في فلسطين حق مشروع للشعب الفلسطيني، وهو فرض عين على كل مسلم ومسلمة، وإن وصفه بالإرهاب من قبل أعداء الله لظلم عظيم يرفضه شعبنا المرابط في فلسطين، وترفضه كذلك شعوبنا العربية والإسلامية، ونتمنى على القمة أن توضح موقفها بوضوح لا لبس فيه نصرة لجهاد شعبنا المجاهد.

ثالثاً: إن شعبنا وهو يخوض ببسالة معركة قد فرضت عليه لهو جدير أن يلقى كل أشكال الدعم والتأييد من قادة الأمة، فهو بحاجة إلى الدعم الاقتصادي لتعزيز صموده، وقد دمر الصهاينة الأشرار كل أسباب الحياة والعيش الكريم لهذا الشعب المرابط، ونهبوا خيراته، وهو بحاجة أيضاً إلى الدعم العسكري، والأمني، والإعلامي، والمعنوي، والدبلوماسي، وغير ذلك من أشكال الدعم التي تعينه على مواصلة جهاده، وهو يتطلع إلى أن تحقق له القمة كل ذلك بإذن الله تعالى.

رابعاً: إننا نناشدكم أن توقفوا كل أشكال التطبيع مع هذا العدو، وأن تغلقوا سفاراته، وقنصلياته، ومكاتبه التجارية، وأن تُفعِّلوا المقاطعة العربية، وأن توقفوا الاتصال به، والتعاون معه.

خامساً: إن الأمة تملك من الإمكانات والطاقات والقدرات ما يجعلها قادرة على نصرة قضاياها القومية، ووضع حد لجرأة أعدائها عليها، وإني لأرى أنه قد آن لأمتنا أن تعمل بقول الله عزَّ وجلّ: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾، لتصبح قوة في زمن التكتلات: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾﴾.

سادساً: إن المسجد الأقصى يناشدكم وقد أعدّ الصهاينة العدّة لدكّ أركانه وهدّ بنيانه، فمن له بعد الله إن لم تكونوا أنتم؟

سابعاً: إننا نناشدكم أن تقدموا كل أشكال الدعم للعراق الشقيق وشعبه

حتى يتحرر من الاحتلال الأمريكي، لأن نصرة العراق وشعبه هي نصرة لقضية فلسطين والشعب الفلسطيني.

أصحاب الجلالة والفخامة والسمو..

هذا ما أردت أن أنصح به وقد علّمنا رسول الله ﷺ أن الدين النصيحة، وأسأل الله أن يجمع كلمتكم لنصرة دينه، وأن يوحّد صفكم على ما فيه خير الأمة ورفعتها.

أخوكم أحمد ياسين

مؤسس حركة المقاومة الإسلامية ـ حماس

غزة ـ فلسطين

عبدالعزيز الرنتيسي
(القائد والداعية الإسلامي الشهيد)

الترجمة.. ومناسبة اللقاء[1]:

الدكتور عبدالعزيز الرنتيسي، الذي اختير قائداً لحركة المقاومة الإسلامية «حماس» في قطاع غزة خلفاً لمؤسس الحركة وزعيمها الروحي شيخ الشهداء أحمد ياسين، أحد أبرز القيادات التاريخية في الحركة، ومن الذين شاركوا الشيخ الشهيد في وضع اللبنات الأولى للحركة الإسلامية في فلسطين.

ويتمتع الرنتيسي بصفات جعلته محبوباً بين صفوف الحركة، ومنها بساطته وأصوله المتواضعة كابن أحد مخيمات اللجوء في غزة، وبروزه كمدافع صلب عن أطروحات الحركة، وصموده في السجون الصهيونية وسجون السلطة الفلسطينية.

ارتبط الرنتيسي منذ عودته من مصر بالشيخ الشهيد، وذلك بعد إنهاء دراسته للطب، وعمل معه وبجواره في الحقل الإسلامي كتلميذ ورفيق جهاد

---

(١) هذا يخصُّ الحوار الأول.. يليه الثاني، فالثالث.

سنوات طويلة قبل الإعلان عن تأسيس حركة حماس عام ١٤٠٧هـ (١٩٨٧م)، وقاد عملاً جماهيرياً ونقابياً خلال الانتفاضة الفلسطينية الأولى مما أدى إلى اعتقاله عدة سنوات.

وقد شهدت حياته تحولاً كبيراً عام ١٤١٤هـ (١٩٩٣م) عندما أبعد مع عشرات من نشطاء حماس والجهاد إلى لبنان بقرار من رئيس وزراء الكيان الصهيوني الأسبق إسحاق رابين.

وتولّى الرنتيسي الذي انتخب ناطقاً باسم المبعدين قيادة المعسكر الذي وجد فيه الأسرى أنفسهم في منطقة مرج الزهور في لبنان.

وكانت فترة الإبعاد فرصة للتواصل مع زعامات فلسطينية كانت موجودة في الخارج وتمثّل قوى راديكالية يسارية وقوى إسلامية وأخرى من حركة فتح.

والأهم الالتقاء مع زعماء الحركة في الخارج، إضافة إلى تمتعه بعلاقات طيبة ومباشرة مع كوادر وأعضاء الحركة الإسلامية في الضفة الغربية.

وعندما عاد المبعدون إلى فلسطين مرة أخرى لم يعد الرنتيسي إلى بيته، ولكن إلى زنازين الاحتلال الصهيوني، حيث قضى عدة سنوات قبل أن يطلق سراحه ويعود إلى غزة في ظروف جديدة بعد قيام السلطة الفلسطينية فيها.

وأصبح الرنتيسي عنواناً للاتفاق أو الاختلاف مع السلطة، ففي حين تتوتر العلاقات بين السلطة وحماس يجد الرنتيسي نفسه في السجن، وعندما تتحسن العلاقات يجد عرفات في استقباله يمنحه عشرات القبل.

ولكن المعادلة اختلفت في الأشهر الأولى لانتفاضة الأقصى، عندما تصدى نشطاء حماس لرجال أمن السلطة الذين جاؤوا لاعتقال الرنتيسي، وكان ذلك إيذاناً بوضع قواعد جديدة للعلاقة.

وبعد أن انتخب قائداً للحركة تعين أن يقودها، ولكن في ظروف صعبة بفقدان الشيخ أحمد ياسين.

وهي خسارة لا تعوّض للحركة، وأيضاً بخسارة الشهيد الدكتور إبراهيم المقادمة منظّر الحركة الذي اغتيل هو الآخر، ثم خسارة الشهيدين الشيخ صلاح شحادة، والمهندس إسماعيل أبو شنب، إضافة إلى العشرات من كوادر الحركة في الضفة الغربية الذين قضوا اغتيالاً أو غيَّبتهم سجون الاحتلال.

وبعكس الصورة التي يظهر فيها الرنتيسي على الإعلام، فهو رجل بسيط حاضر البديهة وطيب المعشر كما يصفه عارفوه.

بعد الإعلان عن اختياره لقيادة الحركة التقته: «المجتمع» بصعوبة نتيجة الظروف الأمنية التي يعيشها، حيث وضعته دولة الاحتلال على رأس قائمة الاغتيالات، ولم يعد من السهل عليه الالتزام بموعد أو مكان محدد، حيث تحاول طائرات العدو في الجوّ وعملاء الاحتلال على الأرض رصد حركته على مدار الساعة[1].

وقد اغتاله اليهود بعد (٢٦) يوماً من استشهاد الشيخ المؤسس، وذلك في هجوم بالصواريخ من طائرة مروحية على سيارته بالقرب من منزله، يوم السبت مساء (٢٧) صفر من سنة ١٤٢٥هـ.

وقد أجرى هذا الحوار الأستاذ سالم عفيفة، ونشر قبل استشهاد الرنتيسي بأسبوع، في مجلة «المجتمع»، ع١٥٩٦ (١٤٢٥/٢/٢٠هـ). والقول بأنه آخر لقاء في غالب الظن[2]. والله أعلم.

❋ ❋ ❋

(١) الترجمة ومناسبة اللقاء من المجلة نفسها التي نشرت الحوار.

(٢) كتبت هذا وأرسلته إلى الطبع قبل العثور على «الحوار الثاني»، ثم أبقيته للفائدة.

نصّ الحوار الأول

س: قلت له: بعد أقل من أربع وعشرين ساعة على اغتيال القائد والمؤسس الشيخ أحمد ياسين تمّ الإعلان في مهرجان تأبين الشيخ عن اختياركم خليفة له.. كيف تمّ ذلك؟

ج: استناداً للوائح الداخلية لحركة حماس والتي جرى بموجبها انتخاب الشيخ المجاهد الشهيد أحمد ياسين في حينه قائداً للحركة وتمّ انتخابي نائباً له، استناداً لهذه اللوائح فإن النص يقول: إنه في حال غياب الشيخ ياسين لأي سبب كاستشهاد، يقوم نائبه مقامه، وبناءً عليه تمّ اختياري لأقود الحركة في قطاع غزة.

نحن واحتراماً لدم الشيخ لم نشأ أن نبادر بالإعلان عن القيادة الجديدة للحركة، وقررنا أن يكون ذلك بعد الانتهاء من «بيت التهنئة» (في استشهاد الشيخ)، وفي نفس الوقت كنت أمارس عملي كقائد للحركة، نحن لدينا لوائح وأنظمة واضحة تقول: بأنه في حال غياب قائد الحركة فإن النائب يحلّ مكانه، وهو ما حدث بالفعل.

س: لكن هل هو أسلوب جديد أن تلجأ الحركة إلى الإعلان بهذه الطريقة رغم أن قيادتها من المفترض أن تكون سرية؟

ج: لم يكن سرّاً أن الشيخ ياسين هو قائد الحركة، كما أن الإعلان عن اسمي لا يضيف جديداً لأنني مستهدف من قبل قوات الاحتلال، ثم إن الحركة تحتاج إلى عنوان واضح (قيادة يصل إليها الجميع من سلطة وفصائل وأفراد عاديين).

س: كيف تقيمون طبيعة العلاقة بين قيادة حماس بالداخل والخارج؟

ج: المحللون يتكلمون عن أمور بعيدة عن الحقائق، وينشرون كثيراً

من الأوهام والأضاليل، وأحب أن أؤكد أننا لا نتطلع إلى كراسي ولا إلى مناصب، ولا نتنافس على من يكون الرئيس أو نائب الرئيس، نحن أولاً وأخيراً طلاب شهادة، ولا يهمنا من يصل إلى أي منصب عبر الطريقة المتبعة في الحركة، لكنني أؤكد أنه ما من قرار صغيراً كان أو كبيراً إلاّ ويتمّ اتخاذه بالشورى بين الداخل والخارج وبقية الإخوة، ليست هناك قرارات فردية في الحركة، ونؤكد أننا حركة مؤسسات وسنظل مستمرين على هذا النهج.

س: بعد توليك هذه الأمانة الصعبة.. ما القضايا التي تراها على رأس أولويات حماس؟

ج: أول ما أفكر فيه اليوم ترسيخ قواعد الوحدة الوطنية في الشارع الفلسطيني، لذلك أنا أبسط يدي لكل الإخوة في الفصائل الفلسطينية كي نلتقي ونكون صفاً واحداً عملاً بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ۝٤﴾ [الصف: ٤]، فالشيخ الشهيد كان يعتبر عنواناً للوحدة الوطنية، وحماس دوماً كانت حريصة على تعزيز هذه الوحدة، وستستمر على ذلك بعد استشهاد شيخها الجليل، وستعمل دوماً بما يخدم المصالح العليا للشعب الفلسطيني وتعزيز وحدته الوطنية.

الواقع أن شعبنا يعيش في مأساة في ظلّ المجازر والاحتلال وتدنيس الوطن، ولذا فإن مقاومة الاحتلال هي الهم الأكبر اليوم، وهنا أؤكد استمرار الحركة في ذات النهج القائم على مقاومة الاحتلال، وسيكون الردّ على جرائم الاحتلال الصهيوني واغتيال الشيخ ياسين عنوان مرحلة ما بعد استشهاد مؤسس الحركة الشيخ أحمد ياسين.

س: لكن كيف يمكن أن يكون هذا الردّ؟ وهل هناك تعليمات للجناح العسكري بهذا الشأن؟

ج: أمام كتائب القسام الأبواب مفتوحة وكل الخيارات قائمة، إن الردّ على اغتيال الشيخ ياسين سيكون ردّاً يشفي الصدور، والأمر منوط بكتائب القسام فلا تستعجلوا، فنحن لا ننسى دماءنا، وأعني بنحن حركة فتح

وكتائبها، حركة الجهاد وسراياها، الجبهة الشعبية وكتائبها، الجبهة الديمقراطية وكتائبها، وحماس وما أدراك ما حماس وكتائبها، فخندق المقاومة فيه متسع للجميع.

س: لكن جرائم الاحتلال لن تتوقف بل ستتصاعد إذا ما نفذت الحركة مزيداً من العمليات، وأنت شخصياً على رأس قائمة الاغتيالات؟

ج: بعد استشهاد الشيخ أحمد ياسين أصبحت حربنا مع الكيان الصهيوني حرباً مفتوحة، وحكومة شارون الإرهابية مستمرة في سياسة الاغتيالات، ولا يردعها - في ظل الدعم العالمي لها - سوى اشتداد المقاومة وتوجيه الضربات العنيفة الموجعة داخل هذا الكيان الصهيوني المجرم.

شارون وحكومته يظنون خطأً أنهم باغتيال هذا الشعب ومقاوميه وقيادته سيحدون عزيمته وعزيمة فصائله، والواقع أنهم في وهم كبير، وفشل شارون في توفير الأمن للإسرائيليين مستمر، وسوف يستمر بإذن الله باستمرار المقاومة الفلسطينية بضراوة أكبر وأشدّ وفي ظلّ تعزيز الوحدة الوطنية داخل الشعب الفلسطيني عقب استشهاد الشيخ ياسين.

وأقول لكم لأطمئنكم: لو رحل الرنتيسي، والزهار وهنية ونزار ريان وسعيد صيام والجميع، فوالله لن نزداد إلاّ لُحمة وحباً، فنحن الذين تعانقت أيادينا في هذه الحياة الدنيا على الزناد، وغداً ستتعانق أرواحنا في رحاب الله إن شاء الله، لذلك فليغزل على غير هذا المغزل شارون والصهاينة والمتربصون، ومسيرتنا متواصلة ودربنا صعب ولكنه الدرب الوحيد الذي يصل بنا إلى ما نصبو إليه، ولذلك لا ضعف ولا استكانة ولا هوان على الإطلاق.

س: هل تشعر بالفعل بأن الشيخ ياسين ترك فراغاً كبيراً وراءه؟

ج: نعم، إن الفراغ الذي تركه الشيخ كبير جداً، ولا يمكن على الإطلاق إشغال هذا الفراغ، لكن الشيء الوحيد الذي ملأ هذا الفراغ هو استشهاد الشيخ نفسه، بما أحدثه من ردّة فعل واسعة في مختلف دول العالم خاصة عند الشعب الفلسطيني، الحركة الإسلامية كثيراً ما أصيبت في

مسيرتها، وفقدت الكثير من قياداتها وعناصرها، لكن الحركة استمرت وواصلت عملها، لأن هذه سنة الحياة، وقد توفي رسول الله ﷺ ثم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي - رضي الله عنهم - واستمرت مسيرة الإسلام.

س: هل غياب الشيخ سيؤثر على توجهات وقرارات الحركة؟

ج: الواقع أن الحركة تأخذ الطابع المؤسساتي وتحكمها الشورى، وبالتالي لا توجد قرارات فردية لا في زمن الشيخ ولا بعده، ونحن تحكمنا الشورى في كل مجالات عملنا، وأثبت قادة حماس أنهم نمط متميز وأنهم على مستوى المسؤولية، وأحب أن أؤكد أن الحركة ستشكل دائماً الموقف التجميعي لكافة القوى الوطنية والإسلامية، لقد تتلمذنا على يد الشيخ وتشربنا هذه القيم والمبادىء وسنسير عليها بإذن الله.

س: كونك أصبحت قائداً للحركة في غزة.. ما الذي سيضيفه الدكتور الرنتيسي للحركة؟

ج: نحن سنسير على نهج الشيخ ياسين وفي كنف مبادئه وحكمته، والحركة كانت في زمن الشيخ في صعود مستمر، ونحن سنحافظ على استمرارية الصعود للحركة.

س: هناك محللون يقولون: إن «إسرائيل» تركّز بشكل قوي على حركة حماس لأهداف كثيرة، منها تصفية المقاومة أو تدشين مرحلة سياسية جديدة.. هل ترى أن «إسرائيل» تعمل على «إخلاء» غزة من حماس لهذه الأهداف؟

ج: نعم أتفق معك على أن هذا يريده العدو وما يخطط له، لكني أؤكد أن ذلك لن يتحقق بإذن الله، أنا على ثقة بأن شارون لو استقبل من أمره ما استدبر لما أقدم على اغتيال الشيخ بعد هذه الهبَّة العالمية التي أذهلت شارون وكيانه، الحركة كان يراد لها أن تضعف، لكنها قويت على كل المستويات المحلية والعربية والدولية، بل ما حدث هو العكس.. المخططات الصهيونية لإضعاف الحركة هي التي ضعفت، وبالتالي ارتد سهم شارون إلى نحره، نحن نؤكد أن الحركة تنتفع كثيراً بما يرتكب قادة

العصابات الصهيونية من حماقات.. ارتفعت عندما أبعدوا قادة الحركة إلى مرج الزهور.. وارتفعت عندما حاولوا اغتيال خالد مشعل.. وارتفعت عندما حاولوا اغتيال قادة حماس، والآن ترتفع ارتفاعاً كبيراً باغتيال الشيخ.

س: كيف تفكر حركة حماس بالتصدي لمثل هذا المخطط، أي إجراءات ستتخذونها مثلاً؟

ج: أذكّر بكلمة الشيخ ياسين: «ضربونا فارتفعنا.. وضربناهم فارتفعنا» بمواجهتهم وجهادنا ضدهم نرتفع، هم كم سيقتلون منا؟ هل يمكن إبادة الشعب الذي يلتف حول هذه الحركة؟ هذه الحركة فيها من القيادات والطاقات ما يذهل العدو، لذلك أنا لست قلقاً من هذا المخطط، بل أشعر بأن هذا الاستهداف يزيد من تعاظم الحركة وقوتها، هذا الاستهداف لا يأتي في إطار رضا العدو لكنه مرغم على ذلك، وكثيراً ما كانت حساباته خاطئة وأدّت إلى عكس ما كان يتوقع.

س: نعود لنفس السؤال.. لماذا تركّز «إسرائيل» الآن على حماس بالذات؟ هل تعتقد مثلاً بأنها قد فرغت من قيادة حماس في الضفة والآن تريد تركيز جهودها على القادة في غزة؟

ج: هم واهمون في هذا الأمر، هم يظنون أن استهداف الحركة سيمكنهم من تمرير المخططات، حتى وإن تمكنوا من إضعاف حماس فلن يتمكنوا من تحقيق مخططهم، لأن الشعب الفلسطيني لا يمكن أن يقبل بالدنية أو يطأطىء الرأس أمام المخططات الصهيونية، وأعتقد جازماً بأنهم لن يحققوا ما يريدون حتى لو تمكنوا من رقبة حماس، فما بالك إذا لم يتمكنوا من ذلك!

س: ألا تعتقد أن هناك أطرافاً عربية وغيرها تشارك في هذا التوجه لإضعاف حماس باعتبارها في نظرهم عقبة في طريق المسيرة السياسية؟

ج: هناك من يرتبط مستقبله ووجوده بعجلة العدو الأمريكي الصهيوني، وهؤلاء يظنون أن قوة حماس تهدد وجودهم السياسي، أنا أقول: بأنهم مخطئون في ذلك، فالحركة إن قويت شكّلت لهم قوة تساندهم

في وجه الطاغوت الأمريكي، الذي يريد أن يعصف بالجميع ويفرض عليهم الهيمنة ويدمر ما بقي في الأمة من قيم وأخلاق، وأعتقد أن الذين يسارعون في مرضاة أمريكا والعدو الصهيوني مخطئون وواهمون ويرتكبون خطأً فادحاً، فالحركة ستكون دائماً اليد الحانية وطوق النجاة لكل من يحتاج إلى هذه النجاة.

العلاقة مع السلطة:

س: وكيف ترى علاقتكم بالسلطة الفلسطينية، هل من جديد؟

ج: حماس لم تكن في يوم من الأيام لتبسط يد العداء للسلطة، حتى إنها (حماس) في أحلك الظروف كفت يدها وامتنعت عن توجيه البنادق إلاّ إلى صدر العدو، وهذه المواقف يجب أن تسجل لهذه الحركة المجاهدة، نحن سنكون أقرب إلى تحقيق ما نصبو إليه من التقاء وتقاطع مع السلطة في ظلّ يأس السلطة من الوصول إلى أي تسوية.

س: يعني أنكم تدعون السلطة للتخلي تماماً عن مسارها السياسي؟

ج: في الواقع فإن السلطة لا تزعم أن هناك مساراً سياسياً، ونحن ندعو السلطة إلى الالتقاء والعمل معاً من أجل حماية شعبنا وقضيتنا، وفي نفس الوقت لا بدّ من تنظيم حياتنا الداخلية في ظلّ العدالة والاستقرار والابتعاد عن التمييز الفئوي.

س: هناك من كان ينظر إلى د. الرنتيسي على أنه متشدد في مواقفه تجاه السلطة بالذات، خاصة بعد تجربته مع السلطة وبالذات فترات الاعتقال.. هل هذا سينعكس على سياسته تجاه السلطة؟

ج: أنا دائماً كنت صادقاً مع نفسي ولم أكن متجنياً على السلطة، وأول احتكاك لي مع السلطة كان في قضية اغتيال محيي الدين الشريف التي وجهت فيها أصابع الاتهام للاحتلال وليس للسلطة، لكن السلطة أرادت أن أنزع هذا الاتهام عن الاحتلال، ومن هنا حدث الاختلاف، وحدث التوتر وأيقنت حينها أن السلطة كانت مرغمة على اعتقالي.

أنا اليوم على رأس القيادة في قطاع غزة حيث وجود السلطة، وبالتالي أشعر بثقل الأمانة، وسأعمل على خطين متوازنين: الخط الأول المحافظة على البندقية، والخط الآخر المحافظة على الوحدة الوطنية.

س: هل تتوقعون أي احتكاكات مستقبلية مع الحركة؟

ج: من جانبنا فـ«لا» على الإطلاق، ونرجو أن نكون سياسة السلطة مع الحركة سياسة معتدلة، حماس هي من هذا الشعب وعلى رأس المقاومة التي تدافع عن الشعب، ويجب أن يقدّر لحماس ما بذلت وما قامت به وألا تُبخس شيئاً، وأعتقد أننا سنحرص كل الحرص على أن نكون دائماً باسطي أيدينا لإخواننا في السلطة لإفشال المخططات الصهيونية.

س: نظرتك للرئيس عرفات.. وكيفية التعامل معه؟

ج: لا ننكر على الرئيس عرفات رئاسته، فنحن من هذا الشعب الذي يرأسه، ونتعامل معه من هذا المنطلق، ونسأل الله تعالى أن يتعامل معنا بما لا يكون فيه تبخيس للحركة كعضو فاعل لصالح الشعب والقضية.

س: مع ازدياد قوة حماس ورصيدها الشعبي.. يتوقع الجميع منها أن تقدم بديلاً ورؤية واضحة للحالة الفلسطينية.. هل لحماس برنامج آخر إضافة إلى برنامج المقاومة؟

ج: نحن نعيش مرحلة تحرر وطني، وهي مرحلة مقاومة، ولا نرى أن هذه هي مرحلة تشكيل سلطة، أما وقد قامت السلطة فإننا لن نشارك فيها وقررنا أن نقدم للسلطة النصح والمساندة على ألا يكون ذلك على حساب القضية أو على حساب الإصلاح الذي يجب أن يسود الشارع الفلسطيني، أؤكد أننا لا نسعى للحصول على كرسي فنحن طلاب شهادة، لكن سنساعد السلطة في النهوض مما نعتقد أنه كبوة حدثت للسلطة في أوسلو، وستجد فينا الأخ المساند الداعم المؤيد.

س: ما نوع المساندة؟

ج: نحن جنود للقضية الفلسطينية، سنعمل في كل ميدان لخدمة

القضية، لكن في ظلّ العدالة والبعد عن التمييز والحفاظ على الثوابت الوطنية.

س: ما رأيكم في تأجيل القمة العربية؟

ج: القرار كان مفاجئاً للجميع، لأن الشعوب العربية كانت تأمل أن تكون هناك نقلة في الوضع العربي ترقى إلى مستوى التحديات وتعمل على دعم القضية الفلسطينية والحقوق العربية، صحيح أنه حصل إحباط كبير لكن حماس تعمل بشكل مستقل وتواصل جهادها ومقاومتها، وأود أن أشير إلى أن تأجيل القمة عكس وضعاً يؤكد ضرورة الإصلاح والتغيير والحكم بما أنزل الله حتى نخرج من هذا الواقع المؤلم.

❊ ❊ ❊

نصّ الحوار الثاني

أجرى هذا الحوار معه الأستاذ وائل أبو فاعور من بيروت، قبل يومين من استشهاده، ونشر بعد وفاته في جريدة: «الرياض»، ع١٣٠٨٥ (الأربعاء ٢/٣/١٤٢٥هـ)، كما قال محرره في أول الحوار:

رغم المخاطر التي كانت تحيط به كقائد لحركة المقاومة الإسلامية في غزة بعد التصعيد غير المسبوق عبر اغتيال مؤسس الحركة الشيخ أحمد ياسين، لم يكن الشهيد الدكتور عبدالعزيز الرنتيسي في أيامه الأخيرة يبدي أي قلق أو خشية من الشهادة، بل كان متفائلاً وواثقاً من بشرى النصر الذي سيحمله المستقبل للشعب الفلسطيني في مقاومته للاحتلال الصهيوني، مع تأكيده أنَّ هذا النصر سيسبقه الكثير من المعاناة والآلام كما قال في مقابلة لمجلة: «الأنباء» اللبنانية، ينشر مع «الرياض» كتب ردوده على أسئلتها بخط يده قبل يومين فقط من استشهاده على يد القتلة الصهاينة، وفي ما يلي نصّ الحوار:

س: بماذا ستختلف العمليات الاستشهادية التي ستنفذها حركة (حماس) بعد استشهاد الشيخ أحمد ياسين عن العمليات السابقة؟

ج: في الوقت الذي أؤكد فيه بكل أمانة أنَّ هذا السؤال لا يستطيع أن يجيب عليه إلاَّ الجناح العسكري للحركة، فهو يضع خططه بمفرده بعيداً عن القيادة السياسية التي تضع السياسة العامة ولا تتدخل في الخطط العسكرية، أما القيادة السياسية ونحن منها فقد أعلنت بوضوح أنه لا يوجد خطوط حمراء أمام الجناح العسكري بعد اغتيال الشيخ، فنحن إنما نحارب إرهابيين قتلة ذبحوا شعبنا الأعزل وسرقوا وطنه، فكل من تواجد داخل حدود فلسطين فهو مجرم مغتصب ولا أمن له حتى يخرج، فأي قيد يمكن أن

يكبل المقاومة وقد تفاخر بجريمة اغتيال الشيخ النكراء قائد العصابة شارون، نحن في انتظار عمل متميز، وقد عودتنا الكتائب على ذلك، ونسأل الله لهم التوفيق.

س: هل ستستطيع (حماس) اختراق الأمن الإسرائيلي واستهداف مواقع للجيش أو الأمن أو حتى شخصيات سياسية إسرائيلية؟

ج: لقد نجحت الحركة عدة مرات في اختراق الأمن الصهيوني وتمكنت من استهداف رؤوس كبيرة من أمن العدو، وأعتقد أنَّ ثقتنا عالية في جهازنا العسكري، ونحن على ثقة أنه قادر بإذن الله على صناعة مفاجأة للعدو نحن لا نعرف كنهها، ولكن كما ذكرت ثقتنا بالعقول التي تدير العمل العسكري واطمئناناً لتوفيق الله لهم كبير، فهم يدافعون عن قضية عادلة وشعب مظلوم يجعلنا مطمئنين بأن كل ما يمكن أن يتصوره العقل البشري وارد في رد كتائب القسام.

س: هل سيشكل استشهاد الشيخ ياسين دافعاً لإعادة الحوار الفلسطيني الداخلي؟ وهل سيكون مناسبة لتوحيد الصف الفلسطيني وتعميم منطق المقاومة ووقف كل الاتصالات مع العدو الإسرائيلي والدعوات إلى السلام؟

ج: هذا هو أملنا، وقد فتحنا قلوبنا وبسطنا أيدينا لإخواننا في كافة القوى الوطنية والإسلامية، وتقديرنا أننا سننجح في حوارنا الذي يجري الآن على قدم وساق لا لشيء إلاَّ أنه لم يعد هناك من يراهن على عملية سلمية لا وجود لها أصلاً، ولكن بات واضحاً أنها قد تمزقت وتناثرت أشلاء يوم تمزق وتناثر جسد الشيخ أحمد ياسين بصواريخ الإرهابي شارون، ولذلك لم يعد الحديث عن السلام إلاَّ مضيعة للوقت، ولكن هذا الوقت الذي نضيعه نحن كان يستثمره العدو في خلق وقائع جديد على الأرض، من بناء مغتصبات وشقّ طرق التفافية وتهويد مقدسات، كان من شأنها أن جعلت من الحديث عن قيام دولة فلسطينية حديثاً عبثياً هدفه الضحك على الذقون.

س: ما هو موقف الشعب الفلسطيني؟

ج: كما تعلمون أنَّ الشعب الفلسطيني والحمد لله يقف مع خيار

المقاومة، وقد دلل على ذلك بخروجه عن بكرة أبيه خلف نعش الشيخ ياسين مبايعاً على خيار المقاومة، ولا بدّ للجميع أن يحترموا إرادة هذا الشعب بعد الفشل الذريع الذي مني به الخيار التفاوضي، فقد أصبح واضحاً تماماً أنَّ الخيار الوحيد أمام الشعب الفلسطيني هو خيار المقاومة، وهو الخيار الوحيد القادر على توحيد صفوفنا بإذن الله، لذلك وخدمةً للقضية الفلسطينية والشعب الفلسطيني لا بدّ من توحيد الصفوف وفي خندق المقاومة، وفي نفس الوقت وقف كل أشكال الاتصال مع العدو.

س: ما هو المسار المستقبلي للواقع الفلسطيني برأيكم؟

ج: المسار المستقبلي تفرضه أمور عدة، منها: إرادة الشعب الفلسطيني التي هي مع خيار المقاومة، ومنها الممارسات الصهيونية التي تمثلت في التنكر للحقوق الوطنية المشروعة للشعب الفلسطيني، وكذلك في العدوان المتواصل على الشعب الفلسطيني، مما جعل الحديث عن عملية سلمية حديثاً مخجلاً لا يقوى مدعيه أن يصمد في مواجهة الشعب، كما أنَّ تمسك الشعب الفلسطيني بكامل حقوقه ورفضه لمسلسل التنازلات، كل ذلك يقول بوضوح إننا نسير نحو تصعيد المقاومة حتى ينصرف المحتلون عن أرضنا ومقدساتنا.

س: وماذا سيحمل المستقبل إذن؟

ج: المستقبل يحمل في طياته البشرى بالنصر، لأننا أصحاب إرادة لا تعرف النكوص والحمد لله، ولأنهم لا يستطيعون تحمل استمرار الاستنزاف الذي دمر معنوياتهم واقتصادهم، وأدّى إلى هجرة معاكسة تهدد المشروع الصهيوني برمته، مما دفع المجرم شارون للقول بأنه يخوض معركة البقاء، ولكن لا أقلّل أبداً مما قد يحدث من آلام ومعاناة بين يدي النصر القادم، ولكننا قادرون على تحملها ثم الانطلاق نحو النصر إن شاء الله.

س: هل تخصص حركتكم هامشاً كافياً لشرح وجهة نظرها للرأي العام الغربي الذي هو تحت الانطباع بأنكم حركة إرهابية وذلك ما تسوقه

الدعاية الصهيونية؟ بمعنى آخر: كيف ستواكب الحركة العسكرية الميدانية بحركة إعلامية سياسية؟

ج: الواقع أنَّ الحركة تهتم بهذا الجانب وتفتح قنوات حوار مع الأوروبين خاصة، ولكننا نؤمن أن أوروبا لا تجهل طبيعة الصراع وهي التي صنعته بوعد بلفور والاعتراف بالكيان الصهيوني، وكذلك بتقديم كل أشكال الدعم للعدوان الصهيوني على وطننا وشعبنا، فالغرب يدرك تماماً أنَّ شعبنا يرزح تحت الاحتلال، وأنه يقوم بحقه المشروع في الدفاع عن نفسه ووطنه ومقدساته، وعندما ينكر علينا الغرب ذلك ولا ينكره على عصابات الاحتلال، عصابات القتل والتخريب والإفساد، فإنهم يقدمون دليلاً جديداً على استمرارهم في سياسة الانحياز المطلق للعدو الصهيوني، ورغم قناعتنا هذه فإننا لن نتوانى عن مواصلة جهدنا في الاتصال بهم ولو من باب إقامة الحجة عليهم.

س: ماذا تطلبون من الدول العربية في ضوء المستجدات الدارماتيكية التي تحدث على الساحة الفلسطينية، وهل لا تزال هناك إمكانية للحصول على دعم عربي؟

ج: أنا شخصياً لا أرى أنه في مقدور الدول العربية في وضعها الحالي الذي يثير الشفقة أن تشكل رافعة للشعب الفلسطيني، فمن لا يقوى على النهوض لا يمكنه أن يساهم في إنهاض غيره، ففاقد الشيء لا يعطيه، ولذلك نأتي البيوت من أبوابها، ونطالب أولاً بترميم الوضع العربي للوصول إلى شكل من أشكال الوفاق، فإن فعلوا ذلك فعندها فقط يمكننا التطلع إلى الحصول على دعم عربي، أما الآن فأسألهم فقط ألاَّ يخذلوا برنامج المقاومة، وألاَّ يقبلوا بالتحريض الأميركي الأوروبي والصهيوني على المقاومة المشروعة للشعب الفلسطيني، وأن يكفوا أيديهم عنا.

❋ ❋ ❋

نصّ الحوار الثالث

أكد قائد حركة المقاومة الإسلامية حماس الدكتور عبدالعزيز الرنتيسي. في آخر حوار له قبل استشهاده من قبل قوات الاحتلال الإسرائيلي أن المقاومة الفلسطينية للاحتلال الإسرائيلي هي الخيار والاستراتيجية في حماس حتى تحقيق الأهداف المنشودة.

وقال في حواره الأخير[1] لموقع القسام على شبكة الإنترنت قبل استشهاده: إن استراتيجية حماس ترتكز إلى أن الوطن الفلسطيني مغتصب بالكامل، ولا نستطيع التنازل عن شبر منه، رغم الاختلال الواضح في موازين القوى لصالح العدو الصهيوني.

وذكر أن هناك مجتمعاً دولياً معادياً لأماني وطموحات الشعب الفلسطيني، وداعماً للإرهاب الصهيوني، وأن حالة الأمتين العربية والإسلامية تتسم بالضعف.

وأضاف.. إن لحركة حماس استراتيجية ثابتة تتمثل في السير في خطين متوازيين:

الأول: مقاومة الاحتلال والتصدي للعدوان الصهيوني.

والثاني: الحفاظ على وحدة الشارع الفلسطيني وحمايته من خطر الاقتتال الداخلي الذي من شأنه أن يصرف الجميع عن مقاومة الاحتلال.

واستطرد.. إن العدو الصهيوني لم يكن يفكر في المكوث في غزة، ولكنه كان دائماً يسعى إلى تحقيق مكاسب مقابل خروجه من غزة.. فلما

---

(١) استخرجته من موقع «مصراوي» في الإنترنت بتاريخ (١٤٢٥/٦/٢٢هـ)، وقد عنون بـ: «الحوار الأخير للدكتور عبدالعزيز الرنتيسي قبل استشهاده».

طال به الأمد وأصبح المكوث في غزة له تكلفة عالية جداً، سواء أمنياً أو اقتصادياً أو معنوياً، أصبح التفكير جدياً في الخروج من جحيم غزة.. ولكن شارون يريد أن يستثمر هذا الخروج لتحقيق مكاسب في الضفة الغربية، سواء على صعيد تمدد الاستيطان هناك، أو على صعيد كسب مزيد من التأييد للجدار الذي يلتهم حوالي ٥٨ بالمائة من أراضي الضفة الغربية.

وأوضح أن حكومة إسرائيل تريد أن تحقق هذه المكاسب في ظل اتفاقية مع الجانب الفلسطيني.. فإذا فشلت في ذلك فسيسعى شارون إلى تحقيقها عن طريق الدعم والتأييد الغربي الصليبي.

وردّاً على سؤال حول اتهام حماس بأنها تسعى لقيادة الشعب الفلسطيني وتطرح نفسها كبديل للسلطة الفلسطينية، قال في حواره الأخير: إن السلطة جاءت بديلاً لانتفاضة الشعب الفلسطيني بهدف وضع حدّ للانتفاضة.. وحماس تؤكد أننا ما زلنا في مرحلة تحرر وطني، وأن الوقت لا يزال مبكراً لقيام سلطة فلسطينية، لأن قيام السلطة في ظل الاحتلال هو أحد أهداف الاحتلال، كما نرى ذلك في أفغانستان والشيشان والعراق.

أضاف أن أكبر خطأ وقعت فيه منظمة التحرير الفلسطينية أنها قبلت بإقامة سلطة تحت الاحتلال.. وكما نشاهد ونسمع اليوم فإن هناك العديد من الأصوات من داخل السلطة تطالب بحلّها، وتعتبر أن السلطة في ظل الاحتلال هي مصلحة للاحتلال.. وتشير استطلاعات الرأي إلى أن ثلثي الشعب الفلسطيني يطالبون اليوم بحلّ السلطة، وكل ذلك يضفي مصداقية على قراءة حماس السياسية للواقع الفلسطيني والإقليمي الدولي.

وأكد أن الذين يتهمون حماس بأنها تسعى لقيادة الشعب الفلسطيني كبديل للسلطة الفلسطينية لا يقدمون دليلاً واحداً على مزاعم تلك.. وقال: إن الاعتراف بدولة الكيان الصهيوني أمر غير شرعي، وهذا الأمر أهم عناصر الخلاف بيننا وبين السلطة الفلسطينية.

وأعرب - في حواره الأخير - عن اعتقاده بأن المقاومة الفلسطينية التي

أثبتت قدرة فائقة في اختيار الأهداف والوسائل لضرب الأهداف الإسرئيلية قادرة على تخطي كافة العقبات.

وأكد أن الأيام ستثبت أن العدو الصهيوني سيعض أصابعه ندماً على ما أنفق من أموال في بناء الجدار الفاصل في الضفة الغربية، أو في بناء المستوطنات، أو الأموال التي أنفقها في بناء كيانه الزائل بإذن الله.

وقال: سيعلم هذا العدو الجبان أنه واهمٌ في إمكانية الهروب من ضربات المقاومة التي بالتأكيد ستنجح في تنفيذ عمليات استشهادية داخل فلسطين المحتلة رغم أنف الجدار.

وفيما يتعلق بطبيعة التنسيق والعلاقة بين القيادة السياسية لحركة حماس والجناح العسكري في كتائب القسام، أوضح الرنتيسي أن القيادة السياسية لحركة حماس هي التي ترسم السياسة العامة للحركة.. والجناح العسكري هو جناح مستقل يعمل بحرية تامة بعيداً عن أي تنسيق مع القيادة السياسية، ولكن وفق السياسة العامة التي ترسمها القيادة السياسية.. فعندما تحرم القيادة الاقتتال الداخلي وإطلاق الرصاص على صدر الشعب الفلسطيني نجد أن الجناح العسكري يلتزم بهذا الموقف للقيادة السياسية التزاماً حديدياً ولا يخرج عن إطاره.

وحول من يتخذ القرارات المصيرية في حركة حماس، قادة الداخل أو الخارج، ذكر الرنتسي أن من يتخذ القرارات المصيرية هي القيادة السياسية ممثلة بأجنحتها المختلفة في قطاع غزة والضفة الغربية والمعتقلات والسجون والخارج.. وقال: إن القرار يكون بالشورى الملزمة لنا جميعاً.

أحمد كفتارو
(العارف المفتي)

الترجمة:

عالم من أكراد دمشق، طلب العلم بهمَّة ومثابرة وسلك طريق العارفين على طريقة والده الشيخ محمد أمين، فكان صوفياً نقشبندياً، علَّم طلبة العلم الفقه والنحو والحديث والتفسير والفرائض، وكان ملماً ومتابعاً للثقافة العصرية، تخرَّج في حلقاته الدينية أفواج من الشباب المتدين، ومسجد «أبو النور» الذي أشاده تحوَّل إلى جامعة تشهد بفضله، الذي خرَّج كذلك أفواجاً من الشباب المتدين، شغل منصب مفتي الشافعية بدمشق، ثم عيّن مفتياً عاماً لسورية، ورئيساً للمجلس الإسلامي الأعلى، زار أنحاء من العالم يلقي محاضرات ويحضر مؤتمرات ويدعو إلى حوار بين الأديان، وصار له مريدون كثر، وعلى الرغم من ارتباطه بالحكومة إلاَّ أنه كان ينقل إلى المسؤولين مطالب

إسلامية، وفتح المعاهد الدينية وتحفيظ القرآن الكريم وتغيير منكرات، وله مؤلفات دينية منها: محاضرات إذاعية، من هدي القرآن الكريم...

وقد نُقد الشيخ من قبل علماء أعلام في جوانب عدة من أفكاره وسلوكياته، ليس هنا موضع إيرادها، وقد أفضى إلى ربه فهو محاسبه.

مات صباح يوم الأربعاء ١٦ رجب ١٤٢٥هـ، الأول من أيلول ٢٠٠٤م.

هذا اللقاء:

أكد المفتي في هذا الحوار على هوية الأمة الثقافية وبناء قوتها الاقتصادية وتقدمها العلمي وحماية استقلالها وحريتها، وهذا يحتاج إلى صيانة حقوق المواطن وتحقيق سيادة مبدأ الشورى.

وأوضح أنَّ مصادر الشريعة في مقاصدها تحقق المصلحة والعدل للمكلفين، وأن الاجتهاد الجماعي أقرب إلى الصواب والوصول إلى الحق، وأنَّ الاجتهاد الجماعي يمثل مرحلة في طريق الاجتهاد الجماعي بشرط التخصص في الموضوعات وعدم جعل الاجتهاد الجماعي باباً يدخله من لا يستحق، وأنه يجب التأكد على ضرورة حرص المستفتي على طلب الفتوى ممن يثق بدينه وخلقه، وإنَّ محاربة التطرّف يكون من خلال ثوابت عديدة أهمها الرجوع إلى ينابيع الإسلام الصافية والوقوف على نصوص الكتاب.

أجرى الحوار الأستاذ بشار عبود، وذكر أنه حاوره «قبل مدة من وفاته»، وأنه توفي أثناء إعداده هذا الحوار، وقد نشر بعد يومين من وفاته في جريدة: «عكاظ» السعودية، الجمعة ١٨ رجب ١٤٢٥هـ، ٣ أيلول (سبتمبر) ٢٠٠٤م، ع١٣٨٨٧.

❋ ❋ ❋

نصّ الحوار

س: تمر الأمة الإسلامية في العصر الحاضر بالعديد من المتغيرات.. كيف يمكن مواجهة التحديات التي تواجه الأمة في هذا العصر؟

ج: وحدة الأمة الإسلامية، والحفاظ على هويتها الثقافية، وبناء قوتها الاقتصادية وتقدمها العلمي وحماية استقلالها وحريتها، هذا يحتاج إلى صيانة حقوق المواطن وتحقيق سيادة مبدأ الشورى، وتفعيل سبل الاستفادة من طاقات أفراد الأمة على اختلاف توجهاتهم، وقيام المؤسسات المتخصصة، واستقلالية القضاء، والحرية المنضبطة بالصالح العام للأمة جماعات وأفراداً، ومحاربة الفساد، وترسيخ القيم الفاضلة في المجتمع، والعمل على الحوار مع الحضارات الأخرى للاستفادة من كل ما هو مفيد ويناسب ثقافتنا، من تجارب وإنجازات الشعوب الأخرى، وهذه العناوين الكبرى لا يمكن تحقيقها إلاّ من خلال نقد ذاتي صريح وجريء، إضافة إلى إنشاء المؤسسات المختصة بالمتابعة والإصلاح الإداري والهيكلي.

س: تعدد مصادر الفتوى ما بين فردية وجماعية في ظل وجود مجامع فقهية وهيئات متخصصة في الفتوى... كيف تنظرون للفتوى الفردية؟ وهل هي صالحة لهذا الزمن؟

ج: الأصل في مصادر الشريعة أنها في مقاصدها تحقق المصلحة والعدل للمكلفين، ومعلوم أنه لا يمكن لفرد مهما أوتي من ملكات فكرية وقدرات استنباطية أن يحيط بمقصد الشارع الحكيم في دفع المفاسد وجلب المصالح، اللّهم إلاّ ما كان منها على سبيل الاجتهاد المنضبط بضوابطه. الشرعية في مسائل فرعية تتعلق بفقه العبادات أو المعاملات.

إنَّ ما يحمله هذا العصر من مستجدات تحتاج إلى إحاطة وإلمام بتخصصات عدة تجعل الاجتهاد الجماعي أقرب إلى الصواب والوصول إلى

الحق، حيث تتعدد وجهات النظر والآراء في منقاشات علمية متخصصة مخلصة هدفها تبيان حكم الله في هذه الوقائع، لذلك فإن قيام المجامع الفقهية وما شابهها بهذا الدور مسألة مهمة للغاية في زماننا هذا، خاصة عندما يختار لهذه الهيئات أصحاب الاختصاص فيما يطرح عليهم، ويستعان بالاختصاصات الأخرى لتوضيح أي أمر من الأمور، ويكون العلماء ممن يعيشون الوقائع ويعالجون مشاكله ومستجداته بنظرة تأخذ الواقع بعين الاعتبار.

على أنَّ الاجتهاد الفردي أيضاً له دوره، وهو يمثل مرحلة في طريق الاجتهاد الجماعي، لكن بشرط التخصص في الموضوعات، وعدم جعل الاجتهاد باباً يدخله من لا يستحق فيجاوز بذلك ثوابت الشريعة ويحاول القفز على نصوصها.

س: ظهر ما يسمى بـ: «فتاوى الإنترنت» التي تصدر عن أناس لا يعرف لهم أصل علمي أو حتى مجهولي الهوية... وقد أثرت هذه الفتاوى في الشباب... ماذا تقولون لمن اتبع هذه الفتاوى؟

ج: الإنترنت أداة تواصلية وشبكة معرفية عظيمة لمن أحسن التعامل معها ووضعها ضمن ضوابط الشرع والعقل والأخلاق، وهكذا كل اختراع له وجهان، وعلى العاقل اختيار الوجه الذي يعود عليه بالخير، وأنا أرى أنَّ الفتاوى المنضبطة حين تنتشر على الإنترنت عبر مواقع موثوقة فهذا أمر حسن؛ بالنظر لما يحققه من انتشار عالمي يوسع دائرة المعرفة الفقهية بالنسبة للمكلفين، خاصة في البلاد البعيدة عن الحواضر الإسلامية، أما أن يفتح المجال لأشخاص لا يمتون إلى العلوم الشرعية بصلة أو لا يملكون ملكة الاجتهاد والفتوى، فهذا أمر مرفوض ويأثم صاحبه، لأنه ضلّ وأضلّ، يقول رسول الله ﷺ في ذلك: **«إنَّ الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ولكن يقبضُ العلم بقبضِ العلماء، حتى إذا لم يُبقِ عالماً اتخذ الناسُ رؤساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا»**[1]. وهنا يجب التأكيد على ضرورة حرص المستفتي على طلب الفتوى ممن يثق بدينه وخلقه، فإن هذا

---

(١) أثبته من لفظ البخاري في صحيحه (١٠٠).

الأمر دين، ودين الإنسان أغلى ما يملكه، وقد كان رجال الأمة سابقاً لا يسألون إلاَّ من يثقون به، وجبذا لو أنَّ المواقع التي تقدم خدمة الاستفتاء تضع تعريفاً مختصراً بالعالم الذي يقوم بالفتوى لتحصل الطمأنينة لفتواه.

س: ألاَّ ترون أنَّ بعض القرارات الفقهية الصادرة عن المجمع الفقهي قد لا تتناسب مع متطلبات العصر؟

ج: لا يحضرني الآن كل ما صدر عن المجمع فيما يتعلق بفقه الأولويات ومتطلبات العصر، ولكن على وجه العموم تحرص كل المجامع الفقهية على تحقيق الهدف الأساسي الذي أسست بموجبه، وهو إيجاد فتاوى حديثة على ضوء المصادر الأصلية والتبعية تدفع المفاسد وتجلب المصالح وتوجد الحلول للمسائل المستجدة التي تطرأ للناس فيحتاجون إلى معرفة الحكم الشرعي لها، وما يصدر عن المجامع الفقهية يمثل رأياً جماعياً لمن ساهموا في هذا الرأي، وكل الناس يؤخذ منهم ويردّ عليهم إلاَّ رسول الله ﷺ، ومن كانت له وجهة نظر فيما صدر عن المجامع يمكن له أن يبدي رأيه في الموضوع مع دليله وبرهانه، والحق أحق أن يتبع.

ولكني - بشكل عام - أثني على عمل المجمع الفقهي، واثق بحكمة وعلم السادة العلماء أعضاء هذا المجمع.

س: كيف يمكن سماحة المفتي محاربة الغلو والتطرف والقضاء على ظاهرة الإرهاب؟

ج: محاربة التطرّف يجب أن تكون من خلال ثوابت عديدة:

أولها: الرجوع إلى ينابيع الإسلام الصافية، والوقوف على نصوص القرآن والسنّة وجعلهما الحكم عند النزاع.

ثانيها: الاعتماد على الفهم السديد المؤيد بأقول العلماء الثقاة في تفسير كثير من نصوص الشريعة التي قام البعض بتفسيرها تفسيراً محدداً أو غرضياً يؤيد دعاواهم دون الرجوع إلى ما صحّ من النقول عن النبيّ ﷺ وصحابته وكبار العلماء.

ثالثها: الحوار الهادىء المنضبط بضوابط الشرع القائم على احترام الآخر، وفسح المجال لمبادرات التوبة والرجوع إلى الحق، وعدم مقابلة التطرف بتطرف مثله، الأمر الذي ينذر بمواجهات دموية شهدها العالم ولا يزال في عنف وعنف مضاد كان ضحاياه في الغالب من الأبرياء.

رابعها: إيجاد هيئات علمية يدعمها الإعلام الخاص والرسمي للتعريف بالإسلام الحقيقي، ينتخب لها علماء عاملون فاهمون يشرحون حقيقة الإسلام لإبراز صورة الإسلام ووسطيته واعتداله.

إضافة إلى ملاحظة أمر مهم، وهو أنَّ الغلو والتطرف غالباً ما ينشأ وينمو عند الشباب الذين يغلب عليهم الطيش والتطرف، و لذلك لا بدّ من التنفيس عن هؤلاء الشباب، وتوظيف طاقاتهم وتخفيف الوطأة النفسية والاجتماعية عنهم.

الملحق

مشروع الدستور الإسلامي[1]

(آخر الأعمال التي أشرف عليها شيخ الأزهر عبدالحليم محمود)

بسم الله الرحمن الرحيم

مشروع الدستور الاسلامى

مقدم من

الأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية

١ ـ جاء فى قرارات وتوصيات المؤتمر الثامن لمجمع البحوث الإسلامية الذى أنعقد بالقاهرة فى ذى القعدة سنة ١٣٩٧ هـ الموافق أكتوبر سنة ١٩٧٧م « يوصى المؤتمر أن يقوم الأزهر ومجمع البحوث الإسلامية بصفة خاصة بوضع دستور إسلامى ليكون تحت طلب أية دولة تريد أن تأخذ بالشريعة الإسلامية منهاجا لحياتها ، ويرى أن تؤخذ فى الاعتبار عند وضع هذا الدستور أن يعتمد على المبادىء المتفق عليها بين المذاهب الإسلامية كلما أمكن ذلك » .

٢ ـ تنفيذاً لهذه التوصية قرر مجلس مجمع البحوث الإسلامية بجلسته المنعقدة فى ١١ من المحرم سنة ١٣٩٨ هـ الموافق ٢١ من ديسمبر سنة ١٩٧٧ م إسناد وضع هذا المشروع إلى لجنة الأبحاث الدستورية الإسلامية بالمجمع على أن يدعى لهذه اللجنة الشخصيات التى يمكن أن تسهم فى وضع هذا المشروع .

٣ ـ بناء على ذلك قام فضيلة الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر ورئيس مجمع البحوث الإسلامية بتأليف لجنة عليا بجانب السادة أعضاء لجنة الأبحاث الدستورية بالمجمع نخبة من كبار الشخصيات المشتغلين بالفقه الإسلامى والقانون الدستورى لتتولى هذه المهمة .

---

(١) المصدر: شيخ الإسلام عبدالحليم محمود: سيرته وأعماله/ رؤوف شلبي ـ القاهرة: دار القلم، ١٤٠٢هـ، ص٥٧١ ـ ٥٨٦.

٤ -- قررت اللجنة العليا المشار إليها عند اجتماعها برئاسة فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر تأليف لجنة فرعية منبثقة عن اللجنة العليا تقوم بوضع الدراسات والبحوث واعداد مشروع هذا الدستور على أن يعرض بعد انجازه على اللجنة العليا .

٥ — تابعت اللجنة الفرعية اجتماعاتها أسبوعيا بصفة دورية حتى انتهت من اعداد المشروع ووضعه فى صيغته النهائية ثم رفعته إلى اللجنة العليا .

وقد تضمن هذا المشروع تسعة أبواب تحتوى على ثلاث وتسعين مادة مفصلة على الوجه الآتى :

الباب الاول	الأمة الإسلامية	٤ مواد
الباب الثانى	أسس المجتمع الإسلامى	١٣ مادة
الباب الثالث	الإقتصاد الاسلامى	١٠ مواد
الباب الرابع	الحقوق والحريات الفردية	١٦ مادة
الباب الخامس	الإمام	١٧ مادة
الباب السادس	القضاء	٢٣٣ مادة
الباب السابع	الشورى والرقابة وسن القوانين	مادتان
الباب الثامن	الحكومة	مادتان
الباب التاسع	أحكام عامة انتقالية	٧ مواد

* * *

والأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلاميه تتقدم بهذا المشروع للعرض على المؤتمر التاسع للمجمع تنفيذاً لتوصية المؤتمر الثامن .

الأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية

دكتور الحسينى عبدالمجيد هاشم

« بسم الله الرحمن الرحيم »

الباب الأول

الأمة الإسلامية

مادة/١ : (ا) المسلمون أمة واحدة .

(ب) والشريعة الإسلامية مصدر كل تقنين .

مادة/٢ : يجوز أن تتعدد الدول فى الامة الإسلامية وأن تتنوع أشكال الحكم فيها .

مادة/٣ : يجوز للدولة أن تتحد مع دولة اسلامية أكثر فى الشكل الذى يتفق عليه .

مادة / ٤ : يقوم الشعب بمراقبة الإمام وأعوانه وسائر الحكام ومحاسبتهم وفق أحكام الشريعة الإسلامية .

* * *

الباب الثانى

أسس المجتمع الإسلامى

مادة ٥ : التعاون والتكامل أساس المجتمع .

مادة ٦ : الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فرض ويأثم من يقصر فيه مع القدرة عليه

٥٧٥

مادة/٧ : الأسرة أساس المجتمع ، قوامها الدين والأخلاق وتكفل الدولة عم الأسرة وحماية الأمومة ورعاية الطفولة وتهيئة الوسائل المحققة لذلك .

مادة/٨ :حماية الأسرة واجب الدولة بالتشجيع على الزواج وتيسير أسبابه المادية بالاسكان والمعونات الممكنة وتكريم الحياة الزوجية وتهيئة الوسائل لحسن تبعة المـــرأة لزوجها وخدمة ألاودها واعتبار العناية بالأسرة أول واجباتها .

مادة/٩: العناية بسلامة الامة وصحة الأفراد واجب الدولة وعليها توفير الخدمات الطبية المجانية للمواطنين من وقائية وعلاجية .

مادة/١٠ : طلب العلم فريضة والتعليم واجب الدولة وفقا للقانون .

مادة/١١ : التربية الدينية منهج أساسى فى جميع مراحل التعليم .

مادة/١٢ : تلتزم الدولة بتعليم المسلمين الأمور المجمع عليها من الفرائض وتدريس السيرة النبوية وسيرة الخلفاء الراشدين دراسة وافية على مدار سنوات التعليم .

مادة/١٣ : تلتزم الدولة بتحفيظ ما تيسر من القرأن الكريم للمسلمين فى سنوات التعليم جسب أنواع الدراسة كما تنشىء معاهد خاصة بالقرآن الكريم لتحفيظه لغير الطلاب وتطبع المصحف الكريم وتيسر تداوله .

مادة/١٤ : التبرج محظور والتصاون واجب وتصدر الدولة القوانين والقرارات لصيانة الشعورالعام من الابتذال وفقا لأحكام الشريعة الإسلامية.

مادة/١٥ : اللغة العربية اللغة الرسمية والتاريخ الهجرى واجب ذكره فى المكاتبات الرسمية .

مادة / ١٦ : الولاية العامة منوطة بمصلحة الرعية وخاصة حماية الدين والعقل والنفس والمال والعرض .

مادة / ١٧ : لا يكفى أن تكون الغايات مشروعة بل يجب فى جميع الحالات أن تكون الوسائل مطابقة لأحكام الشريعة الإسلامية .

° ° °

الباب الثالث

الأقتصاد الإسلامي

مادة / ١٨ : يقوم الاقتصاد على مبادىء الشريعة الإسلامية بما يكفل الكرامة الإنسانية والعدالة الاجتماعية ويوجب السعى فى الحياة بالفكر والعمل ويحمى الكسب الحلال .

مادة / ١٩ : حرية التجارة والصناعة والزراعة مكفولة فى حدود الشريعة الإسلامية .

مادة / ٢٠ : تضع الدولة خططاً للتنمية الاقتصادية وفقاً للشريعة الإسلامية.

مادة / ٢١ : تقاوم الدولة الاحتكار ولا تتدخل فى الأسعار إلا للضرورة .

مادة / ٢٢ : تشجع الدولة على تعمير الصحراء وتوسيع رقعة الأرض المنزرعة.

مادة / ٢٣ : لا يجوز التعامل بالربا أخذاً أو عطاء أو أن يستر أى تصرف معاملة ربوية .

مادة / ٢٤ : للدولة ملكية ما فى باطن الأرض من المعادن والخامات وغيرها من الثروات الطبيعية .

مادة / ٢٥ : كل مال لا مالك له يكون ملكا لبيت المال . وينظم القانون طريقة تملك الأفراد له .

مادة / ٢٦ : تصرف الدولة الزكاة التى يقـــدمها إليها الأفراد فى مصارفها الشرعية .

مادة / ٢٧ : الوقف على الخيرات جائز ويصدر قانون بتنظيمه من جميع النواحي .

الباب الرابع

الحقوق والحريات الفردية

مادة / ٢٨ : العدل والمساواة أساس الحكم وحقوق الدفاع والتقاضى مكفولة، ولايجوز المساس بها .

مادة / ٢٩ : الإعتقاد الدينى والفكرى وحرية العمل وإبداء الرأى بالقول والكتابة أو غيرها وإنشاء الجمعيات والنقابات والإنضمام إليها والحرية الشخصية وحرية الانتقال والاجتماع كلها حقوق طبيعية أساسية تكفلها الدولة فى حدود الشريعة الاسلامية .

مادة / ٣٠ : للمساكن والمراسلات والخصوصيات حرمة والتجسس محظور. ويحدد القانون مايرد على هذه الحرمة من قيود تمارسها الدولة فى جرائم الخيانة العظمى أو الخطر الداهم ولاتكون تلك الممارسة إلا بأذن قضائى ،

مادة / ٣١ : حق التنقل داخل البلاد وخارجها مباح ولايمنع المواطنون من السفر إلى الخارج ولا إلزامهم البقاء فى مكان دون آخر إلا بحكم قضائى يبين القاضى أسبابه ولايجوز نفى المواطنين .

مادة / ٣٢ : تسليم اللاجئين السياسيين محظور وينظم تسليم المجرمين العاديين باتفاقات مع الدول المعنية .

مادة / ٣٣ : تعذيب الأشخاص جريمة . ولاتسقط الجريمة أو العقوبة

طول حياة من يرتكبها ويلتزم فاعلها أو الشريك فيها بالمسئولية عنها فى ماله فان كان بمساعدة موظف أو بموافقته أو بالسكوت عنها فهو شريك فى الجريمة جنائياً ومسئول مدنياً وتسأل معه الحكومة بالتضامن .

مادة / ٣٤ : يعاقب بعقوبة التعزير الموظف الذى تقع فى إختصاصه جريمة تعذيب علم بها ولم يبلغ السلطات المختصة عنها .

مادة / ٣٥ : لايطل دم فى الاسلام وعلى الدولة تعويض المستحقين من قتلى لايعرف قاتلهم أو عجزة لايعرف من أعجزهم أو عرف ولم يوجد لديه مال يكفل التعويض .

مادة / ٣٦ : لكل إنسان حق تقديم الشكوى عن جريمة تقع عليه أو على غيره أو على أختلاس المال العام أو تبديده .

مادة / ٣٧ : حق العمل والكسب والتملك مكفول ولايجوز المساس به إلا بمقتضى أحكام الشريعة الاسلامية .

مادة / ٣٨ : للمرأة أن تعمل فى حدود أحكام الشريعة الاسلامية .

مادة / ٣٩ : تكفل الدولة حرية الملك وحقوق الملكية وحرمتها ولاتجوز المصادرة العامة بأية أداة كانت أما المصادرة الخاصة فلا تكون ألا بحكم قضائى.

مادة / ٤٠ : لاتنزع ملكية أحد ألا للمصلحة العامة ومقابل تعويض كامل وفقاً لأحكام القانون المنظم لذلك.

مادة / ٤١ : إنشاء الصحف مباح والصحافة حرة وذلك كله فى حدود أحكام الشريعة الاسلامية .

مادة / ٤٢ : للمواطنين حق تكوين الجمعيات والنقابات على الوجه المبين

فى القانون ويحظر منها مايكون نشاطه معاديا لنظام المجتمع أو سريا ذا طابع عسكرى أو مخالفاً بأى وجه من الوجوه لأحكام الشريعة الاسلامية .

مادة / ٤٣ : تمارس الحقوق وفقاً لمقاصد الشريعة .

* * *

الباب الخامس

الامام

مادة / ٤٤ : يكون للدولة أمام وتجب الطاعة له وأن خو لف فى الرأى .

مادة / ٤٥ : لاطاعة لمخلوق فى معصية الخالق ولا للامام فى أمر مقطوع بمخالفته للشريعة .

مادة / ٤٦ : يبين القانون طريقة البيعة العامة فى أختيار الامام على أن تتم البيعة العامة تحت أشراف القضاء . وتكون البيعة بالأغلبية المطلوبة لأصوات المشتركين فى البيعة .

مادة / ٤٧ : يشترط للمرشح لرئاسة الدولة : الاسلام والذكورة والبلوغ والعقل والصلاح والعلم بأحكام الشريعة الاسلامية .

مادة / ٤٨ : يتم تعيين الامام ببيعةعامةمن جميع طبقات الأمةطبقاً للقانون ويجوز للمرأة أن تطلب الاشتراك فى الانتخاب متى أستوفت شروطه وتمكن من الانتخاب(١) .

مادة / ٤٩ : لاجناح على من أبدى رأيه ضد البيعة الامام قبل تمامها .

---

(١) رأت اللجنة أن تكون الفقرة الأخيرة موضع دراسة عند بحث هذا المشروع لأقراره .

مادة / ٥٠ : لأصحاب الحق فى البيعة عزل الإمام متى تحقق سببه وبالطريقة التى يبينها القانون .

مادة / ٥١ : يخضع الإمام للقضاء وله الحضور أمامه بوكيل عنه .

مادة / ٥٢ : يتمتع رئيس الدولة بكافة الحقوق التى يتمتع بها المواطنون ويلتزم بما يلتزمون به وتسرى فى حقه الأحكام المالية التى يحددها القانون .

مادة / ٥٣ : لاتجوز الوصية للامام أو الوقف عليه أو على أقاربه حتى الدرجة الرابعة إلا أن تكون وصية ممن يرثه الإمام . كما لايجوز للأمام أن يشترى أو يستأجر شيئاً من أملاك الدولة أو أن يبيع أو يؤجر شيئاً من أملاكه إليها .

مادة / ٥٤ : الهدايا للامام غلول ومايتم منها يضاف إلى بيت المال .

مادة / ٥٥ الإمام قدوة للرعية فى العدل والإحسان والعمل الصالح وهو يشارك غيره من أئمة المسلمين فى كل ما يهم الجماعة الإسلامية كما يبعث بعثاً للحج كل عام يشارك به فى مؤتمرات المسلمين الرسمية وغير الرسمية .

مادة / ٥٦ : الإمام مسئول عن قيادة جيشه لجهاد العدو وحفظ الثغور وتراب الوطن وإقامة الحدود وعقد المعاهدات بعد إقرارها .

مادة / ٥٧ : الإمام مسئول عن تمكين الأفراد والجماعة من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وأداء الفرائض .

مادة / ٥٨ : يعين الإمام موظفى الدوله ويجوز أن يخول القانون غيره تعيين الموظفين من غير المستويات العليا .

مادة / ٥٩ : العفو عن الجرائم فيما عدا الحدود لايكون إلا بقانون .

وللامام العفو عن عقوبات الجرائم فى ظروف خاصة فيما عدا عقوبات الحدود والخيانة العظمى .

٥٨١

مادة / ٦٠ : الامام عند الضرورة أتخاذ تدابير إستثنائية يبينها القانون إذا قامت قلاقل أو قام ما ينذر بحدوث قلاقل أو تهديد كيان الدولة أو حرب أهلية أو حرب مع إحدى الدول على أن يعرضها على المجلس النيابى خلال أسبوع من إتخاذها . وإذا لم يكن قد تم إنتخاب المجلس فيدعى المجلس القديم وتبطل هذه التدابير إن لم يتبع فيها هذا الإجراء . ويصدر قانون بتنظيم هذه التدابير الإستثنائية والآثار المترتبة عليها والجهات المختصة بأتخاذها وكيفية تسوية الآثار المترتبة عليها فى حالة عدم إقرارها .

* * *

الباب السادس

القضاء

مادة / ٦١ : يحكم القضاء بالعدل وفقاً لأحكام الشريعة الإسلامية .

مادة / ٦٢ : الناس سواسية أمام القضاء ولايجوز تمييز أحد أو فئة بمحاكم خاصة .

مادة / ٦٣ : لايجوز إنشاء محاكم خاصة أو حرمان صاحب قضية من قاضيه الطبيعى .

مادة / ٦٤ : لايجوز منع القضاء من سماع الدعوى ضد الإمام أو الحاكم .

مادة / ٦٥ : تصدر الأحكام وتنفذ باسم الله الرحمن الرحيم ولايخضع القاضى فى قضائه لغير الشريعة الاسلامية .

مادة / ٦٦ : تنفيذ الأحكام مسئولية الدولة والامتناع أو التراخى فى تنفيذها جريمة يعاقب عليها .

مادة / ٦٧ : تكفل الدولة إستقلال القضاء والمساس باستقلاله جريمة .

مادة / ٦٨ : تختار الدولة للقضاء أصلح المؤهلين له من الرجال وتيسر أداءه لعمله .

مادة / ٦٩ : يشترط فى جرائم الحدود أن يحضر المتهم المحاكمة وأن يحضر معه محام يختاره هو أو تندبه الدولة إن لم يختر هو محامياً .

مادة / ٧٠ : مجلس القضاء علنى وللعامة حضوره ولايجوز جعله سرياً إلا لضرورة شرعية .

مادة / ٧١ : توقيع عقوبات الحدود الشرعية فى جرائم الزنا والقذف والسرقة والحرابة وشرب الخمر والردة .

مادة / ٧٢ : يحدد القانون التعزيزات التى يوقعها القاضى فى غير جرائم الحدود.

مادة / ٧٣ : يبين القانون أحكام القسامة ولايجوز أن تجاوز المسئولية المدنية مقادير الديات .

مادة / ٧٤ : يبين القانون شروط قبول التوبة وأحكامها .

مادة / ٧٥ : لايحكم بالاعدام فى جناية إلا إذا أمتنع الصلح أو عفو ولى الدم.

مادة / ٧٦ : يجوز التصالح في القصاص على أكثر من الدية .

مادة / ٧٧ : يجوز أن تتساوى المرأة والرجل فى الدية .

مادة / ٧٨ : شروط القصاص فى الجروح التماثل الكامل ، وكمال اليقين بذلك القاضى .

مادة / ٧٩ : الجلد هو العقوبة الأساسية فى التعزيزات والحبس محظور إلا فى جرائم معدودة ولمدد محدودة يبينها القاضى .

مادة / ٨٠ : لايجوز أذلال المحبوس أو إرهاقه أو الاساءة إلى كرامته .

مادة / ٨١ : تنشأ محكمة دستورية عليا تختص بالفصل فى مدى مطابقة

القوانين واللوائح لأحكام الشريعة الاسلامية وأحكام هذا الدستور ويحدد القانون إختصاصاتها الأخرى .

مادة / ٨٢ : ينشأ ديوان للمظالم يحدد القانون تشكيله وإختصاصاته ومرتبات أعضائه .

الباب السابع[1]

الشورى والرقابة وسن القوانين

مادة / ٨٣ : يكون للدولة مجلس للشورى يمارس الاختصاصات الآتية :

(١) سن القوانين بما لايتعارض مع أحكام الشريعة الاسلامية .

(٢) إعتماد الموازنة السنوية للدولة وحسابها الختامى .

(٣) ممارسة الرقابة على أعمال السلطة التنفيذية .

(٤) تقرير مسئولية الوزارة عن أعمالها وسحب الثقة بها عند الأقتضاء .

مادة / ٨٤ : يحدد القانون شروط الانتخاب وطريقة أحدائه وشروط العضوية ، وذلك على أساس من الشورى على وجه يكفل مشاركة كل بالغ عاقل حسن السمعة فى إبداء رأيه ، وكذلك كيفية معاملة أعضاء المجلس من الناحية المالية ، ويضع المجلس لائحته الداخلية .

° ° °

الباب الثامن

الحكومة

مادة / ٨٥ : تتولى الحكومة مسئولية إدارة شئون الحكم وتحقيق المصالح

---

(١) يحذف هذا الباب فى الدول التى ليس لها مجالس للشورى :

الشرعية المعتبرة وتكون مسئولة أمام الإمام[1] .

مادة / ٨٦ : يحدد القانون شروط تعيين الوزراء والأعمال المحظورة عليهم أثناء تولى مناصبهم ، وطريقة محاكمتهم عما يقع منهم فى عملهم .

الباب التاسع

أحكام عامة وانتقالية

مادة / ٨٧ : مدينة (...) حاضرة البلاد .

مادة / ٨٨ : يبين القانون علم الدولة وشعارها ويحدد الأحكام الخاصة بكل منها .

مادة / ٨٩ : تسرى القوانين على ما يقع من تاريخ نفاذها ، ولا تسرى بأثر رجعى إلا فيما تنص عليه ويلزم لذلك موافقة ثلثى أعضاء المجلس النيابى ولا تجوز الرجعة فى المسائل الجنائية .

مادة / ٩٠ : تنشر القوانين فى الجريدة الرسمية خلال أسبوعين من يوم إصدارها ويعمل بها بعد شهر من اليوم التالى لتاريخ نشرها إلا إذا حدد لذلك ميعاد آخر .

مادة / ٩١ : لكل من الإمام والمجلس النيابى طلب تعديل مادة أو أكثر من مواد الدستور ويجب أن يذكر فى طلب التعديل المواد المطلوب تعديلها والأسباب الداعية إلى هذا التعديل ، فاذا كان الطلب صادراً من المجلس النيابى وجب أن يكون موقعاً عليه من ثلث أعضاء المجلس على الأقل .

وفى جميع الأحوال يناقش المجلس مبدأ التعديل ويصدر قراراً فى شأنه بأغلبية ثلثى أعضائه فاذا رفض الطلب فلا يجوز إعادة طلب تعديل المواد ذاتها قبل مضى سنة على هذا الرفض .

---

(١) تحذف هذه الفقرة فى الدول التى لها مجالس للشورى .

وإذا وافق المجلس النيابي على مبدأ التعديل يناقش بعد شهرين من تاريخ هذه المرافقة المواد المطلوب تعديلها فاذا وافق على التعديل ثلثا أعضاء المجلس عرض على الأمة لإستفتائها فى شأنه .

فاذا وافق على التعديل اعتبر نافذاً من تاريخ إعلان نتيجة الإستفتاء .

مادة / ٩٢ : كل ما قررته القوانين واللوائح من أحكام قبل صدور هذا الدستور يبقى صحيحاً ونافذاً ومع ذلك يجوز إلغاؤها أو تعديلها وفقاً للقواعد والإجراءات المقررة فى هذا الدستور ، فاذا كانت مخالفة لأحكام الشريعة الإسلامية وجب إلغاؤها واستبدالها بغيرها .

مادة / ٩٣ يعمل بهذا الدستور من تاريخ إعلان موافقة الأمة عليه فى الإستفتاء .

° ° °

٥٨٦

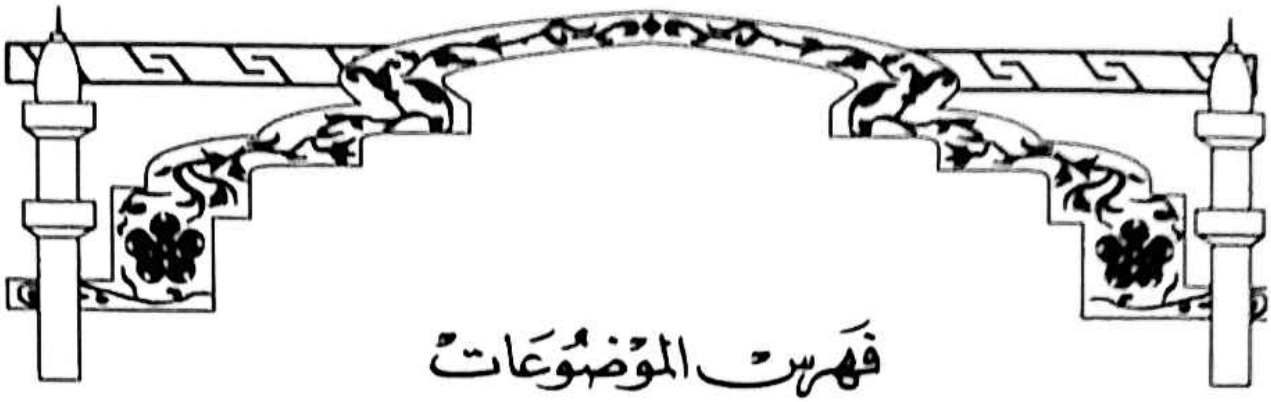

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
عبدالحليم محمود (شيخ الأزهر.. هموم الأمة ودستور المسلمين)	٩
نصُّ الحوار	١٢
صبحي الصالح (العالم العلاَّمة المجتهد)	١٩
نص الحوار	٢٣
نجيب الكيلاني (عميد الروائيين الإسلاميين)	٢٦
نصّ الحوار	٢٨
محمد الغزالي (الداعية الإسلامي العالمي)	٣٣
نصّ الحوار	٣٦
محمد بن سليمان الجراح (آخر علماء الكويت الكبار)	٤٣
نصّ الحوار	٤٥
عبدالحميد كشك (خطيب الأمة المعاصر)	٤٨
نصّ الحوار	٥١
عبدالفتاح أبو غدّة (العالم الداعية المحدّث المشهور)	٥٨
نصّ الحوار	٦٠
حماد بن محمد الأنصاري (العالم الأصولي المحدّث)	٧٢
نصّ الحوار	٧٥
محمد متولي الشعراوي (العالم الربّاني الشهير)	٩٩
نصّ الحوار	١٠١
عبدالعزيز بن باز (العالم المفتي.. مجدّد السلفية في عصره)	١١١
نصّ الحوار	١١٣

الموضوع	الصفحة

مصطفى الزرقا (العالم والخبير الاقتصادي الإسلامي) ١٢١
نصّ الحوار ١٢٤
أبو الحسن علي الحسني الندوي (العالم المجدِّد، فخر الإسلام والمسلمين) . ١٤٠
نصّ الحوار ١٤٣
رشدي فكار (مفكر إسلامي وعالم اجتماع عالمي) ١٥٦
نصّ الحوار ١٥٩
محمد بن صالح العثيمين (الفقيه المجتهد الغيور) ١٦٥
نصّ الحوار ١٦٧
محمد صفوت نور الدين (العالم السلفي الجليل) ١٧٦
نصّ الحوار ١٧٨
أنور الجندي (عملاق الفكر الإسلامي) ١٨٩
نصّ الحوار الأول ١٩١
نصّ الحوار الثاني ١٩٨
نصّ الحوار الثالث ٢٠٣
مانع الجهني (من أعلام الدعوة وروّاد العمل الخيري) ٢١٠
نصّ الحوار ٢١٢
أحمد ياسين (الزعيم القيادي الشهيد) ٢١٦
نصّ الحوار ٢١٨
رسالة الشيخ أحمد ياسين إلى القمة العربية المنعقدة بتونس عام **١٤٢٥هـ** ٢٢٢
عبدالعزيز الرنتيسي (القائد والداعية الإسلامي الشهيد) ٢٢٥
نصّ الحوار الأول ٢٢٨
نصّ الحوار الثاني ٢٣٦
نصّ الحوار الثالث ٢٤٠
أحمد كفتارو (العارف المفتي) ٢٤٣
نصّ الحوار ٢٤٥
الملحق: مشروع الدستور الإسلامي ٢٤٩
فهرس الموضوعات ٢٦٥

آخر لقاء

مع (٢٠) عالماً ومفكراً إسلامياً

ISBN 9953-81-071-0
9789953810713